عصر النهضة

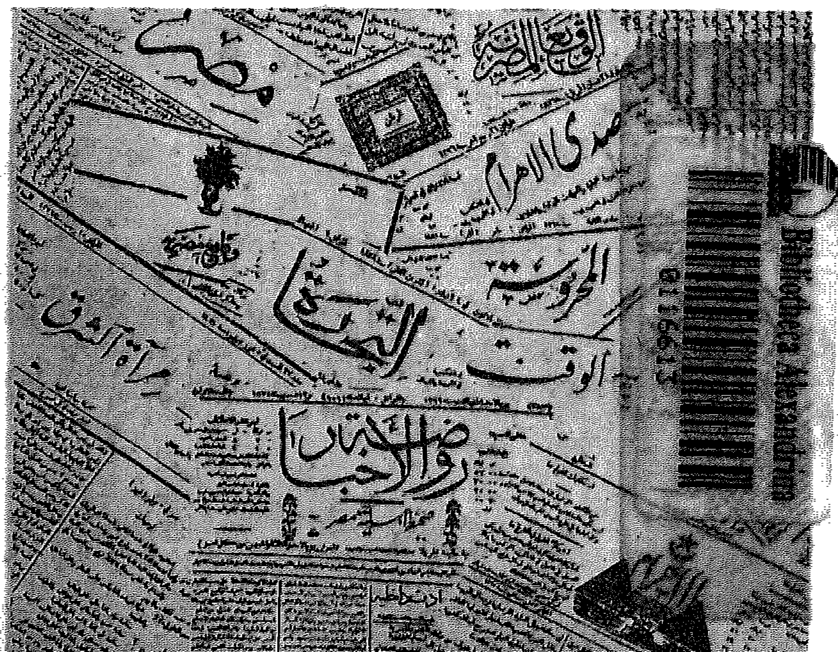
مركز وثائق
وتاريخ مصر المعاصر

٥٢

الصحافة المصرية والحركة الوطنية

١٨٨٢-١٩٢٢

د. رمزى ميخائيل





مركز وثائق وتاريخ مصر المعاصر

إشراف : أ.د. يونان لبيب رزق

مدير التحرير : خلف عبد العظيم الميرى

الاخراج الفنى : مراد نسيم

الصحافة المصرية والحركة الوطنية

من الاحتلال إلى الاستقلال

١٨٨٢ - ١٩٢٢

د. رمزي ميخائيل



الهيئة المصرية العامة للكتاب
١٩٩٦

تقـــديم

تاريخ الصحافة فى مصر أحد الميادين التى استمرت « مصر النهضة » توجه لها عناية خاصة ..

وقد صـــدرت هــذه العناية عن قناعة راسخة أن الصحافة المصرية منذ صـــدورها حتى فى شكلها الرسمى ، بصـــدور الوقائع المصرية عــام ١٨٢٨ والى يومنا هذا استمرت مرآة لحركة التاريخ فى مناحيها السياسية والاقتصادية والاجتماعية والفكرية .

صـــدرت أيضا عن ادراك لدور الصحافة فى الحـــلول محل كتابات التاريخ الاخبـــارى Chronicles ، وهو التاريخ الذى أخذت صناعته فى الانقراض بعد رحيل آخر رجاله العظمـــاء ، الشيخ عبد الرحمن الجبرتى صاحب الكتاب المعروف « عجـــائب الآثار فى التراجم والأخبـــار » خـــلال النصـــف الأول من القرن التاسع عشر .. القرن الذى عرفت مصر فى عقده الثالث الصحافة الحكومية ، تبعتها الصحافة الأهلية بعد اربعة عقود .

انطلاقا من ذلك فقد جاء العدد الثانى عشر من هذه الكتب تحت عنوان « صحافة الحزب الوطنى ١٩٠٧ ــ ١٩١٢ » والذى وضعه الدكتور يواقيم رزق مرقص ، والعدد التاسع عشر تحت عنوان « الصحافة والحركة الوطنية المصرية ١٩٤٥ ــ ١٩٥٢ » الذى ألفته الدكتورة لطيفة محمد سالم .

ويأتى هذا العدد من مصر النهضــة الذى وضعه الدكتور رمزى ميخائيل ليعالج نفس الموضــوع ولكن فى فترة أخرى ومن مظان مختلفة ..

الفترة أطول وتمتد لأربعين عاما ، بين الاحتــلال البريطانى لمصر عام ١٨٨٢ واعلان تصريح ٢٨ فبراير عــام ١٩٢٢ ، وهى فترة حافلة بالأحداث حرص الدكتور رمزى أن ينتقى منها الوقائع الكبرى التى عبرت فيها الحركة الوطنية عن نفسها ليرصــد بعد ذلك موقف الصحافة منها ..

والمظان جاءت أساسا من البحث فى الصحافة المصرية التى تابع المؤلف مواقفها، على غير ما فعلتــه الدكتورة لطيفــة التى اعتمدت على الوثائق البريطانية فيما سجلته فى عنوان دراستها ، وان لم تهمل بالطبع الصحف المصرية .

وهذا الاختــلاف نرحب به فى مصر النهضــة لأنه يقدم فى العادة رؤى متنوعة لتاريخ الصحافة مما تكون محصلته النهائيــة اثراء لهذا التاريخ الذى نكرر حرصنا الشديد على نشر المزيد من الكتابات عنه ..

والله من وراء القصد ؟

مركز وثائق وتاريخ مصر المعاصر

القســـم الأول

من نشأة الصحافة المصرية
الى نهاية الحرب العالمية الأولى

(اولا)

الصحافة المصرية والحركة الوطنية

١ ـ تنوير الأذهان :

منذ نشأتها ، حملت الصحافة المصرية على كاهلها ، عبء نشر الوعى وتنوير الأذهان . شاركت فى هذه المهمة الصحف الشعبية والصحف الرسمية أيضا . فكانت الصحافة افضل واقوى أدوات الاتصال ، التى حملت افكار وآراء رواد الفكر المصرى الحديث ، فى معانى : الوطن والوطنية ، الوحدة الوطنية بين المصريين على اختلاف اديانهم ، أنظمة الحكم المطلق والمقيد ، المجالس النيابية ، حرية التفكير والتعبير ، وحقوق المواطن وواجباته .

وبرزت فى هذا المجال أسماء رفاعة الطهطاوى ومحمد عبده فى صحيفتى « الوقائع المصرية » و « روضة المدارس المصرية » ، وسليم النقاش فى صحيفة « العصر الجديد » ، وميخائيل عبد السيد فى صحيفة « الوطن » ، وأديب اسحق فى صحيفتى

« مصر » و « التجارة » ، وعبد الله النديم فى صحيفتى « التنكيت والتبكيت » و « الطائف » . وشاعت آراء جمال الدين الأفغانى فى صحيفتى « مصر » و « مرآة الشرق » وغيرهما ، بقلمه أحيانا ، وبأقلام تلاميذه ومريديه من الكتاب والصحفيين فى أكثر الأحيان .

وقد اضطلعت الصحافة المصرية ـ وهى ما زالت فى دور النشأة ـ بايقاظ الشعور الوطنى لدى المصريين . وعبر اديب اسحق عن ذلك بقوله : « ان جسم الاجتماع فى القطر المصرى قد اخذ فى الحركة والنمو ، متغذيا بآراء الصحف الحرة القائمة بأمر الوطن ، الثابتة على ولائه .. »(1) .

واستخدمت الصحافة فى تحقيق هدفها عدة أساليب ، منها :

١ ـ الربط بين درجة تقدم المجتمع ، ومستوى الوعى الوطنى لدى أفراده ؛ مع التأكيد على أن السبيل الى التقدم الحضارى ، هو تضحية الأفراد من أجل رفعة الوطن .

٢ ـ تعريف أفراد الشعب بحقوقهم وواجباتهم تجاه وطنهم .

٣ ـ بعث المجد المصرى القديم ، وخاصة أن التنقيب عن آثار مصر ، والوصول الى مدلولات الكتابة الهيروغليفية ، كشفا صفحة باهرة من تاريخها المشرف الطويل .

٤ ـ المقارنة بين ما وصل اليه الوعى الوطنى فى دول أوربا

---

(1) اديب اسحق ، « الاحوال الحاضرة » ، التجارة ، ٨ ابريل سنة ١٨٧٩ .

وامريكا ، وما هو عليه فى مصر ، مع حث المصريين على مزيد من الاهتمام بالوطن ، والحرص على أداء حقوقه عليهم(٢) .

وظهرت هـذه المقارنة على صفحـات الصحف فى قالبين : اولهما : المقال ، حيث يصل الكاتب الى هدفه ـ فى أغلب الأحيان بشكل مباشر . وثانيهما : الخبر الخارجى ، الذى ينقل الى قارىء اللغة العربية صورة لمـا يجرى فى الخـارج ، من نشاط سياسى وادارى واقتصادى وعسكرى وثقافى واجتماعى . فتحدث المقارنة تلقائيا فى الفكر ، بين ما يجرى فى الخارج وما يحدث فى مصر . وتتنبه الأذهان الى ما فى حوادث الخارج من قدوة وعبرة .

يضاف الى هذا ويؤكده ، ما اثبتته الدراسـة الاحصائية من أن الصحف المصرية ، فى الفترة من سنة ١٨٢٨ الى سنة ١٨٨١، كانت تعوض ما يحدث لديها من نقص فى الأخبار الداخلية ، بنشر المزيد من الأخبار الخارجية المتعلقة بنفس النشـاط ، فأكدت بذلك حرصها على احاطة القراء بقدر معين من أخبـار مختلف الأنشطة فى داخل البلاد وخارجها(٣) .

٢ ـ محاربة الاستبداد ، والتدخل الأجنبى :

وقد ساهمت الصحافة المصرية فى رعاية وانماء الحـركة الوطنية فى مصر(٤) ، ونصبت من نفسها حارسا لحقوق الشعب ،

---

(٢) فاروق أبو زيد ، الصحافة وقضايا الفكر الحر فى مصر ، كتـاب الاذاعة والتليفزيون ـ ٢٩ (القاهرة : مجلة الاذاعـة والتليفزيون ، ١٩٧٤) ص ٦٩ ، ٧٨ .

(٣) رمزى ميخائيل ، تطور الخبر فى الصحافة المصرية (القـاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٨٥) ص ٣٠١ ـ ٣٣٢ .

(٤) جولد شميت (الابن) ، آرثر ادوارد ، الحزب الوطنى : مصطفى كامل ، محمد فريد ، ترجمة : فؤاد دوارة ، تقديم وتعليق : فتحى رضـوان (القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٨٣) ص ٣٩ .

وحاميا لمصالح البلاد . وظهر دورها واضحا ، منذ أواخر عهد الخديوى اسماعيل ، عندما احتدم الصراع بين القوى الوطنية والسلطة الحاكمة ، والقوى الأجنبية . فقد شاركت الصحافة فى خلق تيار قوى يطالب بالحكم الدستورى ، ويدافع عن استقلال البلاد ضد أى نفوذ أو تدخل اجنبى ، ويعارض ما يتمتع به الأجانب فى مصر من امتيازات . وصارت الصحف حلقة اتصال بين امانى الشعب واهداف الزعماء الوطنيين من المدنيين والعسكريين . وحدث وفاق عميق بين الطرفين ، كانت الصحف احدى وسائله الايجابية(٥) .

وكانت سنة ١٨٧٧ نقطة تحول فى تطور الفكر والواقع السياسيين فى مصر ، حيث اضطر الخديوى اسماعيل ــ بسبب زيادة ضغط قوى الدين الأجنبى عليه ــ الى اطلاق حرية الصحافة ، لتدافع عنه أمام هذه القوى ، فظهر العديد من الصحف التى دعت الى الأخذ بالنظم الحرة(٦) .

غير أن حرية الصحافة كانت سلاحا ذا حدين ، فقد ساندت الصحف المصرية الخديوى ضد القوى الخارجية . ولكنها انبرت ــ فى نفس الوقت ــ لتنقد سياسته . وكانت صحيفتا « مصر » و « التجارة » اللتان اصدرهما أديب اسحق فى سنتى

---

(٥) سامى عزيز ، حرية الصحافة ١٧٩٨ ــ ١٨٩٤ ، الباب الأول من : حرية الصحافة فى مصر ١٧٩٨ ــ ١٩٢٤ (القاهرة : مكتبة الوعى العربى ، ١٩٧٢) ص ٦٥و ٦٦ .

(٦) عزت قرنى ، العدالة والحرية فى فجر النهضة العربية الحديثة ، عالم المعرفة ــ ٣٠ (الكويت : المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب ، ١٩٨٠) ص ٣٠٦ .

۱۸۷۷ و ۱۸۷۸ ، بمساعدة جمال الدين الأفغانى ، من أقوى الصحف الوطنية ، ومن أجرأ صحف المعارضة .

فقد حفلت « مصر » بالحديث عن الحرية والاصلاح الشورى . واتخذ أديب اسحق من الحركات الثورية فى أوربا ، أمثلة حية يضعها أمام المصريين « .. تنبيها للخواطر وايقاظا للأذهان .. »(۷) . ووقفت « مصر » ضد التدخل الأجنبى ، واعتماد الحكومة المصرية على الأجانب . ودافعت عن المصريين ضد الامتيازات الأجنبية . وساندت « مجلس شورى النواب »(۸) ، الذى دعاه الخديوى اسماعيل الى الانعقاد فى يناير ۱۸۷۹ ، بعد توقفه مدة طويلة . وكان انعقاده بفضل الضغوط الوطنية ، ومنها كتابات الصحف . وكان جزاء « مصر » على سياستها هذه ، أن تعرضت لانذارات ادارة المطبوعات عدة مرات . واغلقتها الحكومة فى نوفمبر ۱۸۷۹ ، ثم عادت للصدور فى سنة ۱۸۸۱ . ولكنها اغلقت نهائيا يوم ۸ مارس ۱۸۸۲(۹) .

اما « التجارة » فأفسحت صفحاتها الأولى لمقالات جماعة « مصر الفتاة » ، التى طالبت فيها بأن يتولى المجلس النيابى محاسبة الوزراء ، وان يسن قانون يحدد حقوق الموظفين ويعين واجباتهم ، وان تفضل الحكومة المصريين على الأجانب فى شغل الوظائف(۱۰) . واستمرت « التجارة » فى سياستها المعارضة .

---

(۷) مصر ، أول مايو ۱۸۷۹ ، وسامى عزيز ، حرية الصحافة ، ص ۳۸ ، وعزت قرنى ، العدالة والحرية ، ص ۱۷۰ ، ۱۷۱ .

(۸) رمزى ميخائيل ، تطور الخبر ، ص ۲۰۸ .

(۹) الوقائع المصرية ، ۱۲ نوفمبر ۱۸۷۹ ص ۲ ، العصر الجديد ، ۸ يناير ۱۸۸۰ ، ص ٤ ، ورمزى ميخائيل ، تطور الخبر ، ص ۲۰۹ .

(۱۰) التجارة ، من ۲٤ يونية الى ۳۰ يولية ۱۸۷۹ .

رغم انذار الحكومة لها ، فلم تطق وزارة رياض « باشا » صبرا على مسلكها ، وأغلقتها نهائيا فى نوفمبر ١٨٧٩(١١) .

وكانت سياسة « الوطن » التى أصدرها ميخائيل عبد السيد سنة ١٨٧٧ ، وطنيـة متحررة(١٢) . وتعرضت لانذارات ادارة المطبوعات ، عندما نشرت مقـالات وأخبـارا تكشف عن سـوء الادارة(١٣) . وأغلقت لمدة خمسة عشر يوما فى فبراير ١٨٧٩ ، لأنها نقلت عن صحيفة « التيمس » البريطانيـة مقالا طالبت فيه بضرورة تخفيض فوائد الديون ، ونشرت مقالا أيدت فيه حقوق أعضاء مجلس النواب(١٤) .

ولم تؤثر هـذه العقوبـة على « الوطن » ، فانتهجت نفس السياسة بعد عودتها الى الصدور . ولمـا عارضت تمييز الأجانب على المصريين فى الوظائف ، وتابعت أخبار حركة الضباط الوطنية بتأييد واضح لها ، أغلقتها الحكومة لمدة شهرين ، ابتداء من يوم ١٦ يولية ١٨٨١(١٥) .

---

(١١) عبد الرحمن الرافعى ، الثورة العرابيـة والاحتلال الانجليزى ، الطبعـة الثالثـة (القـاهرة : الدار القوميـة للطباعـة والنشر ، ١٩٦٦) ص ٧٨ و ٧٩ .

(١٢) عبد الرحمن الرافعى ، عصر اسماعيل ، الجزء الأول (القاهرة : مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٤٨) ص ٢٤٨ .

(١٣) الوطن ، ١١ يناير ١٨٧٩ ، ص ١ ، الوطن ، أول مايو ١٨٨٠ ، ص ٤ .

(١٤) الوطن ، ١٣ فبراير ١٨٧٩ ، ص ١ .

(١٥) الوطن ، من ٥ فبراير الى ٣٠ أبريل ١٨٨١ ، و ١٦ يولية ١٨٨١ ، الوقائع المصرية ، ٢٠ يولية ١٨٨١ ، ص ١ .

وكان تيار المعارضة الوطنية قويا ، جرف أمامه الاتجاه المعتدل ، الذى اتصفت به « الأهرام » منذ صدورها فى اغسطس ١٨٧٦ ؛ وجعلها تنضم فى سنة ١٨٧٨ الى المعارضة . فدافعت عن الموظفين المصريين ، وعارضت تفضيل الأجانب عليهم؛ وهاجمت الحكم الاستبدادى ، وأيدت « الحكومة الشورية » . وكانت « الأهرام » حينما تعالج أية مشكلة ، تعمد دائما الى المقارنة بين مصر والبلاد الغربية(١٦) . وفى سنة ١٨٨١ ، تابعت « الأهرام » حركة الضباط بالخبر والتعليق اللذين يشتم منهما عطفها على الحركة ، وتأييدها للضباط ، لكن مع تمسكها بتأييد الخديوى ؛ والتحذير من خطر التدخل الأجنبى(١٧) .

وانتقل اتجاه « الأهرام » للمعارضة ، الى زميلتها فى نفس الدار « صدى الأهرام » ، فكانت مواقفهما متشابهة(١٨) . ولكن حظ « صدى الأهرام » من التعطيل كان اكبر ، وأخيرا دفعت حياتها ثمنا لمعارضتها السياسة المالية للحكومة ، فقد اغلقتها نظارة شريف « باشا » نهائيا ، يوم ٢ مايو ١٨٧٩(١٩) .

وهكذا كانت مواقف بقية الصحف . فقد سرت روح المعارضة فيها ؛ وكانت بما بثته من التبرم بنظام الحكم ، والتطلع

---

(١٦) ابراهيم عبده ، جريدة الأهرام : تاريخ وفن ١٨٧٥ — ١٩٦٤ (القاهرة : مؤسسة سجل العرب ، ١٩٦٤) ص ٥٧ ، ٥٨ ، ١٣٢ ، ١٣٣ .

(١٧) راجع على سبيل المثال : الاهرام ، ٨ فبراير ١٨٨١ ، ص ٢ ، ٣ .

(١٨) صدى الأهرام ، ٥ مارس ١٨٧٩ ، ص ٢ ، و ٨ أبريل ١٨٧٩ ص ١ ، و ٢٩ أبريل ١٨٧٩ ، ص ١ ، ٢ ، ورمزى ميخائيل ، تطور الخبر ، ص ١٣٢ .

(١٩) ابراهيم عبده ، الاهرام ، ص ٨٥ ، والوطن ، ١٠ مايو ١٨٧٩ ، ص ٤ .

الى الحرية والديمقراطية ، وما لقيته من الاضطهاد ، من العوامل المهدة للحركة العرابية والمحرضة عليها .

٣ ـ مساندة الحركة العرابية :

كانت الحكومة المصرية ، حتى شهر نوفمبر ١٨٨١ ، تواجه الصحف المصرية المعارضة ، بقرار « المجلس الخصوصى » الذى صدر فى سنة ١٨٥٧ فى عهد سعيد « باشا » ، لتنظيم نشر الكتب والصحف والرسائل والاعلانات ، والرقابة عليها . ولكن لما رأت الحكومة أن هذا القرار لم يكف لحمايتها من هجوم الصحف عليها ، ولاحظت انتشار الأفكار الثورية فى الصحف المصرية التى كثر تداولها بين الأهالى ، ورأت أهمية دور الصحافة فى عقد الصلة بين زعماء الجيش وعامة الشعب ، أصدرت حكومة شريف « باشا » أول قانون للمطبوعات فى مصر ، يوم ٢٦ نوفمبر ١٨٨١ ، لايقاف سيل الصحف الوطنية واندفاعها الثورى ، والقضاء على حرية الصحافة . وبفضل هذا القانون ، الذى ضاعف القيود على الصحافة المصرية ، والذى سرى على الصحف والمطابع الأجنبية أيضا ، تجمعت التدابير الصارمة فى يد الحكومة ، وأصبح لديها سلاح قوى تستطيع استخدامه وفق أهوائها دون أن تحد أمامها قوة معارضة(٢٠) .

وأخذت الحكومة تبطش بالصحف التى تعارضها ، بأحكام قانون المطبوعات ، حتى تولى « الحزب العسكرى » الحكم ، فى ٤ فبراير ١٨٨٢ ، وأصبح محمود سامى البارودى رئيسا للنظارة ، وأحمد عرابى وزيرا للحربية . وصارت الصحف الوطنية

---

(٢٠) سامى عزيز ، حرية الصحافة ، ص ٢١ ـ ٢٣ ، ٦٦ ، ٦٧ ، عبد الرحمن الرافعى ، الثورة العرابية ، ص ١٨٠ ، ١٨١ .

قوة دافعة هائلة للحركة العرابية . وكان طبيعيا أن تتوقع الصحف أن تلغى حكومة هذه الحركة قانون المطبوعات ، بعد أن هاجمه احمد عرابى . ولكن الحكومة لم تلغ القانون ، بل استخدمته لصالحها ، وأكثرت من اصدار الانذارات وقرارات التعطيل للصحف المعارضة لها .

وتبلورت سياسة حكومة الحركة العرابية ــ تجاه الصحافة ــ فى ثلاثة اتجاهات : أولها ، التضييق على صحف السوريين واللبنانيين ، فتعطلت صحف « الأحوال » ، « الأهرام »، « المحروسة » و « مصر » . وثانيها ، الضغط على الصحف الموالية للخديوى ، مما اضطر « البرهان » الى عزل الشيخ حمزة فتح الله من تحريرها ، حتى لا تتعرض لبطش حكومة الحركة . وثالثها ، زيادة صحف الحركة ، فصدرت « الطائف » لعبد الله النديم ، و « المفيد » ثم « السفير » ثم « النجاح » لحسن الشمسى ، و « الفسطاط » لعبد الغنى المدنى(٢١) .

وحتى أواخر شهر مايو سنة ١٨٨٢ ، كانت أكثر الصحف المصرية تؤيد زعماء الحركة العرابية من غير تحفظ ودون أن يعاب عليها هذا الاتجاه الثورى ، لأن أهداف الحركة كانت انقاذ البلاد من سلطان الأتراك ، وحماية الفلاح من الظلم ، والعمل بالنظام الديمقراطى الذى يحد من طغيان الحاكم .

---

(٢١) سامى عزيز ، الصحافة المصرية وموقفها من الاحتلال الانجليزى ، المكتبة العربية ــ ٨٢ (القاهرة : دار الكاتب العربى للطباعة والنشر ، ١٩٦٨) ص ٥٣ ، ٥٤ ، ٥٦ ، وابراهيم عبده ، تطور الصحافة المصرية وأثرها فى النهضتين الفكرية والاجتماعية ، الطبعة الثانية (القاهرة : مكتبة الآداب ، ١٩٤٥) ص ١٢٥ .

ثم شهدت البلاد من مستهل شهر يونية الى أواخر شهر سبتمبر سنة ١٨٨٢ ، عدة أحداث أصابت الحياة السياسية فى مصر بالاضطراب . وكان للصحافة المصرية فيها نصيب موفور . فقد كان أغلب الصحفيين يصطفون صفا واحداً وراء قادة الحركة. ولكن لما ضربت الاسكندرية ، وانحاز الخديوى الى الانجليز حين احتلوها ، وقع الخلاف واشتد بين الصحف المصرية ، وتنازعها اتجاهان . فكان فى القاهرة صحف الثورة الأصيلة « كالوقائع المصرية » برئاسة الشيخ محمد عبده ، التى زودت قراءها بأخبار الوقائع الحربية ، والبيانات الوطنية ، والمقالات التى حملت حملات مريرة على الأسرة الحاكمة ومن يؤيدها من الصحفيين .

ووقفت بجانب الصحيفة الرسمية ، عدة صحف شعبية ، أهمها « الطائف » التى أصدرها فى شهر سبتمبر ١٨٨١ ، عبد الله النديم ، خطيب الحركة العرابية وقلمها الأول ، الذى ذهب بصحيفته الى ميدان القتال ، يواجه مدافع الغزاة بقلمه ، ويستثير همم المصريين ، ويعارض بريطانيا الدولة الغازية ، ويطعن الخديوى الذى انحاز اليها . فصارت « الطائف » صحيفة الحركة الأولى ، والمصدر الذى تستقى منه بقية الصحف اخبار الحركة ، ووقائع المعارك .

وزاملت « الطائف » صحف « المفيد » و « الفسطاط » و « السفير » و « النجاح »(٢٢) .

أما الاتجاه الثانى فضم صحف الاسكندرية المعادية للحركة العرابية ، والمناصرة للخديوى ، وفى مقدمتها صحيفة « الاعتدال »،

---

(٢٢) ابراهيم عبده ، الأهرام ، ص ١٥٧ ، ١٥٩ ، وتطور الصحافة ، ص ١٢٢ — ١٢٨ ، سامى عزيز ، الصحافة والاحتلال ، ص ٥٦ — ٥٨ .

لصاحبها الشيخ حمزة فتح الله ، الذى أخذ يؤيد الخديوى ويحمل على أحمد عرابى ورجاله ، وكان موقفه هذا متوقعا ، فهو استمرار لسياسته السابقة فى صحيفة « البرهان » ، المخالفة للثورة منذ قيامها .

أما الموقف غير المتوقع ، فهو موقف أديب اسحق ، صاحب « مصر » و « التجارة » . فقد خاصم العرابيين ، وانقلب على حركتهم بعد الاحتلال ، وانضم الى معسكر الخديوى ، وشارك خصمه القديم الشيخ حمزة فتح الله تحرير « الاعتدال » .

وزاملت « الاعتدال » صحيفة « الأهرام » التى عادت الى الظهور بالاسكندرية ، بمجرد احتلال البريطانيين لها ، ولكنها لم تسف فى خصومتها للعرابيين ، كما فعلت « الاعتدال »(٢٣) .

٤ ـ مواجهة الاحتلال البريطانى :

وبعد هزيمة العرابيين فى معركة التل الكبير ، لم تستطع لغة الأقلام أن تصمد أمام نيران المدافع ، فانحازت بعض الصحف الى صفوف البريطانيين . ولما أخفقت الحركة العرابية واحتل الجيش البريطانى مصر فى سبتمبر ١٨٨٢ ، سرت روح الخضوع واليأس فى نفوس المصريين . وظهرت « الوطن » ، « الأهرام » ، « البرهان » ، و « الاعتدال » ، خلال الشهور الأولى للاحتلال ، تصور انكسار النفوس . وأخذ بعضها يتحامل على زعماء الثورة ويحملهم مسئولية المصير الذى آلت اليه مصر .

---

(٢٣) ابراهيم عبده ، تطور الصحافة ، ص ١٢٩ ، والأهرام ، ص ١٥٩ ـ ١٦٣ .

ووقفت « الوطن » فى مقدمة هذه الصحف ، بعد أن تغير اتجاهها تماما . فقد كانت قبل الحركة لسان حال القوى الوطنية، وفى أثنائها خاصمت العرابيين ، فاذا فشلت حركتهم هاجمتهم فى سمعتهم وشرفهم(٢٤) . وبعد الاحتلال أشادت « الوطن » برجال الحكومة المصرية الخاضعين له ، وخاصة الخديوى ورياض « باشا » . ووصفت زعماء الحركة العرابية بأنهم « أعداء لكل مصرى عاقل » ، وأنهم تسببوا فى تخريب البلاد وتمزيقها . ثم طمأنت المصريين بأن الأمن قد استتب ، وبشرتهم بحسن نوايا البريطانيين تجاههم(٢٥) .

وهذه هى صحيفة « الأهرام » التى مالت منذ سنة ١٨٧٨ الى معارضة الحكومة والتدخل الأجنبى ، تحمل فى مستهل عهد الاحتلال على « العاصى عرابى ورفاقه البغاة » ، وتنشر فى صدر صفحتها الأولى يوم ٥ أكتوبر ١٨٨٢ ، صورة رائعة « للجنرال ولسلى » قائد جيش الاحتلال البريطانى لمصر ، وتؤرخ لحياته(٢٦) .

ومن ناحية ثانية ، أخذت سلطات الاحتلال تتعقب الصحف الوطنية التى لم تخضع لها . فصدر أمر ناظر الداخلية يوم ٢٣ سبتمبر ١٨٨٢ ، بالغاء صحيفتى « الزمان » و « السفير » . وتوقفت صحيفة « الطائف » بعد أن أصبح صاحبها عبد الله النديم، مطاردا من رجال الاحتلال والأمن . واختفت صحف « المفيد » و « السفير » و « النجاح » الثورية ، بعد القبض على صاحبها

---

(٢٤) ابراهيم عبده ، الأهرام ، ص ١٦٩ .

(٢٥) سامى عزيز ، الصحافة والاحتلال ، ص ٧١ ، ١٠٤ ، ١٠٥ .

(٢٦) سامى عزيز ، الصحافة والاحتلال ، ص ٦٦ ، ٦٧ ، نقلا عن : الأهرام ، ٢٦ سبتمبر ، ٣ ، ٥ أكتوبر ١٨٨٢ .

حسن الشمسي . وتعددت بعد ذلك قرارات تعطيل الصحف المصرية ، وكان السبب دائما هو أن ما ينشر بها « مما يشوش الأفكار ويخدش الأذهان »(٢٧) . وانزوت « الوقائع المصرية » داخل الطابع الرسمي .

ثم صدر قانون العقوبات يوم ٢٧ ديسمبر ١٨٨٣ ، الذى تضمن الباب الرابع عشر منه الجنح والجنايات التى تقع بواسطة الصحف ، والجنح الخاصة بالتعليم العام أو الدينى . وبهذا القانون فرضت الحكومة على الصحافة أقسى القيود والعقوبات .

وبذلك تمكنت سلطات الاحتلال من القضاء على ألسنة الحركة العرابية وكل صحيفة لم تنحن امامها .

وفى نفس الوقت عملت سلطات الاحتلال على استمالة الصحف اليها ، وعمدت الى تشجيع الصحفيين الشاميين على اعادة اصدار صحفهم . وقرر « مجلس التعويضات » لهم مبالغ مجزية ، تعويضا لهم عما أصابهم خلال حوادث الحركة العرابية وبسببها ، ومنهم سليم وبشارة تقلا صاحبا « الأهرام » ، وسليم نقاش صاحب « المحروسة » .

ورحب رجال الاحتلال بعودة صحف : « البرهان » ، « مرآة الشرق » و « الاتحاد المصرى » .

وكان هدفهم توجيهها الى تجنب نشر المواد الصحفية

---

(٢٧) ابراهيم عبده ، تطور الصحافة ، ص ١٣٧ ، وسامى عزيز ، الصحافة والاحتلال ، ص ٦٨ ــ ٧٠ ، ٨٠ ، ٨١ ، وصلاح قبضايا ، الصحف اليومية المصرية فى القرن التاسع عشر (القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٨٢) ص ٢٥ .

المتعاطفة مع العرابيين ، وتشجيعها على تقديمهم فى صوره المتآمرين والمخربين ، وهو ما فعلته صحيفة « الزمان » ، التى أعاد « الكسان صرافيان » الأرمنى اصدارها يوم ١٢ فبراير عام ١٨٨٣ لتكون داعية للاحتلال البريطانى(٢٨) .

وبعد مضى نحو سنة وربع من بداية عهد الاحتلال ، أخذت الصحف الوطنية المصرية ، تنفض عن نفسها روح اليأس والاستسلام . ساعدها على ذلك الشعور العام بالاستياء ، واحتماء بعض الصحف بالامتيازات الأجنبية . فقد واجه الراى العام فى مصر باستياء عميق ، نظارة نوبار « باشا » الثانية ، التى تألفت فى ١٠ يناير ١٨٨٤ ، لأنها ارتضت اخلاء السودان ، تنفيذا لمطالب البريطانيين . وكانت النظارة السابقة لها ـ وهى نظارة شريف « باشا » الرابعة ـ قد رفضت اخلاء السودان ، وآثرت الاستقالة .

وغدت نظارة نوبار منذ أيامها الأولى ، أداة طيعة فى يد سلطات الاحتلال ، وبادرت الى اتخاذ التدابير لاخلاء السودان ، وازداد فى عهدها تغلغل النفوذ البريطانى فى المرافق المصرية . فنشطت بعض الصحف الفرنسية فى مصر ، وفى مقدمتها صحيفة : Le Bosphore Egyptien ، فى معارضة تصرفات الاحتلال فى مصر ، وتحدى نظارة نوبار ، دفاعا عن المصالح الفرنسية فى مصر .

---

(٢٨) سامى عزيز ، الصحافة والاحتلال ، ص ٧٠ ، ٧١ ، ١٠٥ ، ١٠٦ ، وابراهيم عبده ، تطور الصحافة ، ص ١٢٢ ـ ١٢٥ ، وصلاح قبضايا ، الصحف اليومية ، ص ٢٥ ، ٢٦ .

ولما اصدرت نظارة نوبار قرارا فى ٢٩ فبراير ١٨٨٤ ، بالغاء صحيفة « البوسفور » واغلاق مطبعتها ، لم تكترث الصحيفة لهذا القرار ، واستمرت فى الصدور ، محتمية بنظام الامتيازات الأجنبية ومساندة قنصلية فرنسا لها .

ووقفت الحكومةالمصرية مكتوفة الأيدى ، ازاء هذا التحدى السافر من الصحيفة الفرنسية(٢٩) ، مما شجع صحيفة « الأهرام » على أن تحذو حذو « البوسفور » ، فهى تمثل — معها — المصالح الفرنسية ، وهى تعتمد — مثلها — على رعاية فرنسا(٣٠) ، ويتمتع صاحباها بحماية القنصلية الفرنسية فى فى مصر ، منذ سنة ١٨٧٩(٣١) .

وكانت « الأهرام » منذ سنة ١٨٨٣ ، تعمل على نقل المصريين من الذهول الذى اصابهم فى أعقاب الهزيمة العسكرية ، الى يقظة مهدت « للحزب الوطنى » وجوده . فكانت تنقد مواقف سلطات

---

(٢٩) عبد العزيز محمد الشناوى ، « حادث جريدة البوسفور اجيبسيان : ازمة سياسية بين مصر وفرنسا فى أوائل عهد الاحتلال البريطانى » ، المجلة التاريخية المصرية ، المجلدان التاسع والعاشر (القاهرة : الجمعية المصرية للدراسات التاريخية ، ٦٠ — ١٩٦٢) ص ١١٧ — ١٢٩ . وصحيفة « البوسفور » كانت تصدر منذ ١٥ مايو ١٨٨٠ .

(٣٠) ابراهيم عبده ، تطور الصحافة ، ص ١٣٦ ، ١٤٠ ، ١٤١ ، ١٤٣ .

(٣١) منحت القنصلية الفرنسية فى مصر حمايتها لآل تقلا فى ٤ سبتمبر سنة ١٨٧٩ ، بعد أن اغلقت صحيفتهما ، وكاد أحدهما يقتل ، وينفى الثانى ، أيام الخديوى اسماعيل . راجع : ابراهيم عبده ، الاهرام ، حاشية ص ٢٤٥ ، خليل مطران (محرر) ، بشارة تقلا باشا ١٨٥٣ — ١٩٠١ (القاهرة : مطبعة الاهرام ، ١٩٠٢) ص ١١٢ ، نقلا عن صحيفة « الجامعة » .

الاحتلال ، وتصرفات الحكومة المصرية ، وتعارض اخلاء السودان ولكن بهدوء ورفق . اما بعد حادثة صحيفة « البوسـفور » فى فبراير ١٨٨٤ ، فقد اتصفت كتاباتها بالجراة والقوة(٣٢) .

وكان انعقاد مؤتمر لندن فى مايو سنة ١٨٨٤ ، لمعالجة الحالة السيئة التى وصلت اليها الخزانة المصرية ، فرصـة كبيرة امام « الأهرام » لمعارضة الاحتلال البريطانى ، وبيان مساوئه . فقد ندد بشارة تقلا باستئثار بريطانيا بأمر مصر . واشـاد بمواقف الدولة العثمانيـة وفرنسا بجـانب مصر . وطـالب باشتراك المصريين فى المؤتمر . وسافر بشارة تقلا الى لندن وباريس ، وامد « الأهرام » بأخبار المؤتمر ، وأجرى الأحاديث مع الحكام والسفراء ورجـال الأحـزاب ، وحـرر المقـالات فى صـحف البريطـانيين والفرنسيين ، وكانت كلها تفند أخطاء الاحتلال البريطانى وتعدد مساوئه ، مما أثار البريطانيين وأسخطهم عليه . وتولت صحيفتهم فى مصر « الاجبشيان جازيت » مهاجمة « الأهرام » وصاحبها . فوقف المصريون ــ يتقدمهم أعضاء « مجلس شورى القوانين » ــ بجـانب « الأهـرام » يعضدونهـا ، ويبعثون اليهـا برسـائل التأييد(٣٣) .

فما كان من مجلس النظـار الا ان قـرر يوم ١٩ اغسطس عـام ١٨٨٤ ، تعطيل « الأهرام » ومطبعتها لمدة شـهر ، لأنها

---

(٣٢) ابراهيم عبده ، الاهرام ، ص ١٧٤ ، ١٧٧ ــ ١٨٠ ، ٢٠١ ــ ٢١٥ ، وتطور الصحافة ، ص ١٣٨ ــ ١٤٠ .

(٣٣) .... ، « أهرام ، شعائر وطنية ، سنة ١٣٠١ » ، .... ، « محرر ثان » ، .... ، « التشكر » ، الاهرام ، ٤ أغسطس ١٨٨٤ ، ابراهيم عبده ، الأهـرام ، ص ٢١٦ ــ ٢٣٦ ، خليـل مطران ، بشـارة تقـلا ، ص ٣٣ ــ ٣٥ .

« نشرت جملة مواد سياسية من شأنها خدش سلطة واعتبار الحكومة الخديوية ، ونظرا لأن العدد الصادر من هذه الجريدة بتاريخ ١١ اغسطس سنة ٨٤ نشر فيه مراسلة من لوندره من هذا القبيل أشد طعنا مما سبق نشره فيها .. » . والرسالة المقصودة هى رسالة بشارة تقلا من لندن ، عما دار فى جلسة البرلمان البريطانى ، خاصا بتصرفات الوكيل البريطانى لوزارة الداخلية المصرية ، وموقف الوفد المصرى فى مؤتمر لندن . وتضمنت الرسالة نقدا لسياسة البريطانيين المالية فى مصر(٣٤) .

ولما نفذ البوليس قرار التعطيل يوم ٢٠ اغسطس ١٨٨٤ ، نشبت أزمة استمرت أكثر من شهر بين نوبار « باشا » والبريطانيين من ورائه ، وصحيفة « الأهرام » والقنصلية الفرنسية من خلفها ، انتهت باعتذار المسئولين المصريين للقنصلية الفرنسية، واعادة فتح المطبعة . وعادت « الأهرام » للصدور من يوم ٢٢ سبتمبر ١٨٨٤(٣٥) ، أكثر قوة ، وأشد عداء للاحتلال البريطانى .

وتعددت بعد ذلك حوادث اغلاق الحكومة المصرية ، بعض الصحف المتمتعة بحماية فرنسا . وكانت هذه الحوادث تنتهى دائما ، بتراجع الحكومة المصرية ، وعودة الصحف المغلقة الى الصدور ، مما كان يقوى مراكز الصحف المعارضة .

---

(٣٤) ابراهيم عبده ، تطور الصحافة ، ص ١٤١ ، ١٤٢ ، والاهرام ، ص ٢٣٨ — ٢٤٣ ، وقرار تعطيل « الأهرام » نشر فى : الوقائع المصرية ، ٢١ اغسطس ١٨٨٤ ، خليل مطران ، بشارة تقلا ، ص ٣٥ ، ٣٦ .

(٣٥) ابراهيم عبده ، الاهرام ، ص ٢٤٣ — ٢٤٩ ، خليل مطران ، بشارة تقلا ، ص ١٣ ، ٣٦ ، ٢٨٥ .

فقد اغلقت الحكومة المصرية يوم ٨ ابريل ١٨٨٥ صحيفة « البوسفور اجبسيان » . ونشبت أزمة حادة بين الحكومتين المصرية والفرنسية . ووقفت بريطانيا الى جانب مصر فى أول الأمر لأن الصحيفة عدوة لكلتيهما ، ثم تخلت عنها حين بلغت الأزمة حدا يهدد العلاقات بين فرنسا وبريطانيا ، مما أدى الى اعتذار نوبار « باشا » وعودة الصحيفة للظهور فى ٢١ مايو ١٨٨٥ . وقوى انتصار فرنسا صحيفة « الأهرام » ، فاشتدت معارضتها ، وحملت على البريطانيين وسياستهم فى جميع اعدادها(٣٦) .

وفى سنة ١٨٨٦ ، اغلقت الحكومة المصرية صحيفة « المحروسة » التى يتمتع صاحبها عزيز زندا برعاية فرنسا . ولكن الصحيفة لم تستسلم لقرار الاغلاق ، والتجأت الى القضاء المختلط الذى انصفها . فقد رفضت محكمة الاستئناف المختلطة دعوى الحكومة ، واثبتت أن لصاحب الصحيفة الحق فى فتح مطبعته واصدار صحيفته(٣٧) .

وبعيدا عن بطش الحكومة المصرية بالصحف الوطنية ، أعاد يعقوب صنوع ، يوم ٧ أغسطس ١٨٧٨ ، اصدار صحيفة « أبو نظارة » فى باريس ، بعنوان « رحلة أبى نظارة زرقاء .. » . وكان الخديوى اسماعيل قد أغلق صحيفته ونفاه من مصر سنة ١٨٧٨ ، بسبب معارضته سياسته . وأخذ يعقوب صنوع يهاجم الحكام المصريين ، ويعالج القضية المصرية ، ويروى لمواطنيه

---

(٣٦) عبد العزيز الشناوى ، « حادث البوسفور .. » ، المجلة التاريخية ، ٦٠ ـ ١٩٦٢ ، ص ١٤٨ ، ٢١٠ ، ابراهيم عبده ، تطور الصحافة، ص ١٤٥ ـ ١٤٧ .

(٣٧) سامى عزيز ، الصحافة والاحتلال ، ص ٨١ ، نقلا عن : الصادق ، ٢٢ ديسمبر ١٨٨٦ ، والمحروسة ، ٥ مايو ١٨٨٨ .

ظلم البريطانيين ، ويبصرهم بسياستهم داخل البلاد التى يحتلونها، ومحاولاتهم لاخراج القضية المصرية من الميدان الدولى ، لينفردوا بأمور البلاد . ولكن النظارات المصرية ، وخاصة نظارة نوبار « باشا » ، تعقبت صحيفة يعقوب صنوع ، ومنعت دخولها البلاد، فكان يتحايل لادخالها بتغيير أسمائها حتى بلغت أكثر من اثنى عشر اسما ، منها « النظارات المصرية » ، « أبو صفارة » ، « أبو زمارة » و « الحاوى » . ولكن أكثرها دواما كان اسم « أبو نظارة » . واستمرت فى الصدور حتى سنة ١٩١٠(٣٨) .

وفى باريس أيضا ، التقى جمال الدين الأفغانى مع الشيخ محمد عبده ، بعد ابعادهما عن مصر ، وأسسا « جمعية العروة الوثقى السرية » لاثارة الراى العام فى جميع البلاد الاسلامية ، ودعوتها الى الاتحاد والتضافر ، وانقاذ مصر والسودان من الاحتلال البريطانى . ثم أصدرا فى سنة ١٨٨٤ صحيفة باسم الجمعية لتذيع دعوتها بين الناس . وكانت صحيفة « العروة الوثقى » تعمل على اثارة مصر والهند على البريطانيين ، وتحث الدولة العثمانية على السعى لاخراجهم عن طريق السياسة والقوة معا ، وتسعى لاقناع فرنسا بمساعدة مصر ، واغراء روسيا بالزحف على الهند ، بالاعتماد على نفوذ الدولة العثمانية ، وعلى مساعدة الأفغان وايران(٣٩) .

---

(٣٨) ابراهيم عبده ، الصحفى الثائر ، كتاب روزاليوسف ، العدد السابع (القاهرة : دار روزاليوسف ، ١٩٥٥) ص ٤٨ ، ٦٤ ، ١١٨ ، ١٢٩ ، ١٦٠ ، سامى عزيز ، الصحافة والاحتلال ، ص ٧٢ .

(٣٩) عبد العظيم محمد رمضان ، تطور الحركة الوطنية فى مصر ، من سنة ١٩١٨ الى سنة ١٩٣٦ ، دراسات فى القومية العربية (القاهرة : دار الكاتب العربى ، ١٩٦٨) ص ٣٠ .

ولذلك قرر مجلس النظار فى أول مايو سنة ١٨٨٤ ، منع صحيفة « العروة الوثقى » من الدخول الى مصر « حفظا للنظام العمومى » . ومنعتها السلطات البريطانية من دخول الهند . غير أن الصحيفة لم تستسلم لهذا القرار ، وأعلنت فى عددها الصادر يوم ٢٢ مايو ١٨٨٤ ، انه لن يعجزها الدخول فى « كل بقعة تحوطها السلطة الانكليزية »(٤٠) . واستمرت « العروة الوثقى فى سياستها ، ففى سبتمبر ١٨٨٤ ، عملت على اثارة نار الثورة من جديد فى مصر . وانتهزت فرصة انشغال البريطانيين فى أحداث السودان ، ودعت الى القيام « بحركة خفيفة فى الشرقية والبحيرة والفيوم ، فيرتبك الانجليز وتخور قواهم ، فيتركوا البلاد لأهلها »(٤١) . وبعد عشر سنوات تقريبا ، بعث مصطفى كامل خطة « العروة الوثقى » لمحاربة الاحتلال البريطانى .

وفى مواجهة تزايد الصحف المعارضة للاحتلال البريطانى وانتشار صحيفة « الأهرام » المؤيدة للمصالح الفرنسية ، شجعت سلطات الاحتلال فى مصر يعقوب صروف وفارس نمر وشاهين مكاريوس ؛ على اصدار صحيفة « المقطم » . فأصدروها فعلا ابتداء من يوم ١٤ فبراير ١٨٨٩ . ودعمت السلطات البريطانية الصحيفة ماديا وصحفيا ، فوضعت الصحيفة كل امكاناتها فى خدمة سياسة وأهداف الاحتلال والدفاع عن رجاله . وقامت سياستهم على أساس أن البريطانيين احتلوا مصر ، ولن يخرجوا منها الا بارادتهم أو بفعل قوة تفوق قوتهم ، فلا نفع للمصريين من معارضتهم بريطانيا واستعانتهم بالدول الأخرى . وان مصلحتهم

---

(٤٠) ابراهيم عبده ، تطور الصحافة ، ص ١٤٣ ، ٢٤٦ ، نقلا عن الوقائع المصرية ، ١٥ مايو ١٨٨٤ .

(٤١) سامى عزيز ، الصحافة والاحتلال ، ص ١٣٤ .

المحتلين تتوافق مع آمـال المصريين ، لذلك يعمـلون على تنظيم امور مصر واصلاحها . وحتى ينال المصريون استقلالهم ، عليهم التعاون مع بريطانيا لترقيـة تعليمهم ومعارفهم واكتساب ثقـة المحتلين لينجزوا وعدهم بالجلاء(٤٢) .

واستشعر الوطنيون خطر « المقطم » بامكاناته الكبـيرة ، فاصدر الشيخ علي يوسـف صحيفة « المؤيد » في أول ديسمبر سـنة ١٨٨٩ ، لتفنيد آرائه . ولمـا أقلق نجـاح الصحيفـة الوطنية رجال الاحتلال ، استدعوا حسن حسنى « باشا » من الآستانة ، ليصدر « النيل » بالقاهرة ، يوم ١٧ ديسمبر ١٨٩١ ، لمساندة الاحتلال وتبرير سياسته .

وكان تولى الخديوى عباس حلمى الثـانى الشاب الطموح الحكم سنة ١٨٩٢ ، عاملا هاما فى تعضيد حركة مقاومة الاحتلال . فقد حاول أن يمارس سلطته الحقيقية ، فاصطدم مع « اللورد كرومر » الذى عمد الى الاساءة لكرامته . لذلك سعى الخديوى الى كسب حلفاء له من الوطنيين الطموحين والأجانب ، ليساندوه فى صراعه مع السلطات البريطانيـة . فاكتسب شعبية ونجح فى اثارة المشاعر ضد الاحتلال(٤٣) .

---

(٤٢) تيسير أحمد محمـد ابو عرجة ، جريدة المقطم ، ودورهـا فى الدعاية للاحتلال الانجليزى ١٨٨٩ — ١٩١٩ ، رسـالة ماجستير غير منشـورة (الجيزة : جامعة القاهرة ، كلية الاعلام ، ١٩٧٨) ص ١٩ ، عن : المقطم ، ٣٠ سبتمبر ١٩٠٧ .

(٤٣) Zayid, Mahmoud, «The Origins of the Liberal Constitutionalist Party in Egypt, in P.M. Holt, ed., Political and Social Change in Modern Egypt (London : Oxford University Press, 1968), P. 336.

وقد سمح الخديوى عباس لعبد الله النديم ، بالعودة من منفاه الى مصر سنة ١٨٩٢ ، فأصدر باسم أخيه عبد الفتاح النديم ، صحيفة « الأستاذ » الأسبوعية ، يوم ٢٤ أغسطس ١٨٩٢، بصفتها « جريدة علمية تهذيبية فكاهية ، لا تتعرض للأمور السياسية الحاضرة الداخلية والخارجية » . وتولى تحريرها عبد الله النديم ، الذى جعلها منبرا مؤيدا للخديوى والوطنيين ، معارضا للاحتلال وصحفه .

وانتشرت « الأستاذ » انتشارا كبيرا ، حتى بلغ توزيعها نحو ثلاثة آلاف نسخة ، وصارت خصما خطيرا « للمقطم » المعادية للحركة الوطنية والخديوى عباس .

وبتأثير « الأستاذ » قام الشباب الوطنى ، وعلى رأسهم مصطفى كامل وهو طالب بمدرسة الحقوق ، بمظاهرة يوم ٢٠ يناير ١٨٩٣ ، تهاجم دار « المقطم » وتحرقها ، احتجاجا على وقوف اللورد كرومر ضد الخديوى لأنه أقال مصطفى فهمى رئيس النظار المستسلم للاحتلال ، وعين مكانه حسين فخرى ، دون استئذان المعتمد البريطانى ، الذى ثار وهدد بعزل الخديوى ، فتراجع الخديوى ، وحلت الأزمة بتعيين رياض « باشا » بدل حسين فخرى(٤٤).

ولكن مقالات عبد الله النديم الساخرة ضد المحتلين ، دفعت اللورد كرومر الى الأمر باغلاق الصحيفة ، ونفى صاحبها خارج

---

(٤٤) على الحديدى ، عبد الله النديم خطيب الوطنية ، أعلام العرب ، العدد ٩ (القاهرة : المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر ، ١٩٦٢) ص ٣٢٩ ، ٣٣٠ ، ٣٥٦ ، ٣٥٧ ، ٣٦١ ، تيسير أبو عرجة ، المقطم ١٨٨٩ - ١٩١٩ ، ص ٣٧ .

مصر . فتوقفت « الأستاذ » بعد أن صدر منها اثنان وأربعون عددا ؛ وتأثر مصطفى كامل بنصـــائح صاحبها له بتجنب أخطاء العرابيين ، فى معارضتهم للخديوى واعتمادهم على الجيش أكثر من الرأى العام .

وتوالت أنشطة الصحف الوطنية فى مقاومة الاحتلال ، والرد على صحفـــه .

(ثانيـــا)
تأثر وتأثير الصحافـة المصرية
فى الحـوادث الهامة

١ ـ حادثة فاشودة سـنة ١٨٩٨ :

عايشت الصحافـة المصريـة ، عدة حوادث هامـة فى عهد الاحتلال البريطانى لمصر ، تأثرت بها أو أثرت فيهـا ، أو فعلت الشيئين معا .

ومن هذه الحوادث ما جرى فى سنة ١٨٩٨ ، عندما احتلت قوة عسكرية فرنسية ، يوم ١٠ يولية ، موقع « فاشودة » الهام على النيل فى جنوب السودان المصرى . وكانت فرنسـا تهدف بهذه الحملة الى صد التيار البريطـانى فى باطن أفريقية ، وفتح باب مناقشة المسألة المصرية برمتها . ولكن الأمور تحرجت بين بريطانيا وفرنسا . فقد اعترضت بريطانيا باسم مصر على الحملة

الفرنسية . وتمكن « اللورد كتشنر » بقوة مصرية بريطانية ، من استرداد « فاشــودة » . وجلت عنهـا القوة الفرنسية يوم ١١ ديسمبر ١٨٩٨(٤٥) .

وكان ظن الوطنيين المصريين وصحفهم ، أن فرنسا ستعلق اخلاء « فاشودة » على جلاء البريطانيين عن مصر ، فقويت آمال المصريين فى الاستقلال . وكتبت الصحف المصرية وفى مقدمتهـا « الأهرام » و « الوطن » و « المؤيد » ، تذكر بوعود الجـلاء التى اصدرها المسئولون البريطانيون ، وتطالب بالوفاء بها(٤٦) .

ولذلك شكل تراجع فرنسا أمام بريطانيا ، صــدمة كبيرة للحركة الوطنية المصرية وصحفها ، لأنه دل على أن فرنسا لا تنوى معارضة بريطانيا فى احتلال مصر ، واكد نية بريطانيا فى دوام احتلالها مصر والسودان .

وكان اثر حادثة « فاشودة » على المصريين متباينا . فبينما جنح أكثر رجالات مصر الى الولاء للاحتلال البريطانى واكتساب رضاه ، أصرمصطفى كامل على الثبات فى جهاده « حتى الممات » ، واستثار فى النفوس روح الأمــل والواجب . وفى خطابــه يــوم ٢٣ ديسمبر ١٨٩٨ بالقاهرة ، قال كلمته المـأثورة « لا معنى للحياة مع اليأس ، ولا معنى لليأس مع الحيــاة » . ونفض الزعيم يده من مســاعدة فرنســا لمصر . واتجــه الى اعتمــاد المصريين على أنفسهم . ومن هنا استشعر الحاجة الى اصدار صحيفة وطنية ، تغذى النفوس والعقول بمبادىء الوطنيةوالكرامة(٤٧) .

---

(٤٥) عبد الرحمن الرافعى ، مصطفى كامل باعث الحركة الوطنية ، الطبعة الأولى (القاهرة : مطبعة الشرق ، ١٩٣٩) ص ١١٧ — ١٢١ .

(٤٦) ابراهيم عبده ، تطور الصحافة ، ص ١٥٥ .

(٤٧) عبد الرحمن الرافعى ، مصطفى كامل ، ص ١٢١ — ١٢٦ ، ١٧٤ .

وأخذت الصحف المصرية دروسا من موقف فرنسا فى « فاشودة » ، وعدلت خطتها ، فلم تعد تعتمد كل الاعتماد على قوة أجنبية لتفرض على البريطانيين الجلاء عن مصر ، بل أخذت تستنهض همم المصريين لتحقيق استقلال بلادهم ، اعتمادا على انفسهم أولا(٤٨) .

ويقول أحمد لطفى السيد ، ان وقوف المصريين مع الفرنسيين ضد البريطانيين الذين كانوا يطالبون « بفاشودة » باسم مصر ، معناه كراهية المصريين للاحتلال وكل ما يأتى به ولو كان خيرا(٤٩) .

٢ ـ اتفاق السودان سنة ١٨٩٩ :

وصدمت الحركة الوطنية المصرية صدمة جديدة ، عند توقيع اتفاق السودان فى ١٩ يناير ١٨٩٩ ، لأنه خول بريطانيا رسميا حق الاشتراك فى ادارة شئون الحكم فى السودان ، وتعيين حاكم عام له بناء على طلب الحكومة البريطانية . ويعنى ذلك سلخ السودان فعلا عن مصر ، واستئثار البريطانيين بحكمه وادارته .

وكان موقف الصحف المصرية سلبيا ، لأنها كانت تجهل أمر الاتفاق ، فلم تنشر شيئا عنه قبل توقيعه . أما بعد ابرامه فقد كان موقفها تجاهه ضعيفا . وجاء موقف « المؤيد » فاترا لينا ، دفع الوطنيين المصريين الى عدم الارتياح له(٥٠) . وعندما قالت

---

(٤٨) ابراهيم عبده ، تطور الصحافة ، ص ١٥٥ ، ١٥٦ .

(٤٩) أحمد لطفى السيد ، قصة حياتى (القاهرة : دار الهلال ، ١٩٨٢) ص ٤١ .

(٥٠) عبد الرحمن الرافعى ، مصطفى كامل ، ص ١٢٩ ، ١٣٠ ، ابراهيم عبده ، تطور الصحافة ، ص ١٥٨ .

« المؤيد » ان الخديوى مصمم على معارضة اتفاق السودان ؛ ردت « المقطم » بأن هـذا الكلام ذهب أدراج الرياح ، « اقتناعا بأن المصلحة لا تصان الا بالاتفاق والوئام »(٥١) .

وكان طبيعيا أن ترحب الصحف المتعاونة مع سلطات الاحتلال بالاتفاق ؛ وهذا ما فعلته صحيفة « الاجبشيان جازيت »(٥٢) ، وكذلك « المقطـم » التى دعت المصريين الى التسـليم الكامل للاحتلال ، والتمتع بمزاياه(٥٣) .

أما مصطفى كامل ، فقد احتج احتجاجا شديدا على اتفاق السودان ، على صفحات الصحف الأوربية(٥٤) . وأيقن بسبب ضعف موقف الصحف المصرية تجـاه الاتفاق ، ضرورة اصـدار صحيفة وطنية يومية كبرى ، وشرع فعلا فى تأسيسها . واختار لها اسما معبرا عن سياستها وهدفها هو « اللواء » . وصـدر العدد الأول منها يوم ٢ يناير سنة ١٩٠٠ .

وظل اتفاق السودان لعدة سنوات ، سلاحا فى أيدى الصحف المصرية الوطنيـة ، تطعن به سياسة الاحتـلال البريطـانى فى الصميم . وكان احمد حلمى من أكثر الكتاب حماسة فى الاحتجاج

---

(٥١) تيسير أبو عرجة ، المقطم ١٨٨٩ — ١٩١٩ ، ص ٣٨ ، نقلا من : المقطم ، ٢٠ يناير ١٨٩٩ .

(٥٢) احمد فيليب عبد الملك ، « الصحافة الانجليزية فى مصر : تطورها وموقفها من الحوادث المصرية الهامة ١٨٨٢ — ١٩٢٢ » ، رسـالة دكتوراه ، غير منشورة (الجيزة : كلية الآداب بجامعة القاهرة ، ١٩٦٢) ص ١٢٨ ، ١٢٩ .

(٥٣) تيسير أبو عرجة ، المقطم ١٨٨٩ — ١٩١٩ ، ص ٤٠ ، نقلا من : المقطم ، ٧ مارس ١٨٩٩ .

(٥٤) عبد الرحمن الرافعى : مصطفى كامل ، ص ١٣٤ .

على سياسة بريطانيا الرامية الى فصـــل السودان عن مصر .
وحفلت صحيفته « القطر المصرى » فى سنتى ١٩٠٨ و ١٩٠٩ ،
بكثير من المقالات العنيفة ضد الاحتـــلال واتفاق السـودان(٥٥) .

٣ ـ « الاتفاق الودى » سنة ١٩٠٤ :

وفى سـنة ١٩٠٤ ، مرت الصحافة المصرية بامتحان جديد .
فقد نجحت بريطانيا وفرنسـا فى ازالة أوجه الخـلاف بينهما ،
لكى تقاوما نفوذ المـانيا الآخذ فى الازدياد فى أوربا وغيرها ، والذى
كان يهدد مصـــالح الدولتين . وابرمتــا فى ٨ أبريـــل ١٩٠٤ ،
« الاتفاق الودى » ، الذى نص على أن بريطانيا « ليس فى نيتهــا
تغيير الحالة السياسية لمصر » . وتعهدت فرنسا « بعدم عرقلة
عمل انجلترا » فى مصر ، مقابل التزام بريطـانيا بألا تعرقل عمل
فرنسا فى مراكش . ومعنى هذا الاتفاق ، أن فرنسا أقرت الاحتلال
البريطـانى فى مصر ، وعدلت عن مطالبة بريطانيا بالجلاء عنها .
اما نتيجته فهى تقوية مركز بريطانيا فى مصر(٥٦) ، وفقد الحركة
الوطنية المصرية نصيرا هاما لها فى مقاومة الاحتلال البريطانى ،
وفتور تشجيع الصحف الفرنسية للحـركة الوطنيـــة المناهضـــة
للاحتلال .

وكان « الاتفاق الودى » عاملا أساسيا فى تغيير الاتجاهات
الصحفية ، وفتور الحماسة الوطنية لدى أكثر الصحف المصرية .
فالشيخ على يوسف صاحب « المؤيد » ، كان قد مال الى جانب
البريطانيين منذ زيارته عاصمتهم سنة ١٩٠٣ . وبصراحة أوضح

---

(٥٥) احمد احمد بدوى ، مع الصحفى المكافح احمد حلمى (القاهرة
مكتبة نهضة مصر ، ١٩٥٧) ص ٦٣ ـ ٦٨ .

(٥٦) عبد الرحمن الرافعى ، مصطفى كامل ، ص ١٧٢ ـ ١٧٣ .

« المؤيد » فى يولية ١٩٠٣ ، أن خطته « تنحصر فى أن نعمل مع الانكليز .. لترقية بلادنا على قاعدتين أساسيتين : الأولى ، ايجاد قوة نيابية فى مصر تساعد حكومتها على اداء وظيفتها . والثانية ، السعى فى تعميم التعليم وجعله وطنيا » . فلما عقد « الاتفاق الودى » ، كان موقف « المؤيد » منه لينا . والتزمت « الأهرام » سياسة الحياد الى حين .

أما « اللواء » ، فقد ثبت فى جهاده ، ومضى يغذى فى المصريين وطنيتهم ويحافظ على حماستهم . واتجه مصطفى كامل اتجاها جديدا ، جوهره أن يعتمد المصريون على أنفسهم ، عالمين أن الدول الأوربية « جميعا سواء فى استعمارها »(٥٧) .

وبينما تسبب موقف « المؤيد » الضعيف تجاه « الاتفاق الودى » فى انخفاض مكانته لدى المصريين والأتراك ، نالت سياسة « اللواء » تأييدهم ، وازدادت مكانته ارتفاعا ، وحقق توزيعه أكبر الأرقام(٥٨) .

* * *

وفى سنة ١٩٠٦ ، توالت ثلاثة أحداث أسهمت بوقوعها وبمعالجة الصحف الوطنية لها ، فى بعث الشعور الوطنى المصرى،

---

(٥٧) ابراهيم عبده ، تطور الصحافة ، ص ١٦٥ ، نقلا من : اللواء ، ١٨ ابريل ، ٢٥ مايو ١٩٠٤ ، واحمس فيليب ، الصحافة الانجليزية ، ص ٢٧ .

(٥٨) ... ، « الصحافة المصرية وموقفها اليوم » ، الشعب ، ١٩ مايو ١٩١٢ ، ص ١ ، محمد فريد ، مذكراتى بعد الهجرة ١٩٠٤ — ١٩١٩ ، تحقيق : مركز وثائق وتاريخ مصر المعاصر (القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٨) ص ١٢١ ، ١٢٢ ، وابراهيم عبده ، تطور الصحافة ، ص ١٦٦ .

وهى : اضراب طلبة الحقوق ، ومشكلة طابة ، وحادثة دنشواى . كما كشفت هـذه الحوادث عن قدرة الصحافة المصرية على توجيه الراى العام ، ومقاومة الاحتلال .

٤ ـ اضراب طلبة الحقوق سنة ١٩٠٦ :

ويعتبر اضراب طلبة مدرسة الحقوق الخديوية ، فى فبراير سنة ١٩٠٦ ، أول حركة احتجاج ناجحة قام بها الطلبة فى مصر الحديثة . وكان سببها فرض نظارة المعارف مجموعة نظم قاسية على الطلبة . فقرر الطلبة فى اجتماع عام الامتناع عن الدراسة حتى يستجاب لتظلمهم . وشجعهم مصطفى كامل فى عموده « باللواء » . فاتخذ الطلبة من « اللواء » لسانا لحالهم . ولما وافق المستشار القضائى البريطانى على النظر فى تظلم الطلبة ، انهوا اضرابهم ، وعادوا للدراسة يوم ٣ مارس ١٩٠٦ . وكان هذا الاضراب هو المرحلة الأولى العملية لاتصال طلبة المدارس العالية بالحركة الوطنية ، وتشبعهم بالمبادىء الاستقلالية(٥٩) .

٥ ـ مشكلة طابة سنة ١٩٠٦ :

وكان للنزاع بين مصر ، وتركيا صاحبة السيادة الاسمية عليها ، حول حدود سيناء ، وهو ما عرف بحادثة طابة ، أثره فى تأجج المشاعر الوطنية المصرية . نشب النزاع حول ملكية جانب من شبه جزيرة سيناء لأسباب متعددة . وتدخلت بريطانيا صاحبة السلطة الفعلية فى مصر ، بالوسائل السياسية والعسكرية . ووجهت انذارا الى الباب العالى . ثم حسم الموقف ، فى أول

---

(٥٩) عبد الرحمن الرافعى ، مصطفى كامل ، ص ١٩٦ ، ١٩٧ ، وجولد شميث ، الحزب الوطنى ، ص ١١٦ ، ١١٧ .

أكتوبر ١٩١٠ ، لمصلحة مصر والأهداف الاستراتيجية البريطانية . وبقيت طابة ضمن أراضى مصر ، والعقبة تابعة لتركيا .

وقد فجرت حادثة طابة مسألة الاحتلال والجلاء ، والهبت مشاعر الشعب المصرى ، ليس ضد تركيا ـ الطرف الآخر فى النزاع ـ كما هو متوقع ، بل ضد بريطانيا التى حسمت النزاع لصالح مصر . وذلك لعدة أسباب هى : تعامل بريطانيا مع مصر على أنها مستعمرة ضمن مستعمراتها ، واستهانتها بالسيادة العثمانية عليها ، وكراهية البلاد للاحتلال لدرجة رفضه مع كل ما يأتى به ، ولو كان فيه الخير لمصر(٦٠) .

وقد استنكر مصطفى كامل و « اللواء » ، ظهور بريطانيا بموقف الدولة الحامية لمصر ، ودعا البريطانيين الى الجلاء عن مصر ، بدلا من ان يتظاهروا بالدفاع عن حقوقها . ودافعت « اللواء » عن موقف تركيا ، مراعاة للدين المشترك ، واعتقادا بأن تركيا ترمى بعملها هذا الى مناقشة المسألة المصرية من جديد ، لاجبار بريطانيا على الوفاء بعهودها فى الجلاء عن مصر(٦١) . وساندت « اللواء » صحف : « الأمة » ، « الظاهر » ، و « المؤيد » ، بدرجات متفاوته من الحماسة .

أما مؤيدو السياسة البريطانية ، وجماعة المعتدلين ، فقد عضدوا موقف بريطانيا والحكومة المصرية . وعبرت عن هذين الاتجاهين صحيفتا « المقطم » و « الوطن »(٦٢) .

---

(٦٠) لطفى السيد ، قصة حياتى ، ص ٤١ .

(٦١) عبد الرحمن الرافعى ، مصطفى كامل ، ص ١٩٧ ـ ١٩٩ ، جولد شميت ، الحزب الوطنى ، ص ١١٥ ـ ١١٨ .

(٦٢) يتضح هذا من كتابات الصحف بين يناير واكتوبر ١٩٠٦ ، ابراهيم عبده ، تطور الصحافة ، ص ١٧٥ .

ويقول أحمد لطفى السيد ، رئيس تحرير « الجريدة » ، ان « مسألة العقبة » ومواقف الصحف تجاهها ، هو الذى دفعه الى التفكير فى « انشاء جريدة مصرية حرة ، تنطق بلسان مصر وحدها ، دون أن يكون لها ميل خاص الى تركيا ، أو الى احدى السلطتين الشرعية والفعلية فى البلاد .. »(٦٣) .

أما السلطات البريطانية ، فتنبهت الى كفاءة الصحف المصرية فى اثارة الرأى العام المصرى ضدها فى أثناء أزمة طابة ، الى حد دفع « اللورد كرومر » الى استدعاء تعزيزات عسكرية بريطانية فى أوائل مايو ١٩٠٦ ، لمواجهة « تحريض الصحافة الاسلامية لمشاعر جماهير المسلمين » .

بل ان فكرة احياء قانون المطبوعات ، نشأت من أثر موقف الصحافة المصرية خلال الأزمة . فقد كتب المعتمد البريطانى بمصر الى وزير خارجيته فى أواخر أبريل ١٩٠٦ يقول : « فيما يتعلق بالاجراءات ضد الصحافة الداعية الى الجامعة الاسلامية ، فقد علمت من مستشارى القانونيين ان للحكومة المصرية الحق فى ايقاف أى جريدة طبقا لقانون للصحافة لا يعمل به منذ سنوات ، وسوف تعيد الحكومة المصرية اليه الحياة »(٦٤) .

---

(٦٣) لطفى السيد ، قصة حياتى ، ص ٤١ .

(٦٤) يونان لبيب ، « أزمة العقبة المعروفة بحادثة طابه ١٩٠٦ » ، المجلة التاريخية المصرية ، المجلد الثالث عشر (القاهرة : الجمعية المصرية للدراسات التاريخية ، ١٩٦٧) ص ٤٠١ ، ٣٠٢ ، اعتمادا على الوثائق البريطانية .

وفى تقريره عن سنة ١٩٠٦ ، يتهم « اللورد كرومر » الصحف المصرية بزعزعة الاعتقاد بوجوب منح الحريـة للصحف ، قـائلا انها شوهت صورة السياسة البريطانية رغم وقوفها الى جانب مصلحة مصر وبموافقـة الخديوى ، وصورت هذه السياسـة وكأنها « غارة شـعواء على رئيس الديانة الاسـلامية وصاحب السيادة على الديار المصرية ، وأفرغت كل جهدها فى اثارة الأحقاد الجنسية والملية » ، ولذلك « فلا حرج على من يستنتج من هذه الأمور كلها وجوب تقييد حرية الجرائد » . ولكن رأى « كرومر » الشخصى هو زيادة الحامية البريطانية فى القطر المصرى لضـمان حفظ النظام العام ، ولبعث الثقة والاطمئنان فى نفوس المحافظين على القانون(٦٥) .

٦ ـ حادثة دنشواى سنة ١٩٠٦ :

لم تكن المشاعر الوطنية والكتابات الصحفية ، التى أثارتها مسألة طابة قد هدأت ، عندما استثارتها من جديد وبشدة حادثة دنشـواى .

ففى ١٣ يونية ١٩٠٦ ، توجه بعض الضباط البريطـانيين لصيد الحمام فى قرية دنشواى بالمنوفية ، دون استئذان أهلها . ولـما أطلق الضباط الرصاص على الحمام فى « جرن » القرية ؛ وقت دراس القمح ، اشتعلت النـيران فى « الجرن » . وهب

---

(٦٥) كرومر ، تقرير عن المـالية والادارة والحـالة العمومية فى مصر وفى السودان سـنة ١٩٠٦ ، ترجمـة المقطم (القـاهرة : المقطم ، ١٩٠٧) ، ص ١٦ ، ١٧ .

الفلاحون للدفاع عن ممتلكاتهم ، فاشتبكوا مع الضباط ، وأصيبت سيدة وعدد من الأهـالى . كما أصيب بعض الضباط البريطانيين اصابات بالغة ، أدت الى وفاة أحدهم متأثرا من ضربة الشمس .

واسرعت الصحف الناطقـة بلسـان الاحتلال « كالمقطم » و « الاجبشيان جازيت «The Egyptian Gazette» ، باتخـاذ موقف عدائى من اهـالى دنشـواى ، فحملتهم مسئولية الحادثة ووصفتهم بالوحشـية واتهمتهم بالتعصـب الدينى(٦٦) . وقبل انتهاء التحقيق نشرت « المقطم » يوم ١٨ يونية ١٩٠٦ ، أن الأوامر صدرت الى مخازن البوليس فى بولاق بتجهيز المشنقة لارسـالها الى دنشواى اذا اقتضت الأحوال(٦٧) . وبثت صحيفة « الديلى كرونيكل » الانجليزية بالقاهرة ، مشاعر الخوف والرعب عندما قالت يوم ٢٠ يونية ان الأهـالى سيؤخذون بالشدة ، والأحكام ستنفذ بصرامة ، والاعدام سينفذ علنا(٦٨) .

واتخـذت الصحف الفرنسية بمصر : « لوجورنال دوكير «Le Journal du Caire» و « لاريفـورم «La Réforme» و « لوبوسـفور «Le Bosphore» مما حـدث فى دنشـواى ذريعة لوصف المصريين عامة ، والمسلمين منهم خاصـة ، بالوحشية والتعصب الشديد ضد الأجانب . وعابت على مصطفى كامل أنه

---

(٦٦) محمد جمال الدين على المسدى ، دنشواى ، مطبوعات مركز وثائق وتاريخ مصر المعاصر (القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٤) ، ص ٢٦ ، وأحمس فيليب ، الصحافة الانجليزية ، ص ١٣٩ — ١٦٥ .

(٦٧) ليسير ابو عرجة ، المقطم ١٨٨٩ — ١٩١٩ ، ص ٤٧ .

(٦٨) المسدى ، دنشواى ، ص ٩٠ .

وسع الهوة بين المصريين والجاليات الأوربية • وحثت قادة المصريين على غرس التسامح فى النفوس(٦٩) •

أما الصحف الوطنية ، سواء المتطرفة منها أو المعتدلة ، فقد كان موقفها تجاه الفلاحين بعد الحادث مباشرة موقفا فاترا . فساوت « المؤيد » بينهم وبين الضباط البريطانيين فى المسئولية ، ونادت بحصر الحادث بين المشتركين فيه وحدهم . وحملت « الوطن » و « مصر » فلاحى دنشواى مسئولية الحادث . ويرجع هذا الفتور الى مشاعر الضعف التى انتابت الحركة الوطنية ، وتخوفها من التطرف ، وعدم ثقتها فى قيام الفلاحين بدور فعال ومأمون فى هذه الحركة ، التى كادت أن تنحصر فى فئة المثقفين فى المدن •

ثم استشعرت الصحف الوطنية الخطر ، عندما نشرت « المقطم » فى ١٨ يونية و « المؤيد » يوم ٢٠ يونية ١٩٠٦ ، أخبار اعداد المشنقة وتجربتها . وأدركت هذه الصحف أبعاد الحادث وعواقبه ، بعد ذيوع التهديدات بأشد العقاب ، فغيرت الصحف الوطنية موقفها ، وفى مقدمتها « اللواء » و « المؤيد » ، وعارضت احالة القضية الى المحكمة الخاصة ، وأوضحت مسئولية الضباط البريطانيين عن الحادث (٧٠) .

وقد قدم ٥٩ من الفلاحين الى محكمة خاصة ذات سلطات مطلقة ، برئاسة بطرس « باشا » غالى ناظر الحقانية بالنيابة ،

---

(٦٩) محمود نجيب أبو الليل ، الأمانى الوطنية والمشكلات المصرية فى الصحف الفرنسية ، منذ عقد الاتفاق الودى حتى اعلان الحرب العالمية الأولى ، الطبعة الأولى (القاهرة : مطبعة التحرير ، ١٩٥٣) ص ١١٥ ـ ١١٧ .

(٧٠) السدى ، دنشواى ، ص ٩٠ ، ٩٩ •

وكان أكثر أعضائها من البريطانيين . وأصدرت حكمها يوم ٢٧ يونية ١٩٠٦ باعدام ٤ من الفلاحين وبحبس وجلد وسجن ١٧ فلاحا . وبأسلوب وحشى بدت فيه الرغبة فى الارهاب والتشفى ، نفذت الأحكام فى اليوم التالى علنا وأمام أهالى القرية، وفى نفس مكان الحادث .

فأثار الحادث ، والأحكام القاسية ، وأسلوب تنفيذها موجة من السخط داخل مصر وخارجها .

فى مصر ، شنت الصحف الوطنية حملة قوية ضد تصرف سلطات الاحتلال فى حادثة دنشواى ، واشتدت فى فضح السياسة البريطانية بصفة عامة . قاد الحملة مصطفى كامل من باريس حيث كان يستشفى ، وبدأ كتاباته بمقال وجهه « الى الأمة الانجليزية والعالم المتمدن »(٧١) ، نشرته صحيفة « الفيجارو Figaro » الفرنسية الشهيرة ، يوم ١١ يولية ١٩٠٦ ، ونقلته عنها « اللواء » يوم ١٨ يولية . كما نشرت الصحف الوطنية ترجمة لمقالات مصطفى كامل والكتاب الأوربيين المتعاطفين مع القضية المصرية .

واشتركت « المؤيد » فى الحملة الصحفية بتفنيد أقوال المسئولين والصحف البريطانية . ثم كتب الشيخ على يوسف خلال شهر أكتوبر ١٩٠٦ ، سلسلة مقالاته « فى قصر الدوبارة بعد يوم الأربعاء » التى فضح فيها سياسة الاحتلال فى جميع المجالات .

ووقفت بجانب « اللواء » و « المؤيد » عدة صحف منها « المنبر » و « الظاهر » . وارتكزت خطتها على بيان حقيقة

---

(٧١) عبد الرحمن الرافعى ، مصطفى كامل ، ص ٢٠٨ - ٢١٧ .

ما حدث فى دنشواى ، ومدى الظلم الذى وقع على المصريين . وتفنيد ادعاءات المسئولين البريطانيين ، والصحف الأجنبية والمصرية المتعاونة معهم ، ومحاولتها التأثير على المحكمة والرأى العام زوراً ، واستهانتها بالعدالة ، ونفى اتهام المصريين بالتعصب الدينى وكراهية الأجانب المسيحيين(٧٢) .

وامتدت الحملة الصحفية الوطنية الى معارضة سياسة الاحتلال القائمة على الحكم المطلق والمحاكم الاستثنائية ، وتقييد الصحافة ، وتوجيه التعليم لخدمة الاحتلال ، وتمييز البريطانيين عن المصريين فى الوظائف .

وهكذا وضع حادث دنشواى النهاية لفترة استقرار وطمأنينة تمتع بها الاحتلال . وأدى إلى تقوية الحركة الوطنية بالتقريب بين الخديوى وزعمائها ، وبجذب الفلاحين الى صفوفها المتمركزة فى المدن ، وهو ما كانت تخشاه سلطات الاحتلال(٧٣) . وأخذ تأثير الحركة الوطنية بقيادة مصطفى كامل يتزايد ، فكثرت اضرابات الطلبة ، واتسع انتشار الصحف الوطنية(٧٤) .

وفى الجانب المضاد للحركة الوطنية ، أبرزت « المقطم » وجهة النظر البريطانية ، التى أكدت براءة الضباط وصفاء نيتهم .

---

(٧٢) انظر على سبيل المثال : ... ، « خطبة اللورد كرومر فى البرلمان الانكليزى ، على لسان السير ادوارد غراى » ، المؤيد ، ٨ يولية ١٩٠٦ .

(٧٣) مصطفى النحاس جبر يوسف ، سياسة الاحتلال تجاه الحركة الوطنية ١٩٠٦ – ١٩١٤ (القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ، مركز وثائق وتاريخ مصر المعاصر ، ١٩٧٥) ص ٢٧ .

(٧٤) بيرنز ، الينور ، « الاستعمار البريطانى فى مصر » ، ترجمة أحمد رشدى صالح ، الطبعة الثانية (القاهرة : بدون اسم ناشر ، ١٩٥١) ص ٢٣ .

ونصحت الصحيفة بحصر القضية بين خمسة من الضباط البريطانيين وأهل احدى القرى المصرية ، وابعادها عن أن تكون قضية سياسية بين الأمة المصرية والأمة البريطانية . وقالت « المقطم » ان حكم القضاء « الرهيب » صدر على أهل دنشواى جزاء ما جنت أيديهم واجراء للعدل وحفظا للأمن والنظام .

واستشعرت « المقطم » خطورة تحرك مصطفى كامل ضد الاحتلال ، فاشتدت فى هجومها عليه وحاولت تشويه شخصيته ، ووصفته بأنه متطرف و « هجاص » ومستغل للنفوذ لتحقيق المنفعة الذاتية(٧٥) .

وكان رد فعل السياسة البريطانية ومحاولات تبريرها لدى المصريين الوطنيين سيئا . ويذكر سلامة موسى ، الذى عاصر حادثة دنشواى ، كم تألم نفسيا عندما برر « ادوارد جراى » وزير خارجية بريطانيا ، الجرم الذى ارتكبه « كرومر » فى دنشواى ، بقوله : « ان التعصب الاسلامى قد تفشى فى أفريقيا الشمالية بما فى ذلك مصر » ، وعندما كتب « المقطم » يقول أن تعصب المصريين المسلمين يمتد ويشتد ، ويجب أن يكبحوا بمشانق دنشواى . ولم يجد سلامه موسى تعزيته الا فى شىء واحد ، هو أن « الوجدان الوطنى أصبح عاما ، وتنبهت الأمة كأنها استيقظت من نوم . فكنت أجد بعض الشبان يشترون « المقطم » ويمزقونه حتى لا يقرأه أحد . وحتى الأقباط الذين كانوا متوجسين من حركات الحزب الوطنى الدينية ، أصبحوا وطنيين يكرهون الانجليز .. ولكن اختلاط الحركة الوطنية

---

(٧٥) تيسير أبو عرجة ، المقطم ١٨٨٩ – ١٩١٩ ، ص ٤٧ ، ٤٨ ، ٥١ ، عن : المقطم ، ١٨ ، ١٩ ، ٢٧ يونية ، ٨ ديسمبر ١٩٠٦ .

بالدعوة الاسلامية من ناحية ، وبالرغبة فى السيادة العثمانية من ناحية أخرى ، عرقل الاندماج التام للأقباط فى الحركة الوطنية . فكانوا يشيحون عنها ، ويذكرون حكم الأتراك ومظالمهم أيام اسماعيل وتوفيق »(٧٦) .

وكان لموقف الوطنيين المصريين وصحفهم تجاه السياسة البريطانية فى دنشواى ، اثر واضح على مخططى هذه السياسة . فاتجهوا بها الى تقوية الاتجاه المعتدل ، لاحداث التوازن المطلوب مع الاتجاه الوطنى المتحمس ، أو « المتطرف » كما تصفه سلطات الاحتلال . فأسندت نظارة المعارف الى سعد زغلول فى أكتوبر سنة ١٩٠٦ ، وشجعت جماعة المعتدلين المثقفين على اصدار صحيفة « الجريدة » فى مارس ١٩٠٧ ، وانشاء حزب « الأمة » فى سبتمبر من نفس العام .

أما أثر حادثة دنشواى فى بريطانيا نفسها ، فقد تمثل فى استياء الرأى العام البريطانى استياء شديدا ، سجله بعض الكتاب بعد ذلك ، عندما وصفوا الحادثة بأنها « واحدة من ابشع ما روى التاريخ من مظالم العدالة البريطانية الشائنة ضد شعب مستعمر »(٧٧) .

وكانت كتابات « المقطم » و « الوطن » و « البروجريه «Le Progres ، الصادرة بالفرنسية فى مصر ، والتى أيدت بشدة سياسة الاحتلال وموقف سلطاته فى مسألة دنشواى ،

---

(٧٦) سلامه موسى ، تربية سلامه موسى (القاهرة : سلامه موسى للنشر والتوزيع ، بدون تاريخ) ص ٤٤ ، ٤٥ .

(٧٧) بيرنز ، الاستعمار البريطانى ، ص ٢١ .

لافتة لنظر أعضاء مجلس العموم البريطانى . وتقدم العضو « روبرتسون Mr. J.M. Robertson » ، الى وزير الخارجية البريطانية ، يوم ١١ أبريل ١٩٠٧ ، يتساءل عما اذا كانت دار المعتمد البريطانى فى مصر ، تقدم أى عون مالى لهذه الصحف أو لأى منها ، وما هى المبالغ التى تدفع لكل صحيفة سنويا . فرد « السير ادوارد جراى Sir Edward Grey » بأنه لا يستطيع الاجابة عن هذا السؤال ، وحتى لو توفرت لديه المعلومات الكافية ، فانه يتجنب الادلاء بها(٧٨) .

وقامت الصحف البريطانية و « مجلس العموم » بحملة على السياسة « الكرومرية » ، غذاها مصطفى كامل والخديوى عباس ، باتصالهما بأعضاء المجلس من الأيرلنديين والأحرار والعمال ، مما أدى فى النهاية الى استقالة « لورد كرومر Lord Cromer » ، وتركه منصبه فى ٦ مايو ١٩٠٧ ، وتعيين « السير الدن جورست Sir Eldon Gorst » ، الذى نصح حكومته بالافراج عن مسجونى دنشواى . واتجه بسياسة الاحتلال فى مصر الى الاعتدال وخاصة مع الخديوى ، بهدف ابعاده عن الحركة الوطنية وصحفها المتحمسة ، لاضعافها . وقد عرفت بسياسة « الوفاق »(٧٩) .

---

(٧٨) The Parliamentary Debates, Official Report, House of Commons (London, His Majesty's Stationary Office), Vol. 172. Cols. 363, 364, April 11, 1907.

(٧٩) السدى ، دنشواى ، ص ٦ ، ٧ ، ٧٠ ، ١٠٥ ، ١١٥ — ١١٧ ، الرافعى ، مصطفى كامل ، ص ٢٠٠ — ٢٠٧ ، ٢٤٤ .

٧ ـ النعرة الطائفية ونظارة بطرس غالى سنة ١٩٠٨ :

ورغم ما كان لحادثة دنشواى من آثار ايجابية على الصحف الوطنية ، تمثلت فى استنفارها وتوحيد امكاناتها لمقاومة الاحتلال ، فقد نتج عن الحادثة أثر سلبى اتضح من انزلاق بعض الصحف المصرية الى دائرة الخلافات والتراشق بالاتهامات ، نتيجة لتباين مواقفها خلال الأزمة ، تبعا لاختلاف انتماءاتها السياسية والدينية ، مما استثار النعرة الطائفية الدينية بين أبناء الوطن الواحد .

فان صحيفة « مصر » التى كان يصدرها تادرس شنودة المنقبادى ، منذ سنة ١٨٩٥ ، وصحيفة « الوطن » التى انتقلت ملكيتها من ميخائيل عبد السيد الى جندى ابراهيم(٨٠) ، منذ سنة ١٩٠٠ ، قد اتخذتا موقفا ذا صبغة دينية ، معاديا أهالى دنشواى ومتعاطفا مع البريطانيين ، ومخالفا « اللواء » و « المؤيد » .

ولتبرير موقفهما ، اتهمت « مصر » و « الوطن » أهالى دنشواى بالتعصب الدينى ، الذى دفعهم الى معاملة الضباط البريطانيين بوحشية لأنهم « نصارى كفار » . واستثمرت الصحيفتان الحادثة لتوضيح حسن نية الأقباط تجاه بريطانيا ، واثارة مسألة حرمانهم من تولى بعض الوظائف ، ومطالبة « اللورد

---

(٨٠) قبطيان ، درسا بعض الوقت فى الأزهر ، وكانا ينظران للأمور فى أكثر الأحيان من زاوية طائفية ، ويتهمان المسلمين بالتعصب الدينى ، ويدعوان للوحدة الوطنية .

كرومر ») بالحزم ، وقطع ألسنة محرضى الشعب على الاحتلال ، والغاء صحفهم لتعود السكينة الى البلاد(٨١) .

وأخذت « الوطن » تهاجم فكرة الجامعة الاسلامية ، التى دعت لها « المؤيد » و « اللواء » وغيرهما ، قائلة ان السلطان العثمانى خلقها ليفيد هو منها . ونقلت عن تقارير « اللورد كرومر » رأيه القائل « أن هذه الجامعة خرافة وحلم ، وان الذين ينادون بها على طريقة الصحف الاسلامية فى هذا القطر ، يعدون فى جملة الحمقى والمجانين »(٨٢) .

وعندما قال « المستر فندلاى Findlay » القائم بأعمال « كرومر » ان الخديوى يمول الحملة الصحفية ضد الاحتلال ، نفت « الوطن » هذا الاتهام عن سائر الصحف الوطنية ، عدا « اللواء »(٨٣) .

وهنا اندلعت المناقشات بين « الوطن » و « اللواء » ، وتبادلتا الاتهامات . ودخلت الى ساحة المعركة صحف أخرى ، أبرزها « مصر » ممثلة للأقباط ، و « المؤيد » و « العلم » و « الدستور » عن المسلمين .

---

(٨١) ... ، « صدى الحكم » ، الوطن ، ٧ يولية ١٩٠٦ ، والمدى ، دنشواى ، ص ١١٨ ، ومصطفى النحاس ، سياسة الاحتلال ، ص ١٠١ ، ومصر ، من ١٥ يونية الى ٢٧ يولية ١٩٠٦

(٨٢) ... ، « الجامعة الاسلامية وراى اللورد كرومر فيها » ، الوطن ، ١٩ يولية ١٩٠٦ .

(٨٣) المدى دنشواى ، ص ١٢١ ، الوطن ، ٦ ، ٩ ، ١٤ أغسطس ١٩٠٦ .

واتسعت دائرة المناقشات تغذيها سلطات الاحتلال وصحفها الانجليزية والعربية لتحيى « القوميــة المصريــة » فى مواجهــة « الجامعة الاسلامية » ، وتثير مسألة أحقيــة الأقباط والمسلمين فى خيرات الوطن وفى مدارس ووظائف الحكومة ، وتختلق الصراع حولها . وتراشق الطرفان بالاتهــام بالتعصب الدينى والعمــالة لجهات أجنبية . وتدنت الاتهامات لتتناول الجــذور والصفات والأخــلاق .

•

فى ٢٢ مايو ١٩٠٨ ، تهاجم « مصر » كل من قدموا الى ارض الوطن منــذ بدء الاســلام ، عربــا كانوا أم تركا أم أوربيين ، وتعارض فكرة « الجامعة الاسلامية » لأنه « لا وطن مع الدين ولا دين مع الوطن » . فيشن عباس محمود العقاد حملة كبيرة على الأقباط فى « الدستور » ، تستمر طوال شهر يونية ١٩٠٨ .

وتهاجم « الوطن » ، يوم ٥ يونية ١٩٠٨ ، الحزب الوطنى ، وتعتبر أعضاءه الأقباط شاذين ، وتطلق على ويصا واصف اسم « يهوذا الاسخريوطى » . ويكتب فريد كامل فى « الوطن » ، يوم ١٥ يونية ١٩٠٨ ، بعنوان « الانسانية تتغلب » يشــكو من اضطهاد الأقباط ، ويحمل بشدة على التاريخ الاسلامى فى مصر . فيسرع الشيخ عبد العزيز جاويش ليرد عليه فى اليوم التالى فى « اللواء » بقسوة شديدة ، ويختــار لمقاله عنوانا مضــادا هو « الاسلام غريب فى بلاده » .

وتستفز هذه الكتابات مشاعر الأقبــاط والمسلمين معا ، فيبرق المســلمون الى ناظر الداخلية ليحــاكم صاحب « الوطن » . ويطالب الأقباط ناظر الداخلية والمعتمد البريطانى بمحاســبة « اللواء » .

ويستشعر الحزب الوطنى ـ الذى ضم بين أعضائه المسلمين والأقباط ـ خطورة هذه المعركة على الوحدة العريقة بين شقى الأمة ، فتبادر اللجنة الادارية للحزب الى اصدار بيان ، يوم ٢٠ يونية ١٩٠٨ ، تتبرأ فيه مما كتبه عبد العزيز جاويش فى صحيفة الحزب ، وتستنكر الطعن فى أديان الأمة المصرية وعناصرها ، وتدعو الجميع للانضمام الى حركة المطالبة بحقوق الأمة من مغتصبيها . وتنبه « اللواء » الى وجوب افساد السياسة البريطانية الرامية الى احداث الفتنة بين أبناء الوطن الواحد .

ولكن الاتجاه الاسلامى للحزب الوطنى و « اللواء » ، وتعلقهما بدولة الخلافة الاسلامية ، ازدادا قوة فى ظل زعامة محمد فريد للحزب ، ورئاسة عبد العزيز جاويش للصحيفة ، مما سبب استياء شديدا لدى الأقباط وصحيفتيهم « مصر » و « الوطن » . وجعل صحيفتى « البروجريه » و « الجازيت » وغيرهما ، تشتد فى اتهام الحزب الوطنى وحركة المطالبة بالدستور ، بالتعصب الدينى . ودفع ويصا واصف الى الاستقالة من الحزب الوطنى ، فى أغسطس ١٩٠٨ ، وتبعه بعض الأقباط . وشجع أخنوخ فانوس على العمل لتأسيس « الحزب المصرى » فى سبتمبر ١٩٠٨ ، متخذا من المصرية والعلمانية والاعتدال برنامجا له ، نشرته « مصر » و « الوطن » و « المقطم » .

ولكن أمام نداء المصلحة العليا للوطن ، أخذ الكتاب المتطرفون من الطرفين يتراجعون عن مواقفهم ، حتى تمكن من تهدئة الخواطر ورأب الصدع كل من الحزب الوطنى و « اللواء » ، وحزب الأمة

و « الجريدة » ، وعقلاء الأقباط يتقدمهم مرقص حنا وويصا واصف . وهذا أسلوب التعبير فى « الوطن » و « مصر »(٨٤) .

وأخذت الصحف الوطنية تتجه بالهجوم والمعارضة الى العدو الحقيقى لكل المصريين وهو الاحتلال ، وعملت على مواجهة سياسة « الدن جورست » الرامية الى عزل الأقباط عن الحركة الوطنية ، لافساد تجانسها ثم ضربها ، فدأبت على فضح موقف كل من يتعاون مع سلطات الاحتلال .

وهنا عملت السلطات البريطانية خفية لاختيار بطرس غالى رئيسا للحكومة ، بهدف استمالة الأقباط ناحية بريطانيا ، واحياء الخلافات الطائفية وتوسيع دائرتها ، مع الادعاء بأن الاحتلال ليس له صلة بها ، وقد كان .

فقد صدم الشباب ــ كما يقول سعد زغلول ــ بتعيين قبطى رئيسا للنظار ، وانفعلت نفوسهم ، وظهر هذا الانفعال على بعض الجرائد « كالدستور » و « اللواء » فى أول الأمر ، ولكن أكثر الصحف لم تظهر تأثرها ، فرارا من تهمة التعصب الدينى(٨٥) .

---

(٨٤) طارق البشرى ، المسلمون والاقباط فى اطار الجماعة الوطنية (القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٨٠) ص ٥٩ ، ٦٠ ، وسميرة بحر ، الأقباط فى الحياة السياسية المصرية (القاهرة : مكتبة الأنجلو المصرية ، ١٩٧٩) ص ٥٠ ، ٥١ ، وابراهيم عبده ، تطور الصحافة ، ص ١٩٢ ، ومحمد سيد كيلانى ، الأدب القبطى قديما وحديثا ، الطبعة الأولى (القاهرة : مكتبة الهلال ، ١٩٦٢) ص ٧٨ ــ ٨٦ ، ١٢٩ .

(٨٥) مصطفى النحاس ، سياسة الاحتلال ، ص ٤٤ ، ٤٥ ، ٤٧ ، وسعد زغلول ، المذكرات ، الكراسة ٩ ، ص ٣٩١ .

والواقع أن صحف الحزب الوطنى استقبلت النظارة البطرسية فور تأليفها ، يوم ١٢ نوفمبر ١٩٠٨ ، بالهجوم والمعارضة الشديدة من الناحيتين السياسية والدينية .

ورأت « اللواء » فى اختيار رئيس محكمة دنشواى رئيسا للحكومة ، « دليلا على أن المحتلين يشجعون خدامهم عن طريق اهانة الأمة » . وأوضح عبد العزيز جاويش فى « اللواء » عيوب الوزارة وهى خضوعها لدولة الاحتلال ، وعدم قدرتها على الاصلاح ، واستياء المسلمين منها . واحتجت « الدستور » على أن يرأس النظارة « الاسلامية » رجل « مسيحى » . وأوضح عباس العقاد أن ذلك يحط من كرامة المسلمين ، ويعد اعترافا رسميا بأن ليس فيهم رجل واحد يصلح لأن يتولى هذا المنصب(٨٦) .

ونادت « القطر المصرى » فى عنوان كبير على صدر صفحتها الأولى يوم ٢٠ نوفمبر ١٩٠٨ : « لتسقط وزارة بطرس غالى القبطى الاحتلالى ، ولتبق وزارة بطرس غالى المصرى الوطنى ، ويل لنا من تخاذلنا » . وعلى الصفحة الثانية وصفت الصحيفة « الاستياء العام لمخالفة القواعد المرعية فى تشكيل الوزارة » .

أما الصحف المؤيدة لسياسة الاحتلال البريطانى ، فقد انطلقت تؤيد اختيار بطرس غالى رئيسا للنظار ، قائلة انه تم تلبية لرغبة « الجناب العالى » ، حتى تبرىء سلطات الاحتلال

---

(٨٦) يونان لبيب ، حرية الصحافة ١٨٩٤ — ١٩١٤ ، الباب الثانى من : حرية الصحافة فى مصر ١٧٩٨ — ١٩٢٤ (القاهرة : مكتبة الوعى العربى ، ١٩٧٢) ص ١٥٤ ، ١٥٥ ، واللواء ، ١٥ و ١٦ نوفمبر ١٩٠٨ ، والدستور ، ١٤ ، ١٨ نوفمبر ١٩٠٨ .

من المسئولية . ويوضح سعد زغلول ، أن هذا القول وان كان حقا ، فانه يراد به التغرير ، لأنه كان فى امكان الانجليز رفض هذا التعيين ، وهم ان لم يكونوا أغروا عليه ، فقد استقبلوه بالارتياح ، حتى تنفر الأمة من الخديوى ، فلا يجد سندا له الا فى الاحتلال(٨٧) .

وبدا المعتمد البريطانى وكأنه لا يد له فى الخلاف الطائفى ، واتخذ منه حجة لتقييد الصحافة . ففى تقريره عن سنة ١٩٠٨(٨٨) ، يقول « الدن جورست » ان الصحف دأبت على « نشر الأقوال التى يراد بها تهييج التعصب الدينى بين المسيحيين والمسلمين من المصريين ، أو بين المصريين والأوربيين ، وهو امر شديد الخطر على بلاد يختلط فيها الأوربيون والوطنيون من مسيحيين ومسلمين ، ويمتزجون ، ويعيش بعضهم بجانب بعض » ، لذلك تود اغلبية الأهالى مقابلة شطط الصحف بالشدة والحزم .

أما رد الفعل لدى رئيس النظار ، فتمثل فى اعادة تطبيق قانون المطبوعات ، لاسكات ألسنة هذه الصحف . وكان هذا القانون قد صدر سنة ١٨٨١ ، وتوقفت الحكومة عن تنفيذه منذ سنة ١٨٩٤ . ولما أعيد العمل بالقانون فعلا ابتداء من ٢٥ مارس سنة ١٩٠٩ ، أيدته صحيفتا « مصر » و « الوطن » ، زعما منهما أنه سوف يحد من التحريض على الفتنة . بينما عارضته الصحف الأخرى لخطورته على حرية الصحافة .

---

(٨٧) سعد زغلول ، المذكرات ، الكراسة ٩ ، ص ٣٩١ .

(٨٨) غورست ، الدن ، تقرير عن المالية والادارة والحالة العمومية فى مصر وفى السودان سنة ١٩٠٨ ، ترجمة المقطم (القاهرة : المقطم ، ١٩٠٩) ص ٨ .

وامعنت نظـارة بطرس غالى فى تقييد الحريات فسنت فى ٤ يولية ١٩٠٩ ، قانون النفى الادارى ، الذى أعطى السـلطة الادارية حق نفى الأشخاص الذين ترى أنهم خطر على الأمن العام، الى جهـة نائيـة بالقطر المصرى ، وقد أضير كثير من الأبرياء بهذا القانون(٨٩) .

٨ ـ مد امتياز قناة السويس سنة ١٩٠٩ :

وخـلال النصـف الثـانى من سـنة ١٩٠٩ ، واسـتهلال سنة ١٩١٠ ، شغل الراى العام المصرى بمسألة مد امتياز قنـاة السويس . فقد طلبت شركة قناة السويس الى الحكومة المصريـة مد امتيازها أربعين سنة ، بعد مدته التى تنتهى يوم ١٧ نوفمبر سنة ١٩٦٨ ، فى مقابل صفقة مالية أهم بنودها دفع اربعة ملايين من الجنيهات للحكومة المصرية .

واختلفت الآراء حول جدوى المشروع . فقد عضد الفكرة « الدن جورست » وبطرس غالى رئيس النظـار . واختـارت النظارة سعد زغلول ، ناظر المعارف العمومية ، للدفاع عن المشروع أمام « الجمعية العمومية » ، فقبل المهمة مشترطا تعهد الحكومة بتخويل « الجمعية العمومية » الراى القاطع ، دون أن تخالفها الحكومة قرارها .

ويسجل سعد زغلول فى مذكراته ، اعجابه باهتمام الراى العام بمسألة القناة ، و « اتحاد الأحزاب المختلفة على العمـل

---

(٨٩) عبد الرحمن الرافعى ، محمد فريد : رمز الاخلاص والتضحية ، الطبعة الاولى (القاهرة : مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبى ، ١٩٤١) ص ١١٤ .

فيها بطريقة واحدة » . ويقرر أن « المؤيد » كان « أكثر الجرائد علما بها ، وأدقهم ملاحظة »(٩٠) .

وقد قادت « اللواء » حملة صحفية قوية لمعارضة فكرة المد . وأخذ محمد فريد يهاجم المشروع بعنف منذ أكتوبر ١٩٠٩ ، ناقلا الأفكار من النظرة المادية الى الناحيتين الأدبية والمعنوية ، مستثيرا الشعور بحقوق الوطن وكرامته .

وطلب أحمد لطفى السيد من رئيس النظار ومن بعضهم ، رفض المشروع واحالته الى « الجمعية العمومية » . ووقفت « الجريدة » الى جانب « اللواء » ، ونشرت رسائل المواطنين الى الخديوى والمعتمد البريطانى والنظار ، يناشدونهم رفض المشروع ، وعرضه على « الجمعية العمومية » . أما الصحف المؤيدة للاحتلال وفى مقدمتها « المقطم » و « الوطن » ، فقد افتننت فى شرح مزايا وفوائد المشروع(٩١) .

ورغم تشدد الحكومة فى تطبيق قانون المطبوعات ، فقد استطاعت الصحف الوطنية تهييج الراى العام ، مما دفع شركة القناة الى اشتراط اخذ الراى فى « الجمعية العمومية » . وقد انتهى الى رفض المشروع رفضا باتا ، وانتصار الاتجاه الوطنى على رغبة الاحتلال(٩٢)

---

(٩٠) مصطفى النحاس ، سياسة الاحتلال ، ص ٨٢ ، ٩٣ ، وسعد زغلول ، المذكرات ، الكراسة ١٧ ، ص ٨٩٧ .

(٩١) السيد حسين جلال ، مؤامرة مد امتياز شركة قناة السويس ١٩٠٨ – ١٩١٠ (القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩٠) ص ٩٧ – ١١١ .

(٩٢) عباس محمود العقاد ، سعد زغلول : سيرة وتحية (القاهرة : مطبعة حجازى ، ١٩٣٦) ص ١٣٦ ، ١٣٧ ، وابراهيم عبده ، تطور الصحافة ، ص ٨٧ ، ١٨٨ ، ولطفى السيد ، قصة حياتى ، ص ٨٤ ، ٨٥ ، والجريدة ، من مايو الى أكتوبر ١٩٠٩ .

٩ ـ اغتيال بطرس غالى والفتنة الطائفية سنة ١٩١٠ :

وفى أثناء احتدام المناقشة بين الصحف حول مد امتياز القناة ، وتأييد بطرس غالى له ، واشتداد الصحف الوطنية فى حث الرأى العام على الثورة فى وجه الحكومة ، وقعت يوم ٢٠ فبراير ١٩١٠ حادثة اغتيال رئيس الحكومة ، ناظر الخارجية القبطى ، لتحدث شرخا فى طريق النضال الوطنى والصحفى ، وتلطخ صفحة الوحدة بين شقى الأمة : الأقباط والمسلمين .

فقد ارجعت السلطات المصرية والبريطانية(٩٣) الحادثة ، الى تأثير كتابات واقوال زعماء « الحزب الوطنى » وصحفه ، المعارضة بشدة للاحتلال والمعادية للقائمين بالحكم فى ظله ، وخاصة بطرس غالى . ورددت الصحف المتعاونة مع الاحتلال والمعارضة « للحزب الوطنى » هذا الرأى ، وصبغت الحادثة بالصبغة الدينية ، وكان فى مقدمتها « الاجبشيان جازيت » ، « الديلى جرافيك » ، « البورص اجبسيان » ، « المقطم » ، « الوطن » و « المؤيد » .

وبسرعة افادت السلطات من الحادثة لفرض المزيد من القوانين المقيدة للحريات ، فصدرت ثلاثة قوانين كان « مجلس الشورى » قد أبى أن يقرها قبل الحادثة : الأول ، يقضى باخراج الجنايات والجنح التى ترتكبها المطبوعات من دائرة اختصاص قضاة التحقيق والمحاكم الجزئية ، واحالتها الى محاكم الجنايات. والقانون الثانى ، يعاقب بالطرد من المدرسة كل طالب يشترك فى مظاهرات داخل مدرسته أو خارجها ، أو يكتب للصحف اية

---

(٩٣) غورست ، الدن ، تقرير عن المالية والادارة والحالة العمومية فى مصر والسودان سنة ١٩٠٩ (القاهرة : المقطم ، ١٩١٠) ص ٣ .

مواد . أما القانون الثالث ، فيعاقب الاتفاقات الجنائية كالاشتراك فى المؤامرات والجمعيات السرية ، بالحبس مددا مختلفة(٩٤) .

وفى ظل هذه القوانين ، بجانب قانون المطبوعات ، انطلقت السلطات تعمل لكتم انفاس الوطنيين وكسر أقلامهم . واتخذت من نشر ديوان شعر : « وطنيتى » ، فى يونية ١٩١٠ ، حجة لتوجيه الاتهام لعدد منهم ، بالتحريض على القتل وكراهية الحكومة ورجالها والازدراء بهم . وحكمت على مؤلفه على الغاياتى ، يوم ٦ أغسطس ١٩١٠ ، بالحبس لمدة سنة مع الشغل ، بعد أن صادرت الكتاب وهاجر مؤلفه الى تركيا . كما حكم على عبد العزيز جاويش بالحبس ثلاثة أشهر ، لأنه كتب للديوان مقدمة قرظه فيها . ولنفس السبب حكم على محمد فريد ، يوم ٢٢ يناير ١٩١١ ، بعد عودته من أوربا ، بالحبس ستة أشهر . وعوقب محمد حسن القزوينى والياس دياب ، بالحبس لمدة شهرين مع وقف التنفيذ ، لأنهما شاركا فى نشر الكتاب وتوزيعه . وقوبلت هذه الأحكام بالسخط من أكثر الصحف ، وخاصة صحف «الحزب الوطنى » . وكشفت قسوتها رغبة السلطات فى الانتقام ، خاصة أن كل مواد الكتاب نشرت من قبل فى « اللواء » و « العلم » ، ولم تجرم ، ولم يعترض عليها أحد(٩٥) .

ورغم صدور هذه القوانين ، وتطبيق قانون المطبوعات بشدة ، مضت الصحف الوطنية تتقدمها « اللواء » فى معارضتها للحكومة وسلطات الاحتلال ، لكن بشىء من الحذر والتلطف فى

---

(٩٤) ابراهيم عبده ، تطور الصحافة ، ص ١٨٩ .

(٩٥) يواقيم رزق مرقص ، قضية كتاب « وطنيتى » للشيخ على الغاياتى ، مستخرج من المجلة التاريخية المصرية (القاهرة : الجمعية المصرية للدراسات التاريخية ، ١٩٨٤) ص ٤٦٩ – ٥٠٣ .

العبارة ، غير ان الحكومة لم تقبل أى نقد ، فأنذرت « اللواء » فى أكتوبر ١٩١٠ ، مما أثارها ودفعها الى اقامة الدعوى على الحكومة، فانطلقت الصحف على اختلاف أنتماءاتها تهاجم الانذار ، ومنها : « العلم » ، « البـلاغ المصرى » ، « الجريدة » ، « المؤيـد » ، « وادى النيل » ، و « البصير » . واشتركت معها الصحف الأجنبية: « الاجبشـيان جـازيت The Egyptian Gazette » ، و « جورنـال دى كير Le Journal du Caire » و « لابورص اجبسـيان La Bourse Egyptiènne » ، و « لاريفـورم La Réforme » .

ولكن الحكومة لم تأبه لثورة الصحف عليها ، واخذت تتعقب صحف « الحـزب الوطنى » بالانذار والتعطيل والالغـاء ، حتى تتحاشى تأثيرها فى أثناء نظر مشروع مد امتياز القناة فى « الجمعية العمومية » ، وخلال محاكمة المتهمين فى قضية اغتيـال بطرس غالى »(٩٦) ، ثم تتخلص من معارضتها نهائيا بعد ذلك . ولم تتم سنة ١٩١٢ ، حتى كانت السلطات قد تمكنت من ابعاد زعمـاء الحزب الوطنى الى خارج الوطن ، والغاء أكثر صحفه .

أما العلاقات بين المسيحيين والمسلمين ، فقد تعرضت لمحنة حقيقية بعد اغتيال رئيس النظار القبطى ، بيد ابراهيم ناصف الوردانى ، الشاب المسلم العضو فى « الحزب الوطنى » ، وعضو « جمعية التضامن الأخوى » السرية .

وكانت أسباب الاغتيـال ودوافعـه سياسـية وبعيدة عن التعصب الدينى ، تمثلت فى التاريخ السياسى لبطرس غالى ، الذى

---

(٩٦) ابراهيم عبده ، تطور الصحافة ، ص ١٩٠ ، ١٩١ .

وقع اتفاق الحكم الثنائى للسودان سنة ١٨٩٩ ، ورأس محكمة دنشواى المخصوصة سنة ١٩٠٦ . وفى أثناء رئاسته النظارة سنة ١٩٠٩ ، أعيد العمل بقانون المطبوعات ، وصدر قانون النفى الادارى ، وتم التضييق على الطلبة حتى لا يشتغلوا بالسياسة . واخيرا : حاول بطرس غالى مد امتياز شركة قناة السويس ، مخالفا الاتجاه الوطنى .

ورغم اعلان المتهم ، ومحمد فريد رئيس الحزب الوطنى(٩٧)، والصحف الوطنية ــ وفى مقدمتها « اللواء » ــ هذه الدوافع ، واقتناع السلطات وعلى رأسها « الدن جورست »(٩٨) ، ببعدها عن الدين ، فان المشاعر الدينية والطائفية أستثيرت بشدة ، لأن بطرس غالى تمتع عند الأقباط بمكانة عالية لم يصل اليها احد من قبله .

وانقسم الأقباط الى فريقين : أولهما فريق العقلاء المخلصين ، الذين كتبوا وخطبوا يؤكدون الدوافع السياسية للاغتيال ، وينفون الأسباب الدينية ، ويدعون للوحدة الوطنية على صفحات « مصر » و « المؤيد » وغيرهما ، ومنهم : مرقص فهمى ، مرقص حنا ، سينوت حنا ونصيف المنقبادى .

أما أعضاء الفريق الثانى ، فقد نظروا الى الحادثة نظرة عنصرية خالصة ، فحواها أن القتيل زعيمهم ، وأن المسلمين المتعصبين ضد الأقباط قتلوه تمهيدا للقضاء عليهم جميعا ، وان « الجريمة » تمت بتدبير « عصابة » ولأسباب دينية .

---

(٩٧) جاك تاجر ، اقباط ومسلمون منذ الفتح العربى الى عام ١٩٢٢ م ، كراسات التاريخ المصرى (القاهرة : بدون اسم ناشر ، ١٩٥١) ص ٢٥١ .

(٩٨) غورست ، تقرير سنة ١٩٠٩ ، ص ٣ .

وأبدوا سخطهم الشديد على « الحزب الوطنى » الذى اتسم بالطابع الاسلامى ، وكان القاتل ينتمى اليه ، وطالبوا سلطات الاحتلال بالتنكيل برجاله . وتمادوا الى حد الطعن فى صلاحية المصريين أجمعين للحكم الذاتى والنظام الدستورى . وكان من هذا الفريق ميخائيل فانوس المحامى(٩٩) .

ومما زاد المناقشات بين شقى الأمة حدة ، أن « تيودور روزفلت » رئيس الولايات المتحدة الأمريكية السابق ، زار القاهرة ولندن فى مارس ١٩١٠ ، والقى محاضرتين ، أشار فيهما الى مقتل بطرس غالى من زاوية دينية ، متهما المصريين بالتوحش وعدم القدرة على الحكم الذاتى . فهاجت الصحف المسلمة ضده بشدة ، اما « الوطن » و « مصر » فقد رحبتا بأقواله . وكررت « الوطن » الحديث عن المطالب القبطية ، فعمدت « المقطم » الى نشر المواد التى تزيد نار « الوطن » اشتعالا(١٠٠) .

وتطور الأمر الى حد سفر قرياقص ميخائيل الى لندن فى يونية ١٩١٠ ، ممثلا للصحافة القبطية وداعيا لمطالب الأقباط هناك . واهتمت الصحف الانجليزية والمصرية بالمسألة اهتماما بالغا ، جعل القضية الوطنية تتراجع الى المرتبة الثانية .

وقد ناصر الأقباط صحيفتا « الوطن » و « مصر » والصحف الأجنبية فى مصر . وعبرت عن الموقف الاسلامى صحف « المؤيد »،

---

(٩٩) سيد كيلانى ، الادب القبطى : ص ١٤٩ ، ١٥٤ ، ... ، « المسلمون والاقباط » ، مصر ، ٢٨ فبراير ١٩١٠ ، وكانت « مصر » تنشر هذه الآراء وتدعو فى نفس الوقت للوحدة بين شقى الأمة .

(١٠٠) سيد كيلانى ، الأدب القبطى ، ص ١٢٢ ــ ١٢٥ ، طارق البشرى ، المسلمون والاقباط ، ص ٦١ ، ٦٢ .

« اللواء » و « العلم » . وعالجت الموقف بحرص ورفق صحيفتا « الأهالى » و « المقطم » . أما المعتمد البريطانى « جورست » ، وصحيفة « التيمس » البريطانيــة ، فقد اتخذا موقفا « يغرى بالحــكم بأن الانجـليز الرســميين كانــوا فى جــانب الحــركة الاسلامية »(١٠١) ، وذلك امعانا منهم فى اخفاء أهداف وأسـاليب السياسة البريطانية : « فرق تسـد » .

وبلغ الخلاف بين شقى الأمة قمته بعقد المؤتمرين القبطى والاسلامى « المصرى » فى سنة ١٩١١ ، وانحسر هــذا الخلاف بانفضاضهما .

بدأ المؤتمر القبطى فى أسيوط يوم ٦ مارس ١٩١١ ، برئاسة بشرى حنا . وتولت الدعاية له والدفاع عن فكرته صحيفتـا « مصر » و « الوطن » . وكان أخنوخ فـانوس أكثر الداعين للمؤتمر حماسة . ووافقت الحكومة المصرية على عقده .

أما المعارضون فهم « الحزب الوطنى » وسائر صحفه ، و « حزب الأمة » وصحيفته « الجريدة » ، وحزب « الاصـلاح على المبادىء الدستورية » وصحيفته « المؤيد » . كما عارضـه بعض قادة الأقبـاط ومنهم البطريرك كيرلس الخامس وواصف غالى « باشا » ــ ابن بطرس غالى ــ(١٠٢) وويصـا واصف . ولم تنل حركة المؤتمر تأييدا جماهيريا يعتد به بين الأقباط .

أما السلطات البريطانية والصحف الناطقة بلسانها ، فقد وزعت الأدوار فيما بينها ، على نحو ينفى شبهة موافقتها مسبقا

---

(١٠١) ابراهيم عبده ، تطور الصحافة ، ص ١٩٣ ــ ١٩٥ .
(١٠٢) جاك تاجر ، اقباط ومسلمون ، ص ٢٥١ .

على عقد المؤتمر . فكان ظاهر موقف « الدن جورست » الاعتراض على المؤتمر ، أما « رونالدستورز » المستشار الشرقى لدار المعتمد البريطانى ، وصحيفة « الاجبشيان جازيت » ، فقد شجعا على انعقاده . ثم وردت أوامر لندن بالموافقة عليه(١٠٣) .

ورغم جو التوتر والمعركة الطائفيـة التى اشتركت فيهـا صحف « مصر » و « الوطن » من جانب ، و « مصر الفتاة » ، « العلم » و « المؤيد » من جانب آخر(١٠٤) ، فان حذر العقلاء وخشيتهم من الفتنة الطائفية ، فرض نفسه على المؤتمر ورجاله .

فانحصرت مطـالب المؤتمر فى اعتبـار يوم الأحـد عطـلة للمسيحيين ، والتعويل على الكفاءة وحدها فى شغل الوظائف العامة ، وتمثيل جميع العنـاصر المصرية فى الهيئات النيابيـة بما يحفظ للجميع حقوقهم ، والعـدالة فى اتاحة فرص التعليم الأولى الذى تجبى لأجله ضريبة الخمسة فى المـائة من الجميع ، والعدالة فى الصرف من ميزانيـة الدولة على المرافق المصريـة المنظمة للشئون الطائفية ، كالمحاكم الشرعية والمجالس الملية .

وكان قصر الحديث على هذه المطالب الفئوية ، والالتزام بالمنطق الوطنى المبنى على اســاس المساواة والمصلحة المشتركة ، دليلا على الرغبة فى توثيق الرباط الوطنى ، وليس قطعه كمـا توحى فكرة عقد المؤتمر . وكان للصحف المؤيدة لعقد المؤتمر والمعارضة له ، دور هام فى اطلاع الرأى العام على الآراء والأفكار التى طرحت داخله ، مما زاد الرأى العام اقتناعا بالمنطق الوطنى فى معالجة مشكلات الحياة .

---

(١٠٣) طارق البشرى ، المسلمون والاقباط ، ٧٠ ، ٧١ .
(١٠٤) جولد شميث ، الحزب الوطنى ، ص ٢٢٨ .

ووسط هذا المناخ الفكرى ، عقد المسلمون مؤتمرهم فى مصر الجديدة ، وسموه « المؤتمر المصرى » تأكيدا لوحدة الأمة المصرية .

وشدد عبد العزيز جاويش هجومه على الاحتلال فى افتتاحيات « العلم » ، وفى خطبه بالمنصورة والقاهرة ، فأوعزت السلطات البريطانية الى محمد سعيد رئيس النظارة ، بانذار عبد العزيز جاويش بقصر نشاطه على القاهرة ، ووضعه تحت رقابة الشرطة(١٠٥) .

واختير لرئاسة المؤتمر مصطفى رياض « باشا » رئيس النظار الأسبق ، وهو من بعيدى النظر الحريصين على المصلحة العامة الداعين الى الوئام وعدم التعصب .

وقد تأكدت هذه الصفات من خلال حديثه الى « الاجبشيان جازيت » قبل انعقاد المؤتمر ، ومن كلمته بجلسة الافتتاح يوم ٢٩ أبريل ١٩١١ ، التى حدد فيها هدف المؤتمر فى مناقشة المسائل العامة وما يسمونه بمطالب الأقباط ، « لأن حال البلاد لا تسمح بتقسيم المصالح بين أبنائها تبعا لانقساماتها الدينية » . ودعا مصطفى رياض المؤتمر للاحتكام الى روح العدل والتسامح ، وتأييد الروابط الوطنية . وقررت اللجنة التحضيرية للمؤتمر جعل غرضه النظر فى التوفيق بين العناصر المؤلفة للوحدة المصرية .

وجاءت قرارات المؤتمر مؤكدة المساواة الكاملة فى الحقوق

---

(١٠٥) جولد شميت ، الحزب الوطنى ، ص ٢٢٩ .

السياسية ، ورفض أى تفرقة بين أفراد الوطن بسبب الدين . وباركت أكثر الصحف الوطنية هذه القرارات .

ورغم أن المؤتمرين القبطى والاسلامى رفضا مبدأ التمثيل الطائفى الصريح فى المجالس النيابية ، فقد عمدت السلطات البريطانية الى اقراره فى نظام انشاء الجمعية التشريعية سنة ١٩١٣ ، مما أكد رغبتها فى احداث الفرقة والانقسام .

كانت المواقف والأفكار والاتهامات التى ظهرت خلال الفترة من سنة ١٩٠٨ الى سنة ١٩١١ ، تمثل قمة الخلاف بين شقى الأمة وصحفهما . وكانت فى نفس الوقت أبلغ دليل على الوحدة بينهما ، لأن الطرفين المتجادلين كانا يصدران عن أرضية فكرية واحدة . وعلى سبيل المثال ، فالذى هاجم المسلمين لسوء معاملتهم القبط ، قارن هذا الحاضر التعس بالماضى المجيد أيام الفاطميين ، واستدعى مآثر الماضى المشترك للمصريين جميعا . والأقباط الذين هاجموا الحزب الوطنى لسياسته الاسلامية ، لم يخرج منطقهم بصفة عامة عن اطار الوحدة الوطنية . ولم يعرف عن أحد الطعن فى عقائد دين الآخر .

والذين دعوا الى قومية قبطية كانوا قلة . ولم يقصد أكثرهم ـ ومنهم رمزى تادرس ـ دعوة انفصالية ، بل احياء لكيان سياسى متميز يضم المسلمين والأقباط معا . ودعاة الشقاق من الأقباط والمسلمين لم يمثلوا اغلبية فيهم ، لأن بوادر

الشقاق كانت تستفز فى عقلاء الطرفين دوافع العمل على تصفيته، حرصا على المصلحة الوطنية ، وافسادا للسياسة البريطانية . كما أن تفاقم الخصومة أفزع كلا الفريقين ، ونبههما الى ما تنطوى عليه من خطر داهم ، فتولدت لديهما الرغبة الصادقة فى جمع الكلمة . وهكذا انبثق من وصول الخلاف الى قمته ، الميلاد الحقيقى لفكرة الوطنية المصرية ، التى بدت بعد ذلك فى أكمل مظاهرها فى ثورة ١٩١٩(١٠٦) .

---

(١٠٦) طارق البشرى ، المسلمون والأقباط ، ص ٥٩ - ١٠٤ ، محمد محمد حسين ، الاتجاهات الوطنية فى الأدب المعاصر : من الثورة العرابية الى قيام الحرب العالمية الاولى ، الطبعة الثالثة ، الجزء الأول (القاهرة : مكتبة الآداب ، ١٩٨٠) ص ١٠٧ - ١٢٠ .

(ثالثــــا)

اتجاهات الصحف المصرية ومواقفها تجاه الاحتلال البريطانى

انقسمت الصحف المصرية ـ من حيث علاقتها بالاحتلال ـ الى ثلاثة أقسام : أولها ، صحف تؤيد الاحتلال وتبرر سياسته ، وفى مقدمتها « المقطم » . والقسم الثـانى يفضل الاعتدال فى مواجهة الاحتلال ، مراعيا الأمر الواقع . وتتصدره صحف : « الجريدة » ، « الأهـالى » و « المؤيد » . أما القسم الثالث ، فهو يعارض الاحتلال بشـدة وعناد ، ويلح فى اجلائه عن أرض الوطن ، وتمثله صحف : « اللواء » ، « العلم » و « الشعب » ، وغيرها من صحف « الحزب الوطنى » .

وفى نفس الوقت ، تعددت الاتجاهات السياسية التى اندمج فيها المصريون وصحفهم ، بهدف الارتكان الى قوة تساندهم فى محاربة الاحتلال البريطانى لبلادهم . فكان الاتجـاه الأول نحو

الدولة العثمانية ، لاعتبارين : أولهما ، أنها صاحبة السيادة الاسمية على مصر ، بموجب معاهدة لندن سنة ١٨٤٠ ، ومن الطبيعي أنها تناوىء الاحتلال البريطاني لمصر ، الذى قضى على ما بقى لها من سيادة عليها . وثانيهما ، أنها مقر الخلافة الاسلامية ، بما لها من علاقة روحية عتيدة مع الشعب المصرى ، الذى يعتنق أغلبه الدين الاسلامى . وتتألف صحف هذا الاتجاه من « الأهرام » التى صدرت سنة ١٨٧٦ ، وكانت تؤيد حقوق تركيا وسياسة فرنسا ومصالح المصريين فى نفس الوقت . وصحيفة « مرآة الشرق » التى أصدرها سليم عنحورى سنة ١٨٧٩ ، وتولى تحريرها ابراهيم اللقانى . وصحيفة « الصادق » التى أصدرها أحمد صادق سنة ١٨٩٨ ، وكانت تعنى بأخبار « الدولة العلية » ، وتعتبر مصر شعبا عثمانيا ، وتدعو للسلطان فى تركيا والخديوى فى مصر . وصحيفة « اللواء » التى أصدرها مصطفى كامل سنة ١٩٠٠ ، واتجهت ناحية تركيا ، محاولة الافادة من حقوقها فى مصر ، لمعارضة الاحتلال البريطانى .

وكان الاتجاه الثانى نحو فرنسا ، بصفتها أكبر الدول الأوربية المناوئة لمطامع بريطانيا فى الشرق ، وصاحبة مبادىء الحرية والاستقلال . وتقدمت « الأهرام » صحف هذا الاتجاه . وقد اتجه مصطفى كامل بصحيفته « اللواء » نحو دول أوربا وخاصة فرنسا ، ولكن أمله فيها خاب ، بعد حادثة « فاشودة » عام ١٨٩٨ ، و « الاتفاق الودى » بين بريطانيا وفرنسا عام ١٩٠٤ .

ولم يكن الاتجاه ناحية تركيا أو فرنسا يتعارض مع الوطنية المصرية ، بل ان بعض الصحف كانت تفخر باتجاهها ناحية الدول الأجنبية ، على اعتبار أن الهدف منه هدف وطنى شريف ، هو

مناوأة الاحتلال البريطاني . ولذلك كانت « الأهرام » و « اللواء » مثلا ، تجمعان بين الاتجاه ناحية تركيا وفرنسا معا ، وفى نفس الوقت كانتا تحرصان على مصالح مصر(١٠٧) .

واعتمد أصحاب الاتجاه الثالث على الخديوى ، وتصدرته صحيفة « المؤيد » التى أصدرها على يوسف سنة ١٨٨٩ ، وتبلورت سياستها فى الدعوة الى الجامعة الاسلامية ، وتأييد الخديوى ضد الاحتلال ، ولو أنها مالت ابتداء من سنة ١٩٠٣ الى مهادنة بريطانيا .

أما الاتجاه الرابع فهو الاتجاه المصرى ، الذى تمثله صحيفة « الجريدة » التى صدرت سنة ١٩٠٧ ، برئاسة أحمد لطفى السيد ، وقوامه تهيئة الشعب المصرى لنوال الاستقلال ، دون الاعتماد على تركيا أو فرنسا .

ويدل متوسط توزيع الصحف المصرية ، خلال سنة ١٨٩٢ ، على أن « الأهرام » كانت أكثرها انتشارا (٢٧٧٥ نسخة) ، تلتها « الأستاذ » (٢٢٨٨ نسخة) ، « المقطم » (١٤٥٥ نسخة) ، « المقتطف » (١٣٠٠ نسخة) ، « المؤيد » (١٢٠٠ نسخة) . وتساوى توزيع « الوطن » و « النيل » و « الآداب » فكان (١٠٠٠ نسخة) ، أما توزيع « المحروسة » فهو (٨٠٠ نسخة)، و « الهلال » (٧٤٠ نسخة) ، و « الزراعة » (٦٠٠ نسخة) .

---

(١٠٧) عباس محمود العقاد ، سعد زغلول ، ص ٩٠ ، سامى عزيز ، الصحافة والاحتلال ، ص ١١٢ ، ابراهيم عبده ، تطور الصحافة ، ص ١٤٠ ، ١٤١ .

وكانت « الفلاح » اقل الصحف انتشارا ، فلم يزد متوسط توزيعها عن ٥٤٥ نسخة(١٠٨) .

وبعد نحو ٢٢ سنة ، اختلفت درجة انتشار الصحف فى سنة ١٩١٤ ، وتصدرتها الصحف الهزلية : « السيف » ، التى صدرت سنة ١٩١٠ وبلغ توزيعها ٢٥٠٠ نسخة ، و « طوالع الملوك » التى صدرت سنة ١٩٠٦ ، وكان توزيعها ٢٠٠٠ نسخة . وتساوت معها « المقطم » صحيفة الاحتلال ، التى تقدمت الصحف الاخبارية الجادة ، تلتها « الأهرام » (١٩٠٠ نسخة) . وصحف الأحزاب الثلاثة : « الشعب » (١٧٠٠ نسخة) ، « المؤيد » (١٣٠٠ نسخة) ، « الجريدة » (٧٠٠ نسخة) ، « الأفكار » (٦٠٠ نسخة) ، « المحروسة » (٤٥٠ نسخة) . والصحيفتان اللتان أصدرهما اثنان من الأقباط : « الوطن » (٢٥٠ نسخة) و « مصر » (٢٠٠ نسخة)(١٠٩) .

---

(١٠٨) سامى عزيز ، الصحافة والاحتلال ، ص ١٢٢ ، نقلا عن : الأستاذ ، ٢ يناير ١٨٩٣ . وقام بالاحصاء « قلم المطبوعات » .

(١٠٩) ... ، « غذاء العقول فى مصر » ، المستقبل ، ٧ يونية ١٩١٤ .

(رابعـــــا)

الحركة الدستورية والحكم النيابى

وسط اوضاع ودوافع سياســية واقتصــادية واحدة ، نشأت الهيئات النيابية المصرية ، وولدت الصحافة غير الرسمية . ثم تزاملت الصحافة الوطنية الشعبية ، مع الهيئات النيابيــة المصرية ، على طريق الكفاح لاثبات الوجود وتحقيق الأهداف . وكانت العلاقة بينها دائمـا عضــوية تبادلية . فقد ســاندت الصحف الوطنية المجالس النيابية فى كل أعمالها ومعاركها منذ نشأتها ، بينمـا حرصت هــذه المجالس على تحقيق الحريــة وضمان الاستمرار للصحافة الوطنية ، وسيلتها الفعالة للاتصال بالرأى العام .

فقد بدأت الحركة الدستورية المصريــة فى عهد الخديوى اسماعيل ، الذى شجعها بعد تورطه فى الاستدانة ، لتساعده على التخلص من التدخــل الأجنبى والرقــابة الأوربيــة على خزانــة الدولة ، وليكسب تأييد كبار الأعيان ودعمهم المــالى ، فتتحسن

صورة مصر أمام الدول الدائنة لها . وتمخضت هــذه الحركة عن بدء النظام النيابى المحدود ، المتمثل فى انشاء « مجلس شورى النواب » يوم ٢٢ أكتوبر ١٨٦٦(١١٠) .

وفى نفس الوقت شعر الخديوى اسماعيل بحاجة ماســة الى صحافة غير رسمية ، تدافع عنه أمام الباب العــالى ، والدول الدائنة ورعاياها وصحفها ، وتساند « مجلس شورى النواب » ، فى محاربة التدخل الأجنبى . ولـما كانت الصحيفة الرســمية « وقايع مصرية » ، التى بدأ صــدورها منذ سنة ١٨٢٨ ، غير قادرة على هذه المهــام ، فقد أوصى الخديوى اســماعيل الشــاعر والأديب المصرى عبد الله أبو السعود ، ليصــدر صحيفة « وادى النيل » فى يولية ١٨٦٧ ، وهى أول صحيفة مصرية أهليــة شبه رســمية(١١١) .

واخذت حركة المطالبةبالدستور والحكم النيابى ، تتصــاعد منذ سنة ١٨٧٦ ، نتيجة لتدهور الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية واشتداد الحاجة الى الحكم الديمقراطى لاصلاحها ، من ناحية ، وبدء ظهور الصحف الشعبية بتشجيع الخديوى اســماعيل من ناحيــة ثانيــة ، ومنها « الأهــرام » و « صــدى الأهــرام » سنة ١٨٧٦ ، ثم « حقيقة الأخبار » ، « مصر » و « الوطن » سنة ١٨٧٧ . وقد أفادت من صدور دستور مدحت « باشا » فى تركيا عام ١٨٧٦ ، فطالبت بالاقتداء به .

واثمر الصــدام الذى وقع ســنة ١٨٧٩ ، بين «مجلس شورى النواب » المدعم من الصحف الوطنية ، وبين الوزارة

---

(١١٠) على الدين هلال ، السياسة والحكم فى مصر : العهد البرلمــانى ١٩٢٣ — ١٩٥٢ (القاهرة : مكتبة نهضة الشرق ، ١٩٧٧) ص ٢٦ .

(١١١) رمزى ميخائيل ، تطور الخبر ، ص ٩٤ — ٩٦ .

المصريـة المستندة الى القوى الأجنبية ، عن وضـع « لائحـة وطنية » فى أبريل ١٨٧٩ ، طالبت فيها كل القوى السياسـية باقامة نظام دستورى يقوم على مسـئولية النظارة امام المجلس النيابى . وكان لصحف « مصر » ، « الوطن » ، « التجـارة » و « مرآة الشرق » ، دور بارز فى هذه الحركة .

وقد قبل الخديوى اسماعيل المطالب الوطنية ، حتى يتخلص من النـاظرين الأجنبيين ، فازداد التناقض بينـه وبين النفوذ الأجنبى . وبدا الخـديوى حريصـا على المطـالب الوطنيـة والدستورية .

وفى مايو ويونيـة ١٨٧٩ ، قدمت النظـارة الى «مجلس شورى النواب » مشروع « اللائحة الأساسية » للمجلس ـــ أول مشروع دستور نيابى برلمـانى ـــ ومشروع « اللائحة الانتخابية » . وأخذت صحف : « مصر » ، « الوطن » ، « التجارة » ، « مرآة الشرق » و « صدى الأهرام » ، تناقش مشروعى اللائحتين ، وتساند مواقف الأعضاء المشرفة .

ولكن هذا التطور توقف نتيجـة للتدخل الأوربى ، وخلع الخديوى اسماعيل ، وتعيين الخديوى توفيق يوم ٢٦ يونيـة سنة ١٨٧٩ ، الذى فض « مجلس شورى النواب » ، وعطـل الحياة النيابية من ٦ يولية ١٨٧٩ الى ٢٦ ديسمبر ١٨٨١ .

وتولت الحركة العرابية منذ ٩ سبتمبر ١٨٨١ ، المطالبـة باقامة الحكومة الدستورية وتشكيل « مجلس شورى النواب » . وتصدت صحف : « مصر » ، « العصر الجديد » ، « المفيد » ، « المحروسة » و « الوطن » ، لرعاية ودعم هـذه المطالبة ،

حتى صدرت فى ٧ فبراير ١٨٨٢ ، « اللائحة الأساسية » الجديدة لمجلس النواب ، ثم صدر قانون الانتخاب فى ٢٥ مارس . ومع أن هذه اللائحة تعتبر أكثر التنظيمات الدستورية ديمقراطيــة حتى دستور ١٩٢٣ ، الا انها أعطت الخديوى ســلطات لا تتفق مع الحكم الديمقراطى البرلمــانى ، هى حق حل المجلس ، واختيار رئيسه ، والاعتراض على القوانين(١١٢) .

وفى مســتهل عهــد الاحتــلال ، وضــع « اللورد دفرين Dufferin » تقريــرا خلص فيــه الى أن مصــر لا تســتطيــع الحصول على الاستقلال الذاتى فى الأجل القصــير ، ولكن يمكن تطبيق الحكم الدستورى فيها تدريجيا . وعلى هذا الأســاس اقامت سلطة الاحتلال نظاما للحكم يضمن مصالحها واغراضها ، فأصدرت « القانون النظامى » فى أول مايو ١٨٨٣ ، الذى يعد نكسة فى التطور الدســتورى لمصر ، وبمقتضاه تألفت الهيئــة التشريعيــة من مجلســين : « مجلس شــورى القــوانين » ، و « الجمعية العمومية » . وكان رأيهما استشاريا فى كل الأمور ، عدا الضرائب والرسوم .

واستشعارا من الصحف الوطنية لصعوبة الحصــول على الاستقلال فى المدى القريب ، أخذت تطــالب بالدستور والحــكم النيابى الصحيح ، عاملة على جعل الفكرة الدستورية غاية وطنية ، واضعة مسئولية تحقيقها على عاتق الهيئات التشريعية ، محتضنة مطالب أعضائها بتوسيع اختصاصاتها .

وكتب مصطفى كامل وعلى يوسف عدة مرات ، على صفحات « المؤيد » و « اللواء » بين سنتى ١٨٩٢ و ١٩٠٤ ، يطالبان بانشاء

---

(١١٢) على الدين هلال ، السياسة والحكم ، ص ٣٢ ــ ٣٥ .

مجلس نيابى . وفى عام ١٩٠٤ ، تقدم على يوسف صاحب « المؤيد » الى « الجمعية العمومية » بمشروع قرار بالمطالبة بانشاء مجلس نيابى . واقرت الجمعية المشروع ولكنه لم ينفذ ، لأن « اللورد كرومر » رأى أن البلاد غير مؤهلة للحكم النيابى « ليس الآن فحسب ، بل الى الأبد » . فكرر على يوسف طلبه سنة ١٩٠٧ ، ملتمسا توسيع اختصاصات مجالس المديريات ومجلسى الهيئة التشريعية القائمين ، الى حين تاليف المجلس النيابى المقترح .

ولما طالبت « الجمعية العمومية » فى مارس ١٩٠٧ بانشاء مجلس نيابى ، ردت وزارة مصطفى فهمى بأن الوقت المناسب لم يحن بعد ، وأنها تشتغل فى توسيع اختصاص مجالس المديريات . وعبر هذا الرد عن السياسة البريطانية القائمة على منح هذه المجالس بعض الاختصاصات الشكلية ، من اجل تخفيف حدة الوضع السياسى .

ومع انتهاء سنة ١٩٠٧ ، كان الدستور والحكم النيابى ، هدفا مشتركا بين جميع الأحزاب التى تألفت خلال هذه السنة ، وصحفها : « اللواء » ، « القطر المصرى » ، « الجريدة » ، « المؤيد » و « الأحرار » ، لكن مع اختلاف فى الأسلوب والمنهج ، تراوح بين مناداة أحمد حلمى فى « القطر المصرى » باتحاد الجيش مع الشعب للمطالبة بالدستور ، والاضراب عن شراء البضائع البريطانية ، لاثارة الراى العام البريطانى على حكومة الاحتلال ، وبين ترويج « المقطم » و « الوطن » راى سلطة الاحتلال بأن المصريين ليسوا أهلا لنوال الدستور ، فلابد من التدرج البطىء لتهيئة البلاد للحكم النيابى .

وشهدت سنة ١٩٠٨ تصاعدا كبيرا فى الحركة الدستورية . فقد اشتدت الصحف الوطنية بقيادة « اللواء » فى حملتها ،

وبفضلها جمع الحزب الوطنى ـ من فبراير الى أبريل ١٩٠٨ ـ نحو ٧٥ ألف عريضة للمطالبة بالحكم النيابى ، وأرسلها الى الخديوى(١١٣) ، الذى كان يشجع الحركة الدستورية لتسانده فى مواجهة المعتمد البريطانى . فلما تقدمت الحكومة الى مجلس الشورى فى يونية ١٩٠٨ ، بمشروع لزيادة اختصاصات مجالس المديريات ، أجل المجلس نظره الى أبريل ١٩٠٩ ، لعدم تناسبه مع المطلب الوطنى باقرار مبدأ المسئولية الوزارية أمام المجالس النيابية .

وأفادت الصحف الوطنية فى المطالبة بالحكم الدستورى ، من فوز الشعوب التابعة للدولة العثمانية فى يولية ١٩٠٨ بالدستور ، الذى منحها حق الانتخاب والانابة عنها فى مجلس المبعوثين ، بينما بقيت مصر ـ وهى فى طليعة هذه الأمم ـ محرومة هذه الحقوق ، مما استفز مشاعرها ودفعها الى الاشتداد فى مسعاها . وكان رد « السير الدن جورست » على هذه الحملة الصحفية ، الذى نشرته الصحف يومى ٢٣ و ٢٤ أكتوبر ١٩٠٨ ، ان الشروط اللازمة لادارة البلاد بموجب دستور وحكومة نيابية لم تتوفر بعد . فتصدت الصحف تتقدمها « اللواء » ، « القطر المصرى » و « الجريدة » ، لتفنيد هذا الرأى ، مما زاد « جورست » اقتناعا بضرورة تشديد الرقابة على الصحافة والخطابة .

وكان لحملة الصحف الوطنية اثر كبير على أعضاء مجلس شورى القوانين ، فطالب بعضهم فى جلسته يوم ٣١ أكتوبر ١٩٠٨ ، بانشاء مجلس نيابى على أحدث النظم الدستورية فى أوربا .

---

(١١٣) محمد فريد ، مذكراتى بعد الهجرة ، ص ٥٨ ، ٥٩ .

واحتضنت الصحف الوطنية حركتهم ، مما دفع المعتمد البريطانى الى محاولة استمالة أعضاء المجلس اليه والسيطرة عليهم . وظهرت نتيجة مساعيه حين اجتمع المجلس فى ديسمبر ١٩٠٨ ، فقد اكتفى المجلس بمطالبة الحكومة باعداد « مشروع قانون يمنح الأمة حق الاشتراك الفعلى مع الحكومة فى ادارة أمورها الداخلية وشئونها المحلية .. » . وعززت الصحف الوطنية طلب المجلس ودعت الى تحقيقه ، وان كان فى نظرها لا يحقق جميع الأمانى الدستورية .

ولتهدئة الموقف ، وافقت سلطات الاحتلال سنة ١٩٠٩ ، على علنية جلسات الهيئة التشريعية وتعديل قانون مجالس المديريات . ولكن الحركة الدستورية لم تفتر ، وظل تأثيرها قويا على أعضاء مجلس الشورى ، فاختلفوا مع حكومة بطرس غالى حول اختصاصاتها ، واعترضوا على انفاق الحكومة اموال مصر فى السودان دون رقابة أو حساب .

وحاول بعض أعضاء « مجلس شورى القوانين » فى جلسته يوم ١٣ أبريل ١٩٠٩ ، الغاء قانون المطبوعات بتقديم مشروع لقانون جديد للصحافة ، ولكن مشروعهم لم ينل الأغلبية اللازمة من الأصوات ، مما عرض المجلس لهجوم عنيف عليه من الصحف ، وخاصة « اللواء » ، « مصر الفتاة » و « الجريدة » .

ولذلك هاجم « الدن جورست » فى تقريره عن سنة ١٩٠٩ ، مجلس الشورى ، وعبر عن ضيقه بتأثير الصحف الوطنية عليه ، وتلقفها مواقف المعارضة داخله « لتحشو بها أعمدتها » ، واتهامها الأعضاء الذين يؤيدون اقتراحات الحكومة ، بضعف الوطنية(١١٤) .

---

(١١٤) ابراهيم عبده ، تطور الصحافة ، ص ١٨٣ .

وتحت تأثير الحملة الصحفية التى قادها « الحزب الوطنى »، طلب بعض أعضاء « الجمعية العمومية » فى مارس ١٩١٠ ، منح البلاد الدستور وانشاء المجلس النيابى ، والغاء قانون المطبوعات. وقرر « مجلس شورى القوانين » فى مايو ١٩١٠ ، رفض مشروع الحكومة بمحاكمة الصحفيين أمام المحاكم الجنائية بدلا من المحاكم الابتدائية . ولكن الحكومة رفضت كلا من الطلب والقرار .

ولكن الحركة الدستورية تراجعت بعد ذلك لسببين : أولهما ، تنكر الخديوى لها ، لأنها لا تتمشى مع « سياسة الوفاق » بين السلطتين الفعلية والشرعية فى البلاد ، التى انتهجها «جورست» وسار عليها الخديوى . وثانيهما ، اغتيال بطرس غالى فى فبراير ١٩١٠ ، وما أحدثه من شقاق ، وما تلاه من اضطهاد الحكومة للصحافة ، وضغطها على أعضاء مجلس الشورى والجمعية العمومية ، مما دفع الهيئة التشريعية الى مسايرة الحكومة وسلطات الاحتلال ، فاستحقت مدح « اللورد كتشنر » فى تقريره عن سنة ١٩١١ .

ثم تصاعدت الحركة الوطنية المصرية ، بينما كانت سلطات الاحتلال البريطانى ترغب فى اقامة نظام تشريعى جديد ، يصرف الأمة الى حين عن المطالبة بالدستور . فألغت « مجلس شورى القوانين » و « الجمعية العمومية » . وصدر فى أول يولية ١٩١٣ ، قانون انشاء « الجمعية التشريعية » . ورغم أنها لم تختلف كثيرا عن التنظيمات السابقة من حيث المقومات والاختصاصات والطبيعة الاستشارية ، الا أنها كسرت حدة الحكم المطلق . وكان رأى « كتشنر » الذى سجله فى تقريره ، هو أن الحكم المطلق يمنع

تربية الأشخاص على ابداء النصح السليم للحكومة(١١٥) .

وصاحب الحملة الانتخابية للجمعية التشريعية سنة ١٩١٣، وتواكب مع جلساتها فى سنة ١٩١٤ ، حملة صحفية اشتركت فيها الصحف المصرية والأجنبية ، لمعارضة تقييد الصحافة ، والمطالبة بالغاء قانون المطبوعات . وتقدمت الصحف فى هذه الحملة صحيفة « الشعب » التى راسها أمين الرافعى ، وصارت لسان حال الحزب الوطنى منذ سنة ١٩١٢ . وتبلور رأيها فى أن الجمعية التشريعية لن تؤدى وظيفتها بغير صحافة حرة . وزامل « الشعب » ، العديد من الصحف المصرية والأجنبية أيضا ، ومنها : « البورص اجبسين «La Bourse Egyptienne و « الجورنال دوكير Le Journal du Caire ، و « الفار دالكسندرى Le Phare d'Alexandrie و « البيراميد «Les Pyramides

وبرزت حرية الصحافة كمطلب واضح فى البرامج الانتخابية للمرشحين لعضوية الجمعية التشريعية سنة ١٩١٣ ، حتى أن سعد زغلول ، ناظر المعارف العمومية فى نظارة بطرس غالى ، التى اعادت العمل بقانون المطبوعات سنة ١٩٠٩ ، قال فى برنامجه :

« انى لا أزال مقيما على رأيى المعلوم فى اعطاء الصحافة الحرية اللازمة لزيادة نجاحها وارتقائها فى خدمة الأمة » . وعاهد سعد زغلول الناخبين بالعمل على اقناع أعضاء الجمعية والحكومة « بوضع قانون تصان به حرية الصحافة من جهة ، ويصان به النظام العام من ضرر شططها من جهة اخرى » .

---

(١١٥) ... ، « الحوادث ، التربية السياسية ، حرية ابداء الآراء » ، الشعب ، ٥ يونية ١٩١٤ ، ص ٤ .

وبعد أن نال عضوية « الجمعية التشريعية » ووكالتها ، أعلن سعد زغلول فى احدى خطبه بها ، انه عارض القانون أولا فى نظارة بطرس غالى ، ثم وافق عليه بحسن نية مراعيـا الظروف التى صدر فيها ، « وها انا اليوم نادم على ما فعلت بالأمس »(١١٦) .

وقد افتتحت « الجمعية التشريعية » دورتها الأولى يوم ٢٢ يناير ١٩١٤ ، واستمرت الى يونية ١٩١٤ . ثم توالت الأحداث نتيجة لنشوب الحرب العالمية الأولى ، واعلان الأحكام العرفية . وصدر أكثر من قرار بتأجيل موعد انعقاد الجمعية التشريعية . فعقد أعضاؤها اجتماعا استثنائيا ، يوم ٩ مارس ١٩٢٠ ، بمنزل سعد زغلول ، وكيل الجمعية التشريعية المنتخب ورئيس الوفد المصرى ، فى أثناء وجوده فى باريس . واتخذوا ثمانيـة قرارات لتأييد الوفد المصرى فى مساعيه ، ومعارضة تصرفات الاحتلال البريطانى بمصر والسودان(١١٧) .

ثم صدر قانون الغاء « الجمعية التشريعية » يوم ٢٩ ابريل سنة ١٩٢٣ ، بعد صدور الدستور فى ١٩ أبريل ١٩٢٣ . وظلت البلاد محرومة أية هيئة نيابية ، حتى انعقاد البرلمان فى ١٥ مارس سـنة ١٩٢٤ .

---

(١١٦) العقاد ، سعد زغلول ، ص ١٣١ ، ١٥٤ ، ١٥٥ .

(١١٧) محضر الاجتماع اثبت كاملا فى محاضر جلسات مجلس النواب ، الجلسة التاسعة ، السبت ٢٩ مارس ١٩٢٤ ، ص ٨١ ، ٨٢ .

(خامســـــا)

صحافــة الحــزب الوطنى

تصدر الحركة الوطنية المصرية ، فى مطلع القرن العشرين ، الزعيم مصطفى كامل و « الحزب الوطنى » . وكانت الصحافة عمادهما الأول لنشر المبادىء وتوجيه القوى لتحقيق الأهداف . ومن هنا انبعثت ظاهرة كثرة وتنوع وانتشار صحف « الحــزب الوطنى » ، بما لم يتحقق لأى حزب آخر .

وكانت « اللواء » التى بدأ ظهورها يوم ٢ يناير سنة ١٩٠٠ ، هى حجر الزاوية التى تأسس الحزب عليهـا يوم ٢٧ ديسمبر سـنة ١٩٠٧ ، كما كانت الصحيفـة الأم الأقوى تأثيرا والأطول عمرا ، والتى تفرعت منها كثير من صحفه .

وارتبطت صحف « الحــزب الوطنى » بخط عـام قوامه معارضة الاحتلال وفضح أساليبه ، واثارة الرأى العام العالمى والمحلى ضده ، الا أنها اختلفت من حيث علاقتها بالحزب ، وتنوعت

اساليبها ودرجات حماستها وعنفها ، متأثرة بطبيعة وثقافة مالكيها ومحرريها وجنسياتهم . وبقدر تأثيرها وعنفها ، كانت معاناتها من اضطهاد الحكومة المصرية وسلطات الاحتلال البريطاني لها ، فاختفت صحيفة بعد الأخرى .

وقد كان الهدف الأول أمام مصطفى كامل و « الحزب الوطني » هو تحقيق الجلاء . فأقام الزعيم خطته على أنه لا مهادنة مع الاحتلال . ورسم سياسته على اثارة المشاعر الوطنية لدى المصريين ، والتعاون مع جميع الأطراف المعادية للاحتلال ، والحفاظ على تأييد الخديوى ، والحصول على مساعدة الفرنسيين والأتراك(١١٨) . وكانت حماسته لتركيا والخلافة الاسلامية شديدة .

ولكن الود لم يستمر بين مصطفى كامل والخديوى عباس حلمى ، بعدما ظهرت على الأخير علامات اليأس بسبب حادثة « فاشودة » سنة ١٨٩٨ ، و « الاتفاق الودى » سنة ١٩٠٤ . وخاب أمل مصطفى كامل فى أوربا وخاصة فرنسا ، بعد الحادثة والاتفاق . فاتجه اتجاها جديدا فى « اللواء » ، محوره اعتماد المصريين على أنفسهم لتحقيق استقلال بلادهم(١١٩) .

وتقدمت « اللواء » على « المؤيد » فى سعة الانتشار ، بعد « الاتفاق الودى » سنة ١٩٠٤(١٢٠) . وصارت « اللواء » أوسع

---

(١١٨) آدمس ، تشارلس ، الاسلام والتجديد فى مصر ، ترجمة عباس محمود ، تقديم مصطفى عبد الرازق (القاهرة : مطبعة الاعتماد ، ١٩٣٥) ص ٢١١ ؛ Zayid, M., Op. Cit., P. 337.

(١١٩) ابراهيم عبده ، تطور الصحافة ، ص ١٦٠ ، ١٦٥ ، ١٧٤ .

(١٢٠) ابراهيم عبده ، تطور الصحافة ، ص ١٦٦ .

الصحف المصرية انتشارا ، فقد بلغ متوسط توزيعها اليومى ١٤ الف نسخة ، قبيل تأليف « الحزب الوطنى » سنة ١٩٠٧ ، بينما لم يزد توزيع الصحيفة التالية لها ، وهى « المؤيد » ، عن ٧ آلاف نسخة(١٢١) .

وكانت « اللواء » صحيفة يومية ، أردفها صاحبها بصحيفة شهرية هى « مجلة اللواء » ، التى صدر العدد الأول منها يوم ١٥ نوفمبر سنة ١٩٠٠ ، فى شكل كتاب متوسط الحجم . وكانت تضم مختارات من المقالات والأخبار الداخلية والخارجية ، التى نشرت فى « اللواء » اليومية خلال الشهر(١٢٢) .

وفى سنة ١٩٠٥ ، أصدر مصطفى كامل صحيفة أسبوعية هى « العالم الاسلامى » ، تعنى بأخبار المسلمين فى مصر وبقية بلاد العالم ، وتنشط دعوة مصطفى كامل للجامعة الاسلامية ، وتدعم العلاقة مع الدولة العثمانية .

وفى نوفمبر سنة ١٩٠٦ ، أسس مصطفى كامل ، بمساعدة الخديوى عباس حلمى ، شركة مساهمة راس مالها عشرون الف جنيه ، لاصدار صحيفتين يوميتين احداهما مسائية بالفرنسية هى L'Etendard Egyptien ، والأخرى صباحية بالانجليزية هى The Egyptian Standard . وقد صدرت الأولى مساء يوم ٢ مارس ١٩٠٧ ، والثانية صباح اليوم التالى .

---

(١٢١) يونان لبيب : الأحزاب المصرية ، ص ٢٤ ، ٢٥ .

(١٢٢) أعدادها محفوظة فى « دار الكتب المصرية » . وليس صحيحا أن عددها الأول صدر فى شهر فبراير ١٩٠٠ ، كما يقول عبد الرحمن الرافعى فى كتابه : مصطفى كامل ، ص ١٤٥ .

وكان الهدف من اصدار الصحيفتين ، هو الرد على الصحف البريطانية التى تصدر بمصر ، وتؤيد سياسة الاحتلال البريطانى لها(١٢٣) ، وكذلك مواجهة الصحف الفرنسية التى كانت تصدر فى مصر ، والتى تحولت بعد « الاتفاق الودى » بين بريطانيا وفرنسا فى ٨ أبريل ١٩٠٤ ، من تأييد الحركة الوطنية المصرية ضد الاحتلال البريطانى ، الى الاشادة بالاحتلال ، والاستخفاف بمصطفى كامل والوطنيين المصريين ، بل ومعاداتهم(١٢٤) .

وكان مصطفى كامل قد شعر بسبب حادثة دنشواى ، فى يونية ١٩٠٦ ، بالحاجة الماسة الى مخاطبة الأجانب فى مصر ، والرأى العام فى الخارج . وبهاتين الصحيفتين ، استطاع أن يطلع الأجانب فى داخل البلاد وخارجها ، على حقيقة الاحتلال البريطانى لمصر . غير أنهما توقفتا عن الصدور سنة ١٩٠٩ ، بسبب الخسائر المالية(١٢٥) .

---

(١٢٣) وهى صحيفة The Egyptian Gazette التى كانت تصدر بالاسكندرية منذ ٢٦يناير١٨٨٠ ، وصحيفة The Egyptian Morning News التى صدرت بالقاهرة يوم ٢٠ مايو ١٩٠٤ ، واحتجبت فى أواخر سنة ١٩١٦ ، وصحيفة The Oriental DaLy News التى صدرت بالقاهرة يوم ٢٨ نوفمبر ١٩٠٦ ، واحتجبت فى شهر مايو ١٩٠٧ . راجع : أحمس فيليب عبد الملك ، « الصحافة الانجليزية .. » ، ص ٢٤ .

(١٢٤) وهذا ما فعلته صحيفة La Réforme وصحيفة L'Egypte وغيرهما . راجع : محمود نجيب أبو الليل ، الأمانى الوطنية والمشكلات المصرية فى الصحف الفرنسية ، منذ عقد الاتفاق الودى حتى اعلان الحرب العالمية الأولى ، الطبعة الأولى (القاهرة : بدون اسم ناشر ، ١٩٥٣) ص ١٣ — ١٥ .

(١٢٥) محمد فريد ، مذكراتى بعد الهجرة ، الكراسة الأولى ، ص ١٢ ، يونان لبيب ، الأحزاب المصرية ، ص ٢٥ .

وفى أول اجتماع للجنة الادارية للحزب ، يوم ٢ يناير ١٩٠٨، تقرر اعتبار « اللواء» الصحيفة الوحيدة الناطقة بلسان « الحزب الوطنى » . وبعد وفاة مصطفى كامل ، يوم ١١ فبراير سنة ١٩٠٨ ، انتقلت ادارة « اللواء » الى « الحزب الوطنى » ، وامتلكتها شركة رأس مالها اربعون ألف جنيه ، هى « شركة اللواء ــ على فهمى كامل ــ وشركاؤه » . وانتخب محمد فريد ، وعلى فهمى كامل ، ومحمد خلوصى ، كمجلس لادارتها . وتولى رئاسة تحريرها الشيخ عبد العزيز جاويش(١٢٦) .

ولكن خلافا نشب فى سنة ١٩٠٨ ، بين محمد فريد رئيس الحزب وبين ورثة مصطفى كامل ، وعلى رأسهم شقيقه على فهمى كامل ، حول صحيفة « اللواء » ، ترتب عليه تعيين يوسف المويلحى حارسا قضائيا عليها ، وعودة العمال الذين رفتهم محمد فريد بسبب اعتصاب قاموا به قبيل ذلك ، فى نوفمبر سنة ١٩٠٨(١٢٧) .

فما كان من رئيس الحزب ، الا أن قطع الصلة بين الحزب و « اللواء » ، وأصدر صحيفة « العلم » يوم ٧ مارس ١٩١٠ ، لتتحدث باسم الحزب . واتخذ من « الشعب » لسانا لحاله فى أوقات تعطيل « العلم » .

ولكن يوسف المويلحى ، ومجموعة المحررين والعمال المتعاونين معه ، لم يعترفوا بقرار رئيس الحزب ، وظلت « اللواء »

---

(١٢٦) ... ، « الصحافة المصرية وموقفها اليوم » ، الشعب ، ١٩ مايو ١٩١٢ ، ص ١ ، محمد فريد : مذكراتى بعد الهجرة ، الكراسة الأولى، ص ١٠ ، الكراسة الثانية ، ص ٤٦ .

(١٢٧) ... ، « حوالى الاعتصاب فى ادارة اللواء » ، القطر المصرى ، ٦ نوفمبر ١٩٠٨ ، ص ٣ .

تعتنق مبادىء الحزب وتزين رأسها بعبــارة « لسان حال الحزب الوطنى » ، حتى أغلقت نهائيا سنة ١٩١٢ . فقد قابلتها عدة صعوبات ماليــة ، والكثير من المشــكلات السياســية ، نتيجــة لمعارضتها الحكومة . وبعد أن أنذرتها السلطات مرتين ، قررت تعطيلها نهائيــا ، يوم ٣١ اغسطس ١٩١٢ ، بحجــة أنها عينت محمد المهدى محررا مسئولا لها ، خلفا لعلى فهمى كامل ، دون الحصول على اذن من ادارة المطبوعات ، ولأن بعض رجالها صدرت ضدهم أحكام قضائية لأمور مخلة بالأمن .

وقد أصدر « الحزب الوطنى » صحيفة « العلم » لسانا لحاله ، يوم ٧ مارس ١٩١٠ . وألف لها شركة براس مال قدره خمسة آلاف جنيــه ، زيدت الى احد عشر الف جنيه . وكان صاحب امتيازها ومديرها اسماعيل حافظ . ورأس تحريرهــا عبد العزيز جاويش حتى فبراير ١٩١٢ ، وخلفه أمين الرافعى . وبسبب مواقفها المتشددة فى المطــالب الوطنية ، عطلتها الحكومة لمدة شــهرين من ٢٠ مــارس ١٩١٠ ، ولمدة ثلاثــة اشــهر من ١٩ ديسمبر ١٩١١ . وفى يوم ٧ نوفمبر ١٩١٢ ، وضعت الحكومة نهاية لحياتها ، لأنها نشرت مقالة لمحمد فريد عن رأيه فى الحرب البلقانية ، وما أصاب تركيا فيها من الهزائم . وقد حمل الكاتب « الصدر الأعظم » مســئولية الحالة التى انتهت اليها ، فســاء الحكومة أن يطعن فى رجــل اشتهر بولائه للبريطــانيين ، فعطلت « العلم » نهائيا(١٢٨) .

أما صحيفة « الشعب » فكانت تصدر منذ سنة ١٩٠٩(١٢٩)

---

(١٢٨) عبد الرحمن الرافعى ، محمد فريد ، ص ٣٢٢ .

(١٢٩) أول اعداد « الشعب » المحفوظة « بدار الكتب المصرية » ، هو العدد رقم ٤٥ ، السنة الثانيــة ، الصادر فى ٢٠ أبريل ١٩١٠ . وظهرت على رأسها عبارة « لسان حال الحزب الوطنى » .

واتخذ الحزب الوطنى منها لسانا لحاله فى فترات توقف « العلم » وكان صاحب امتيازها والمسئول عن ادارتها محمود أبو عثمان. وقامت بطبعها « شركة مطبعة العلم » . وتولى رئاسة تحريرها أمين الرافعى منذ شهر نوفمبر ١٩١٢ ــ بعد تعطيل « العلم » نهائيا ــ الى أن عطلها بنفسه يوم ٢٨ نوفمبر ١٩١٤ ، احتجاجا على اضطهاد الحكومة للصحف ، وحتى لا ينشر اعلان الحماية البريطانية على مصر ، ويعمل تحت وطأتها .

والى جانب « اللواء » و « الشعب » و « العلم » ، كصحف رسمية « للحزب الوطنى » ، تمتع الحزب بتأييد عدة صحف تعبر عن مبادئه ، وينتمى ملاكها ورؤساء تحريرها الى مدرسة « اللواء » الصحفية . ولكنها تختلف فى بعض الاتجاهات ، وهى :

١ ــ « الدستور » :

أصدرها الكاتب الاسلامى محمد فريد وجدى ، فى ١٦ نوفمبر ١٩٠٧ ، وراس تحريرها . وكان يغلب عليها الطابع الدينى . وفى ٢٠ ابريل ١٩٠٩ ، أعلن صاحبها خروجه عن « الحزب الوطنى » لأسباب أهمها معاداة الحزب للخديوى . وتوقفت « الدستور » عن الصدور يوم ٩ ديسمبر ١٩٠٩ ، لأسباب مالية .

٢ ــ « القطر المصرى » :

صحيفة اسبوعية ، أصدرها فى ٢٤ أبريل ١٩٠٨ ، أحمد حلمى ، الشخصية الثانية فى « اللواء » ، بعد استقالته منها . وكانت « القطر المصرى » عنيفة فى مهاجمتها الخديوى والاحتلال البريطانى . فصدر حكم فى ١٦ أبريل ١٩٠٩ بحبس

صاحبها عشرة شهور ، وبايقافها ستة شهور ، واعدام العدد رقم ٣٧ منها . وحوكم أحمد حلمى فى نفس الوقت ، لتزعمه المظاهرة التى قامت فى أول أبريل ١٩٠٩ ، احتجاجا على قانون المطبوعات . وصدر ضده حكم آخر بالحبس ستة أشهر بتهمة اهانة الحكومة . ولما عادت « القطر المصرى » للصدور فى ٢٣ أكتوبر ١٩٠٩(١٣٠) ، حاولت الافادة من الامتيازات والحماية الأجنبية ، فاستخدمت « جبرييل سكور دينو » الايطالى ، لتحرير عددها الأول . وخلفه فى الأعداد التالية « راؤول مارشان Raoul Marchand » الفرنسي . ولكن سلطات الاحتلال لم تأبه لهذه الحيلة . وقامت الحكومة المصرية باغلاق « القطر المصرى » نهائيا ، يوم ٢٢ يناير ١٩١٠(١٣١) ، بعد موافقة المعتمد البريطانى بمصر ووزير الخارجية البريطانية ، بسبب نقدها الخديوى والاحتلال البريطانى بشدة .

٣ ـ « وادى النيل » :

أصدرها محمد الكلزة ، مكاتب « اللواء » بالاسكندرية ، يوم ٢ مايو ١٩٠٨ . وفى شهر ديسمبر من السنة نفسها ، تحولت ملكيتها الفردية الى شركة برئاسة مؤسسها ، باسم « شركة وادى النيل » . وكانت أكثر صحف الحزب الوطنى اعتدالا ، وأقلها تعبيرا عن الاتجاه الاسلامى . وقد ماثلت « اللواء » فى عدائها للاحتلال ، ولكنها لم تجارها فى عدائها للخديوى و « حزب الاصلاح على المبادىء الدستورية » و « حزب الأمة » .

---

(١٣٠) ... ، « بزوغ الشمس » ، القطر المصرى ، ٢٣ أكتوبر ١٩٠٩ ، ص ٢ .

(١٣١) عبد الرحمن الرافعى ، محمد فريد ، ص ١١١ ، ... ، « اقفال جريدة القطر المصرى » ، الجريدة ، ٢٣ يناير ١٩١٠ .

وأغلقتها الحكومة فى ٦ أبريل ١٩١٢ ، لأنهـا نشرت يوم ٣ أبريل سنة ١٩١٢ ، مقالا بعنوان « أحرب طاحنة أم حملة صغيرة » ، ورأت الحكومة أنها « ترمي الى اضعاف نفوذ السلطة العسكرية ، والتحريض على خرق النظـام العسكرى ، فضلا عن أنها نسبت الى الحكومة التقصير فى واجباتها نحو الجيش ، الذى من شأنه الاخلال بالنظام العام »(١٣٢) . ثم سمحت السلطات البريطانية « لوادى النيل » بالصـدور فى ٢٧ يونية ١٩١٤ ، وصارت صديقة للاحتـلال .

٤ ـ « ضياء الشرق » :

اصدرها محمود حسيب يوم ٢ مايو ١٩٠٨ ، فى نفس يوم صدور « وادى النيل » . ولكن عمرها لم يتجاوز ٣٦ يوما . واحتجبت يوم ٦ يونية ١٩٠٨ ، بسبب عدم رواجها ، لتشابهها الشديد مع « اللواء » .

٥ ـ « مصر الفتـاة » :

اصدرها « يوسف بك المويلحى وشركاه » من أعيان القاهرة. وقام بتحريرها عدد من المحررين الذين فصلهم « اللواء » ، نتيجة لاعتصاب قاموا به فى نوفمبر ١٩٠٨ ، وعلى رأسهم سيد على . وقد صـدر العدد الأول منهـا فى أول ديسمبر ١٩٠٨ . وكانت متطرفة فى الناحيتين الوطنية والاسلامية . وبعد اعادة العمـل بقانون المطبوعات ، باعها أصحابهـا يوم ٥ أبريل ١٩٠٩ ، بيعـا صوريا الى ميكانيكى ألمـانى هو « أوجست كاين » ، حتى تحصل على الحماية الألمـانية . وظل محرروها يقومون بعملهم ، ولكن

---

(١٣٢) الوقائع المصرية ، ٧ أبريل ١٩١٢ .

موادها ازدادت تطرفا فى معارضـــة الحكومة المصرية ، وسلطات الاحتلال البريطانى التى لم ترضخ لهـذه الحيلة ، وتمكنت بعد اتصالات طويلة مع الحكومة الألمـانية ، من دفع مالك الصحيفـة الألمـانى الى اعادتها لأصحابهـا المصريين ، يوم ٣ أغسطس ١٩٠٩ . ثم أغلقت « مصر الفتاة » يوم ٥ اكتوبر ١٩١١ ، لأنها اتهمت الحكومة المصرية بالاضرار بمصالح « الدولة العلية »(١٣٣) .

٦ ـ « البـلاغ المصرى » :

صحيفة يومية ، أصدرها يوم ٩ يولية ١٩١٠ ، « جـاك دارجيـلا Jacques d'Argila » ، وهو أسبانى الجنسية . وكان هو مديرها المسـئول . اما رئيس تحريرها فهو الكاتب الفرنسى « ألبان ديروجا «Alban Derroja » رئيس نقابة الصحفيين الأوربيين .بالقـاهرة . ولكن الوثـائق البريطانيـة أوضحت أن مالكها الحقيقى هو اسماعيل شيمى « بك » ، أحد أقطاب « الحزب الوطنى »(١٣٤) .

وقد صدرت « البلاغ المصرى » فى قسمين أحدهما بالعربية بعنوان : « البـلاغ المصرى » ، والثـانى بالفرنســية بعنوان : « لادبيش اجبسـيان La Dépéche Egyptienne » . وعبر القسمان عن موقف « الحزب الوطنى » من الاحتلال والخديوى . وعنيت الصحيفة بأخبار الحزب وأقطـابه . واتصفت موادها

---

(١٣٣) الوقـائع المصريـة ، ٥ أكتوبر ١٩١١ ، ... ، « جريدة مصر الفتاة » ، العلم ، ٦ أكتوبر ١٩١١ .

(١٣٤) يونان لبيب ، الحياة الحزبية ، ص ١٤٣ ، نقلا عن : F.O. 407/145, No. 144, Gorst to Grey Dec. 10, 1910, Desp. No. 154; وابراهيم عبده ، الأهرام ، ص ١٧٧ .

بالتطرف فى الوطنية ، معتمدة فى ذلك على الحماية التى وفرتهـا لها الملكية والادارة الأجنبيتان . ولكن الحكومة المصرية تمكنت من الاتفـاق مع الحـكومتين الفرنسية والأسبانية ، على نفى مالك الصحيفة ورئيس تحريرهـا خـارج مصر فى ديسمبر ١٩١٠ . واستطاعت الصحيفة الاتفاق مع فرنسى آخر هو « المسيو ايتان ريشيه Richet » على أن يرأس تحريرها . ولكن السلطات المصرية والبريطانية والفرنسية ، تمكنت من دفعه الى الانسحاب. وما لبثت الصحيفة أن توقفت عن الصـدور فى أوائـل يتـاير سـنة ١٩١١(١٣٥) .

٧ ـ « الأفـكار » :

اصدرها محمد حلمى صادق فى اغسطس ١٩٠٠ . وانتقلت ملكيتها الى أبى العينين بدر سنة ١٩٠٣ . وفى ٢١ ديسمبر١٩١١، استأجرها « الحزب الوطنى » لتحل محل « العلم » ، بعد تعطيلها لمدة ثلاثة شهور ابتداء من ١٩ ديسمبر ١٩١١ ، وذلك فى مقابل خمسة عشر جنيها شهريا ، ومائتى نسخة منها للمشتركين . واعتبارا من ١٤ يولية ١٩١٣ ، رأس تحريرها سيد على ، وكانت تناصر « الحزب الوطنى » بصفة غير رسمية .

---

(١٣٥) يونان لبيب ، « أثر قانون المطبوعات .. » ، المجلة التاريخية ، ١٩٦٨ ، ص ٢٩٥ ـ ٢٩٧ ، ٣٠٣ ـ ٣٠٧ .

(ســـادســـــا)

ظاهرة تأليف الأحزاب حول الصحف

انفرد النشاط الصحفى والحزبى فى مصر ، فى أواخر القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين ، بظاهرة تأليف الأحزاب حول الصحف القائمة ، بدلا من أن تتشكل الأحزاب أولا ثم تصدر صحفا تنطق بلسانها ، كما حدث فى البلاد التى سبقت مصر فى الحياة الحزبية(١٣٦) ، وكما حدث فى مصر نفسها بعد ذلك .

فقد تأسس « الحزب الوطنى الحر » فى منتصف يونيـة سنة ١٩٠٧ ، برئاسة محمد وحيد ، منتهجا سياسة « المقطم » التى كانت تصدر منذ فبراير سنة ١٨٨٩ ، وتبلور حولها اتجاه سياسى مؤيد للاحتلال البريطانى . فقام برنامج الحزب على ست نقاط ، تدعو الى مسالمة المحتلين والافادة منهم ، والسعى الى الحكم النيابى تدريجيا .

(١٣٦) ... ، « تاريخ النهضة الصحافية فى اللغة العربية » ، الهلال ، أول مايو ١٩١٠ ، ص ٤٨٩ ، ٤٩٠ .

واتخذ « الحزب الوطنى الحر » من « المقطم » منبرا لنشر آرائه وأخباره ، حتى اختلف رئيس الحزب مع أصحاب « المقطم » ، فأصدر صحيفة للحزب هى « الأحرار » الأسبوعية فى ١٥ مارس ١٩٠٨ . وصار اسم الحزب « الأحرار المصريين » . ولم تستطع « الأحرار » الاستمرار فى الصدور غير سنة واحدة، لضعف الحزب ، ولتشابهها مع « المقطم » الأقدم والأقوى . وكانت « الأحرار » توزع فترة من الزمن مجانا(١٣٧) .

وقام « حزب الأمة » فى ٢١ سبتمبر ١٩٠٧ ، على مبادىء صحيفة « الجريدة » التى كانت تصدر منذ ٩ مارس ١٩٠٧ . وترأس الحزب محمود « باشا » سليمان رئيس « شركة الجريدة » . واختير أحمد لطفى السيد رئيس تحرير « الجريده »، سكرتيرا عاما للحزب .

وقد أسس « الجريدة » والحزب ، جماعة من كبار الملاك « أصحاب المصلحة الحقيقية فى البلاد » ، وبعض المثقفين من مدرسة الشيخ محمد عبده . ورأوا أن تكون صحيفتهم « مصرية حرة ، تنطق بلسان مصر وحدها ، دون أن يكون لها ميل خاص الى تركيا ، أو الى احدى السلطتين الشرعية والفعلية فى البلاد .. »(١٣٨) .

وقامت سياسة « الجريدة » على المطالبة بالاستقلال والدستور ، وانماء الشخصية المصرية ، وتوحيد عنصرى الأمة :

---

(١٣٧) ... ، « رئيس الأحرار المصريين » ، الاخبار ، ٢٤ مايو ١٩١٩ ، يونان لبيب ، الحياة الحزبية ، ص ٢١ — ٢٤ .

(١٣٨) لطفى السيد ، قصة حياتى ، ص ٤١ .

الأقباط والمسلمين ، واخلاص النصح للحكومة ، ونقد أعمال السلطتين الشرعية والفعلية بما يحقق مصلحة البلاد(١٣٩) ، والدعوة لمذهب « الحريين » ، والنهوض بالحركة الفكرية . وكانت « الجريدة » تجاهر بأن سياستها تجاه الانجليز هي « المسالمة والمحاسنة المقرونة بالمحاسبة .. » ، لا سياسة « المعاندة »(١٤٠).

ورغم أن دعوة « حزب الأمة » للقومية المصرية ، واغفاله الاتجاهات الدينية ، وجدت قبولا عميقا لدى مجتمع المثقفين والأقباط ، الا أنها لم تنتشر مثل دعوة « الجامعة الاسلامية » ، التي كان يروج لها الحزب الوطني في مجتمع أغلبيته مسلمة . ولم تنتشر « الجريدة » صحيفة الصفوة ، مثل « اللواء » صحيفة الجماهير(١٤١) . وبتأثير القيود والأحوال في أثناء الحرب العالمية الأولى ، اعتزل احمد لطفي السيد السياسة والصحافة ، وترك رئاسة تحرير « الجريدة » من يوم ٢٢ نوفمبر ١٩١٤(١٤٢) ، ودب الضعف في نشاط الحزب والصحيفة ، التي توقفت عن الصدور في أول يولية ١٩١٥ .

---

(١٣٩) عبد اللطيف حمزة ، أدب المقالة الصحفية في مصر : أحمد لطفي السيد في الجريدة ، الطبعة الثانية ، الجزء السادس (القاهرة : دار الفكر العربي ، ١٩٦١) ص ٨٩ – ٩١ ، ... ، « الصحافة المصرية وموقفها اليوم » ، الشعب ، ٢٦ مايو ١٩١٢ .

(١٤٠) ... ، « المسالمة لا المعاندة .. وداع اللورد كرومر » ، الجريدة ، ٣٠ ابريل ١٩٠٧ .

(١٤١) لاندو ، جاكوب ، الحياة النيابية والاحزاب في مصر ، من ١٨٦٦ الى ١٩٥٢ ، ترجمة وتعليق سامي الليثي (القاهرة : مكتبة مدبولي ، بدون تاريخ نشر) ص ١٤١ ، ١٤٢ .

(١٤٢) أبراهيم رمزي ، « مدير الجريدة واستقالته » ، الجريدة ، ١٤ ديسمبر ١٩١٤ .

وتألف « حزب الاصلاح على المبادىء الدستورية » ، يوم ٩ ديسمبر ١٩٠٧ ، على مبادىء صحيفة « المؤيد » وبرئاسة صاحبها ورئيس تحريرها ، الشيخ علي يوسف ، الذى أصدرها بالاشتراك مع احمد ماضى ، فى أول ديسمبر ١٨٨٩ ، معتمدة على تأييد الخديوى لمواجهة « المقطم » والمطالبة بالجلاء ، والدعوة الى الجامعة الاسلامية ، واقامة حكم نيابى مقيد بحقوق الخديوى وسلطاته .

ثم استقل على يوسف « بالمؤيد » بعد بضعة اشهر . وبفضله انتشرت فى مصر والبلاد الاسلامية ، رغم محاربة البريطانيين لها فى مستهل حياتها(١٤٣) . فلما فترت حماسة على يوسف الوطنية بعد زيارته لندن سنة ١٩٠٣ ، وعقد « الاتفاق الودى » بين بريطانيا وفرنسا سنة ١٩٠٤ ، ضعفت مكانة الرجل وصحيفته لدى الوطنيين . وتقدمت « اللواء » على « المؤيد » فى المكانة الأدبية وسعة الانتشار .

ثم ترك على يوسف رئاسة تحرير « المؤيد » فى أواخر مارس ١٩١٢ ، وأصيب الحزب والصحيفة بالضعف . وفى أثناء الحرب العالمية الأولى ، توقف الحزب عن النشاط ، وأغلقت الصحيفة فى ٨ ديسمبر ١٩١٥ .

أما « الحزب الوطنى » ، فقد أعلن مصطفى كامل تأسيسه رسميا يوم ٢٧ ديسمبر ١٩٠٧ ، بعد أن تألف واقعيا على مبادىء « اللواء » ، ومن الجمهور الذى التف حولها ، منذ بدء ظهورها يوم ٢ يناير ١٩٠٠ . ثم تعرضت « اللواء » لعدة مشكلات مالية

---

(١٤٣) الياس زخورة ، مرآة العصر فى تاريخ ورسوم أكابر الرجال بمصر ، الجزء الثالث (القاهرة : المطبعة العمومية ، ١٨٩٧) ص ٥٤٢ ، ٥٤٣ .

وسياسية ، خاصــة بعد وفــاة مصطفى كامل مؤسس الحزب والصحيفة ، يوم ١١ فبراير ١٩٠٨ ، انتهت باغلاق الصحيفة فى ٣١ اغسطس ١٩١٢ .

وقد نبعت ظاهرة تأسيس الأحزاب حول الصحف القائمــة من عدة عوامل ، يتعلق بعضها بالصحافة وروادها ، ويختص البعض الآخر بالأحزاب وزعمائها . فقد اجتمعت ريادة الصحافة مع زعامة الأحزاب ، فكان مؤسس الصحيفة ورئيس تحريرها هو نفسه زعيم الحزب الذى تألف حولها ، أو أحد أقطابه .

وكانت الصحافــة فى تلك الفترة ، أقوى وســيلة للعمــل السياسى ، وخاصة أن حريتها أطلقت فى الفترة من سنة ١٨٩٤ ، عندما أهمل تنفيذ قانون المطبوعات الصادر سنة ١٨٨١ ، حتى ٢٥ مارس سنة ١٩٠٩ ، عندما أعيد العمل به . وفى جو الحرية هذا برز كتاب ، وظهرت اتجاهات سياسية وتبلورت . الى جانب أن سلطات الاحتلال اعتمدت على صحف معينة تؤيدها ، فأصدر الوطنيون صحفــا تناوئها ، مما هيأ وســطا مناســبا لنشــأة الأحزاب فى دور هذه الصحف .

أما الأحزاب ، فقد كان قادتها ومؤسسوها فى حاجة الى تأليف قواعد شعبية لأحزابهم ، قبل تشكيلها رسميا ، بســبب عدم نمو الوعى القومى بدرجة كافية . وكانت الصحف أفضــل وسيلة لنشر مبادىء وأفكار مؤسسى الأحزاب(١٤٤) .

وكانت علاقة الصحف الحزبية بأحزابها ، علاقة عضــوية سياسية فى المقام الأول . فلما ازدادت القيود على النشــاط

(١٤٤) سامى عزيز ، الصحافة والاحتلال ، ص ١٤٩ ، يونان لبيب ، الحياة الحزبية ، ص ١١٢ – ١١٦ .

الحزبى ، اشتد معها اضطهاد السلطات للصحافة الحزبية بصفة خاصة ، فكان ضعف ثم توقف النشاط الحزبى خلال الحرب العالمية الأولى ، متلازما مع تدهور أحوال الصحف الحزبية واحتجابها .

وبدا الاتجاه الوطنى واضحا فى اختيار أسماء الأحزاب والصحف الحزبية . فمن أسماء الأحزاب : « الأمة » ، « الاصلاح على المبادىء الدستورية » ، و « الوطنى » . ومن أسماء الصحف الحزبية : « المؤيد » ، « اللواء » ، « العلم » ، و « الشعب » .

ولهذا أطلق « جورج ينج George Young »على هذه المرحلة من مراحل الكفاح الوطنى اسم « الطور الصحافى » . ويقول « تشارلس آدمز » ان هذه التسمية لم تكن « عبثا أو مخالفة للواقع ، لأن الشعور الوطنى أفصح عن نفسه فى تلك المدة ، فى مقالات الصحف الفرنسية والعربية ، التى كانت تفيض بالمطاعن والتهييج العنيف ضد الانجليز . وكان مصطفى كامل ... يتصدر الغلاة من الوطنيين ، وينفخ فيهم من روح التطرف فى غيرة وحماسة »(١٤٥) .

---

(١٤٥) آدمس ، تشارلس ، الاسلام والتجديد فى مصر ، ص ٢١١ ، وهو يشير الى :
George Young, Egypt, London 1927, P. 179, 180.

(سابعـــا)

تقارير المسئولين البريطانيين عن الصحافـة المصريـة

مما يتفق مع مجريات الأحـداث واهميـة دور الصحافـة المصرية ، قبل الاحتلال وفى اثنائه ، أن تشغل شئون الصحافـة المصرية ، جانبا من تفكير وتدبير مخططى السياسة البريطانية فى مصر . ولكن تقاريرهم عن الصحافة المصرية ، كانت بعيدة عن الدقة والحياد ، وكانت اقرب الى الأمنيـات منهـا الى الواقع المعـاش .

وقـد تبلور رأى « اللورد دفـرين «Lord Dufferin» السـفير البريطانى فى « الآستانة » ، بعد دراسته لتنظيم الأمور بمصر ، فى مستهل سنة ١٨٨٣ ، فى تنظيم الرأى العام الرسـمى فى « مجلس شورى القوانين » و « الجمعية العمومية » . وصدر قانون انشائهما فى أول مايو ١٨٨٣ .

اما الرأى العام الشعبى ممثلا فى الصحافة المصرية ، فقد رأى « دفرين » وجوب اعطائه الحريــة التامة ، حتى يجعــل التنظيمات الأخرى فعالة ومثمرة(١٤٦) .

ويدعى بعض المؤرخين البريطانيين أن الصحافة المصرية ، نالت حرية لم تعرف فى شمال أفريقية أو غرب آسيا . وأن قانون المطبوعات الصــادر سنة ١٨٨١ ، أهمل اهمالا تاما(١٤٧) . غير أن الواقع يخــالف هذه الآراء والادعاءات . فقد استهلت سلطات الاحتــلال فى مصر أعمالهــا بتعطيل الصحف الوطنيــة الموالـيــة للعرابيين . ثم تتبعت الصحف المعارضــة للاحتــلال بالانــذار أو التعطيل أو الاغلاق ، وعاقبت أصحابها بشتى العقوبات .

اما « اللورد كرومر Lord Cromer » ، فلم يكتب فى تقاريره شيئا عن الصحافة المصرية ، منذ توليه منصب المعتمد البريطانى فى مصر يوم ١١ سبتمبر ١٨٨٣ حتى سنة ١٩٠٣ ، عندما عالج فى تقريره(١٤٨) الكثير من شئون الصحافة المصرية

وقد أوضح « كرومر » أنه فى بدء عهد الاحتلال ، رأى بعض الأوربيين والوطنيين ، أن اعطــاء الحريــة التامة للصحف المصرية

---

(١٤٦) ابراهيم عبده ، جريدة الأهرام : تاريخ وفن ١٨٧٥ – ١٩٦٤ (القاهرة : مؤسسة سجل العرب ، ١٩٦٤) ص ١٦٦ ، سامى عزيز ، الصحافة والاحتلال ، ص ٧٥ ، وتقرير دفرين المؤرخ ٦ فبراير ١٨٨٣ فى :
Blue Books, Egypt, No. 6 (1883) P. 50.

(١٤٧) ابراهيم عبده ، الأهرام ، ص ١٦٧ ،
Young, G., Op. Cit., P. 179, 180.

(١٤٨) كرومر ، تقرير عن المــالية والادارة والحــالة العمومية فى مصر وفى السودان سنة ١٩٠٣ ، ترجمة : المقطم (القاهرة : المقطم ، ١٩٠٤) ص ٤٩ – ٥١ .

« موجب للضرر » ، أما الرأى العام البريطانى بصفة عامة ، فلم يكن مؤيدا لتقييد الصحف ، الا ان البعض اشار بذلك فى بعض الصحف اللندنية الكبرى .

ويقرر « كرومر » أن « منح الحرية التامة للصحافة ، قد لا يخلو من الضرر » . وفى نفس الوقت يعترض على تقييد الصحافة لسببين : اولهما ، أن وجود حامية بريطانية فى القطر ، يحمى الأمن من آثار « الكتابات المهيجة » . وثانيهما ، انه من العبث اصدار قانون للصحافة المصرية ، ما لم يطبق على الصحف الأوربية أيضا ، لأن صاحب الصحيفة الوطنية يستطيع نقل حقوقه ، فعليا أو اسميا ، الى آخر أوربى . والدول الأوربية وفى مقدمتها بريطانيا ، تعترض على كل قانون يقيد حرية الصحافة تقييدا حقيقيا .

ويقول « كرومر » ان الصحافة فى مصر « تامة الحرية » ، وان هذه الحرية لم تحدث اى ضرر ، وانه افاد من الأخبار والآراء التى نشرتها الصحف ، ولكن من الضرورى تشديد العقاب على الصحف التى تخالف الذوق والأدب .

وبعدما وقعت حادثتا طابه ودنشواى فى سنة ١٩٠٦ ، وتمكنت الصحافة المصرية الوطنية من تأليف رأى عام ، غايته تحرير البلاد ونزع الثقة من السياسة البريطانية ، بدأ « اللورد كرومر » يتخوف من ترك الصحافة حرة تفضح أعماله وتفسد سياسته . وأفصح عن مشاعره وآرائه فى تقريره عن سنة ١٩٠٦ ، فاتهم الصحافة المصرية بأنها تضر البلاد وتثير التعصب والقلاقل . والقى عليها مسئولية زيادة جنود الاحتلال البريطانى فى مصر ، بعد حادثة طابه .

وقد برم « اللورد كرومر » بكتابات الأقلام الوطنية ، وخاصة معالجتها لحادثة دنشواى . وقال انها لم تعد تعبر عن الرأى العام ، وانه أصبح يميل الى وضع القيود لها ، حفظا للنظام العام ومستقبل الاحتلال ، لأنها تشوه الحقائق عمدا ، وتنسب الى بريطانيا اتهامات لا دليل عليها . وادعى أن كتابات الصحف المصرية التى تلح فى طلب الاستقلال الادارى ، تقنع المتعاطفين ــ مثله ــ مع أمانى الوطنيين « المعقولة » ، بأن الاسراع بتحقيقها يعود بالشر على المصريين أنفسهم ، وعلى كل الذين يهمهم خيرهم . ثم أشاد « اللورد كرومر » بالصحف الأجنبية « المعتبرة » بمصر(١٤٩) .

ولكن المعتمد البريطانى بمصر ، لم يستطع أن يحارب حرية الصحافة فيها ، لأن مركزه السياسى بعد حادثة دنشواى كان حرجا للغاية ، ولم تسنح له الفرصة الكاملة للقضاء على تأثير الصحافة الوطنية ، فترك هذه المهمة لخلفه « السير الدن جورست »(١٥٠) .

وقد اختلفت الآراء حول مدى حرية الصحافة فى عهد اللورد كرومر (١١ سبتمبر ١٨٨٣ ــ ٦ مايو ١٩٠٧) ، فالبعض ينكرها اعتمادا على كثرة الأوامر الصادرة بفرض الرقابة عليها أو تعطيلها . والبعض يزيد من قدرها قائلا انها « فوق

---

(١٤٩) كرومر ، تقرير عن المالية والادارة والحالة العمومية فى مصر وفى السودان سنة ١٩٠٦ ، ترجمة المقطم (القاهرة : المقطم ، ١٩٠٧) ص ١٨ .

(١٥٠) آدم ، جوليت ، انجلترا فى مصر ، تعريب على فهمى كامل ، الطبعة الأولى (القاهرة : مطبعة شركة العلم والدفاع الوطنى ، بدون تاريخ نشر) ص ٣٦٥ ، من خطاب عبد الرحمن الرافعى الى المؤتمر الوطنى المصرى ببروكسل عام ١٩١٠ ، وموضوعه « حرية الصحافة المصرية » .

الكفاية »(١٥١) ، ويتخذ من اهمال العمل بقانون المطبوعات ، وكثرة الصحف الصادرة فى عهد « كرومر » ، دليلا على « اطلاق حرية الصحافه » . ويدعمون رأيهم بأن عدد الصحف الصادرة فى الفترة من سنة ١٨٩٢ الى سنة ١٩٠٠ نحو مئة وخمسين صحيفة ، « أى صدر منها فى ثمانى سنين نحو ما صدر قبلا فى ٦٣ سنة »(١٥٢) .

والأقرب للواقع هو أن « اللورد كرومر » كان يعتقد أن حرية الصحافة وحرية الخطابة هما صمام الأمان لتعبير عن الشعور الذى قد يتخذ بدونهما مظاهر أخرى خطيرة . لذلك كانت السلطات تطلق العنان أحيانا للصحف تصدر وتكتب كما تريد فى الأمور الثانوية ، ولكن سرعان ما تبطش بها اذا مست الموضوعات الجوهرية ، ومنها وضع البريطانيين فى مصر(١٥٣) .

ثم تولى « السير الدن جورست «Sir Eldon Gorst من مايو ١٩٠٧ الى يولية ١٩١١ ، منصب المعتمد البريطانى فى مصر . واتخذ سياسة جديدة أساسها الوفاق والتعاون بين سلطة الاحتلال والخديوى ، على حساب الأمة المصرية ، باعتبار أن الخديوى هو أساس المعارضة الوطنية للاحتلال ، فالوفاق معه يضعف المعارضة ويقلل من تأثير الصحافة .

---

(١٥١) سامى عزيز ، الصحافة والاحتلال ، ص ٧٨ ، ٧٩ ، والمنكرون هم : « روذستين » فى « خراب مصر » ، وولى الدين يكن فى « المعلوم والمجهول » الجزء الأول ، وصحف : البرهان ، الفلاح ، المحروسة . والمؤيدون هم : النيل ، الزمان ، الوطن .

(١٥٢) ... ، « تاريخ النهضة الصحافية فى اللغة العربية » ، الهلال ، الجزء الثامن ، السنة الثامنة عشرة ، أول مايو ١٩١٠ ، ص ٤٨٧ .

(١٥٣) سامى عزيز ، الصحافة والاحتلال ، ص ٧٩ .

ورغم أن الخديوى قبض يده عن مساعدة الصحافة الوطنية ، وتخلت السلطات الأجنبية فى مصر عن حماية الصحف التابعة لها ، وعوملت الصحف بقسوة ، حتى أن بعض الصحف الموالية للاحتلال قدمت للمحاكمة « كالمقطم » و « الوطن »(١٥٤)، فان الصحف الوطنية ظلت بقيادة « اللواء » سائرة فى طريقها لمقاومة الاحتلال بشدة ، الى درجة جعلت « جورست »(١٥٥) يضيق بهجومها على الحكومة وسلطات الاحتلال ورجالها ، قائلا انه يعرقل أعمالهم ، « ويقوض أركان هيبة الحكومة واحترام سلطتها » ، ويدفع البعض الى اظهار العداوة للاحتلال خوفا من « الطعن والتشهير » .

ويستند « جورست » الى ذلك ، والى آراء الهيئات التشريعية ، ليبرر اتجاهه الى تقييد الصحافة . ففى تقريره عن سنة ١٩٠٨(١٥٦) ، يعود بالذاكرة الى مارس سنة ١٩٠٢ ، حينما شكت « الجمعية العمومية » من عدم السيطرة الكافية على الصحف ، وطلبت من الحكومة الاهتمام بسن قانون للصحافة . ويذكر بما حدث سنة ١٩٠٤ ، عندما وجه « مجلس شورى القوانين » نظر الحكومة ، الى وجوب العمل بقانون المطبوعات الصادر فى نوفمبر ١٨٨١ .

ولكن استناد « جورست » فى تقريره ، ثم النظارة فى قرارها يوم ٢٥ مارس ١٩٠٩ ، الى طلبات الهيئتين التشريعيتين، كمبرر لاحياء قانون المطبوعات وردع الصحف السياسية ، يتضمن تشويها لهذه الطلبات ومغالطة للرأى العام ، لأن هاتين

---

(١٥٤) ابراهيم عبده ، تطور الصحافة ، ص ١٧٩ ، ١٨٠ .
(١٥٥) غورست ، تقرير سنة ١٩٠٨ ، ص ٨ .
(١٥٦) ص ٩ ، ١٠ .

الهيئتين لم تطلبا تقييد الصحافة السياسية ، وانما طلبتا وضع حد لقدح الصحف فى الأعراض(١٥٧) .

ثم يقول « جورست » ــ فى التقرير ذاته ــ ان مواد قانون العقوبات لا تمنع شطط الأقلام ، ويدلل على ذلك بتبرئة المحكمة لعبد العزيز جاويش رئيس تحرير « اللواء » ، الذى نشر أخبارا ومقالة اتهم فيها حكومة السودان ، بالحكم على سبعين رجلا بالاعدام ، وتنفيذ الحكم فعلا فى اربعين منهم فى قضية « الكاملين »(١٥٨) ، «وحشا مقالته طعنا وقدحا فى الانكليز على هذا الذنب .. والحقيقة أن الاعدام أنفذ فى واحد فقط من الذين قبض عليهم وهم يحاربون جنود الحكومة » . ولكن المحكمة برأت الكاتب من تهمتى نشر خبر كاذب والقذف فى حق نظارة الحربية المصرية ، مما دفع « جورست » الى القول ان « المحاكم لا تحسن النظر فى جرائم الصحافة » .

وكان لهذا الحكم فى الواقع دوى استحسان كبير ، فانهالت على « اللواء » برقيات التهنئة ورسائل الاعجاب بعدل القضاء . وجاءت نتيجة هذه القضية نصرا كبيرا للحركة الوطنية ، وضربة لهيبة الوزارة .

---

(١٥٧) عبد الرحمن الرافعى ، محمد فريد ، ص ١٠٧ .

(١٥٨) وقعت فى بلدة « الكاملين » بالسودان ، ثورة برئاسة الشيخ عبد القادر ، فنكلت قوة من الجيش بالثائرين ، وقتلت وقبضت على كثير منهم . وقدمتهم للمحاكمة يوم ١٩ مايو ١٩٠٨ . وصدر حكم براءة جاويش يوم ٣٠ أغسطس ١٩٠٨ . وتباينت تفاصيل الحادثة والأحكام الصادرة فيها ، واختلفت بين أخبار ومقالات « اللواء » ، وتقرير « جورست » ، وبلاغ نظارة الحربية ، وما ذكره عبد الرحمن الرافعى فى : محمد فريد ، ص ٧٣ ، ٧٤ .

ويوضح « جورست » فى نفس تقريره ، انه لا يرى فائدة فى تشديد قانون العقوبات لأنه لا ينفذ على الأجانب . وفى امكان اصحاب الصحف المصرية الاتفاق مع الأجانب على تملك أو تحرير صحفهم اسما ، للخروج عن اختصاص الأحكام المحلية ، والاحتماء بالامتيازات الأجنبية .

ولهذا يرى « جورست » أن افضل طريقة للسيطرة على الصحف هى تنفيذ قانون المطبوعات الصادر سنة ١٨٨١ ، والذى توقفت الحكومة عن تنفيذه منذ سنة ١٨٩٤ . وهو يقضى بوجوب الحصول على رخصة باصدار الصحيفة ، ويسوغ لناظر الداخلية تعطيل أو الغاء اية صحيفة بعد انذارها مرتين ، ويعطى هذه السلطة لمجلس النظار بدون انذار .

ويصرح « جورست » ، فى نفس تقريره عن سنة ١٩٠٨ ، بأن الحكومة المصرية قررت تنفيذ مواد قانون المطبوعات ، المختصة برخص الصحف وفرض الرقابة عليها وعلى مطابعها ، « لكبح جماح الصحف العربية الشاطة على قدر الامكان » .

ويرى « جورست » أن هذه المواد « لا تضمن معاقبة المجرمين عقابا وافيا » ، الا أنه يعتقد أنها الطريقة الوحيدة التى يستطاع بها مراقبة الصحافة فى مصر بصفة خاصة ، مع مراعاة الامتيازات الأجنبية . كما يعتقد أن تطبيقها « بالحكمة والدراية ، لا يفتح بابا لتهييج الآمال السياسية » ، كما يحدث عند محاكمة الصحف ، « ولا يترك سبيلا الى المظاهرات التى يمكن أن تنتهى الى سفك الدم » . ويؤكد أنها فعالة فى منع وقوع الجريمة .

ويدعى « جورست » أنه لا تضييق فى قانون المطبوعات على الصحف العربية الراقية والصحف الأجنبية ، الا فيما يختص

بدفع التأمين واستخراج الرخصة ، « وهما أمران شائعان فى العالم المتمدن » . ويؤكد انه لا خوف من اتخاذ القانون وسيلة لمنع الصحف من انتقاد أعمال الحكومة انتقادا معقولا ، او لتقييد حرية المناقشة فى الموضوعات الجماهيرية . ويمكن للمتضرر اللجوء للقضاء ، لضمان عدم تطبيق القانون على غير مقتضاه .

وفى تقريره عن سنة ١٩٠٩(١٥٩) ، يقول « الدن جورست » انه فى أوائلها أعيد تنفيذ قانون المطبوعات « برفق كثير » ، فانذرت صحيفتان عربيتان ، والغيت صحيفة ثالثة بعد ايقافها والحكم على محررها بالسجن اثنى عشر شهرا . وحكم على عبد العزيز جاويش محرر « اللواء » بالسجن ثلاثة أشهر ، لأنه كتب مقالة تضمنت قذفا شنيعا فى بطرس « باشا » غالى ، وموظف آخر مصرى كبير .

والواقع هو أن « جورست » والخديوى تحالفا على قمع الحركة الوطنية ، وخاصة بعد اشتدادها سنة ١٩٠٨ ، وظهور عدة صحف ترفع شعارات « الحزب الوطنى » ضد الاحتلال ونظارة بطرس غالى . وأول سلاح شهرته النظارة لتحقيق ذلك هو تقييد الصحافة ، فأصدر مجلس النظار قراره فى ٢٥ مارس ١٩٠٩ ، باعادة العمل بقانون المطبوعات الصادر فى ٢٦ نوفمبر ١٨٨١ .

وقد صدر القرار فى مناخ سياسى ملائم ، ناتج عن تنفيذ سياسة الوفاق بين « جورست » والخديوى ، التى بمقتضاها لم يعد لسلطة الاحتلال ما تخاف منه على الصحف المتعاونة معها ، « فالمقطم» المدعومة من البريطانيين صارت مهادنة

---

(١٥٩) ص ٥ .

للخديوى ، و « المؤيد » المستندة الى الخديوى تصالحت مع البريطانيين .

ولكن المعسكر الاحتلالى خسر « الجريدة » ، التى تخلت عن خطتها فى مهادنة الاحتلال البريطانى ، لعدة أسباب منها أعلان « كرومر » و « جورست » دوام الاحتلال وهيمنته على الشئون المصرية ، والتعاون بين الخديوى و « جورست » على غير مصلحة الأمة ، ووقوفهما عقبة أمام الدستور والحكم النيابى ، اللذين اشتدت « الجريدة » فى المطالبة بهما .

وقد احتجت الأحزاب وصحفها على تنفيذ قانون المطبوعات، وانهالت وسائل الاحتجاج على نظارة بطرس غالى . وقامت عدة مظاهرات تصدرها رجال الحزب الوطنى ، فى الفترة من ٢٦ مارس الى أول ابريل ١٩٠٩ ، تهتف : « فليسقط الظلم » ، « فليسقط قانون المطبوعات » ، « فليسقط الاستبداد وحكومة الفرد » ، « فليحيى العدل » . وقبض البوليس على بعض المتظاهرين . وتناقل الناس الشائعات عن اعتزام بعض الطلبة اغتيال النظار الذين وافقوا على قانون المطبوعات ، مما دعى البوليس الى حراستهم(١٦٠) .

ولم ينفذ قانون المطبوعات « برفق كثير » كما يدعى « جورست » ، بل نفذ بكثير من العسف ، ومن امثلته ما حدث لعبد العزيز جاويش ، عندما نشر « باللواء » يوم ٢٨ يونية ١٩٠٩، مقالة عن « ذكرى دنشواى » . فقد عدتها النيابة طعنا فى حق بطرس « باشا » غالى ، رئيس المحكمة المخصوصة التى حاكمت

(١٦٠) سعد زغلول ، المذكرات ، الكراسة ١٤ ، ص ٧٢١ — ٧٢٦ .

المتهمين فى الحادثة ، وأحمد فتحى « باشا » زغلول أحد اعضائها. وانتهت القضية بصــدور الحكم على عبد العزيز جاويش ، يوم ٢٥ اغسطس ١٩٠٩ ، بالحبس ثلاثة أشهر .

وفى نفس اليوم ، وجهت النظارة انذارا الى « اللواء » ، لأنه نشر مقالة ، يوم ١٧ أغسطس ١٩٠٩ ، عن الشــاب الهندى « دنجرا » ، الذى صدر فى بريطانيا حكم باعدامه ، بتهمــة قتل السير « كرزون » . ورأت النظارة فى كلمات المقالة تحريضــا على ارتكاب الجرائم والاخلال بالنظام العام .

وكان رد الفعل لحبس الشيخ جاويش وانذار « اللواء » ، هو الاكتتاب الشعبى لصنع وسام للشيخ ، يقدم له فى حفــلة تكريم ، أقيمت فى فندق « شبرد » يوم ٢٢ نوفمبر ١٩٠٩ ، عقب خروجه من السجن .

وعنــدما عين « كتشــنر » خليفــة « لجورســت » ، فى ٢٧ سبتمبر ١٩١١ ، استمر فى تطبيق قــانون المطبوعات وتقييد الصحافة . وفى عهده اغلقت عدة صحف وطنية كبرى ، منهــا « اللواء » و « العلم » . وصار الحصــول على ترخيص باصدار صحيفة جديدة ، أمرا شديد الصعوبة .

(ثامنـــا)
الصحافــة المصريــة
فى الحرب العالميــة الأولى

اندلعت نيران الحرب العالمية الأولى ، فى أواخر شهر يولية سنة ١٩١٤ ، بعد أن بلغ التنافس الدولى السـياسى والاقتصادى مداه . وكان السبب المباشر لقيام الحرب ، هو اغتيال ولى عهد النمســا ، يوم ٢٨ يونيــة ١٩١٤ ، بيد واحـد من الصربيين فى عاصمتهم . فقـد أعلنت النمســا الحرب على الصرب ، يـوم ٢٨ يولية ، فهبت الروسيا لنجدة الصرب ، وأعلنت الحرب على النمسا ، فانضمت المـانيا الى حليفتها النمسا ، ثم وقفت فرنسا الى جانب حليفتها الروسيا . ودخلت بريطانيا يوم ٤ اغسطس الحرب الى جانب فرنسا والروسيا .

وكانت مصر قبـل بدء الحـرب ، طبقـا لمعاهـدة لنـدن سنة ١٨٤٠ ، دولة مستقلة استقلالا رسميا ، تشوبه سـيادة

تركيا الاسمية عليها ، ويلغيه احتلال بريطانيا لأراضيها ، منذ سنة ١٨٨٢(١٦١) .

وقد التزمت مصر الحياد فى مستهل الحرب ، لتضمن حياد قناة السويس ، ولكن مصالح بريطانيا العظمى قضت بأن تحكم سيطرتها على مصر رسميا وشعبيا ، وأن تفيد من كل امكاناتها فى الحرب، وأن تفصم علاقتها مع تركيا .

ولهذا مارست بريطانيا ضغوطها الرسمية على مصر . وجندت بعض الصحف ـ وفى مقدمتها « المقطم » ـ لتعارض حياد مصر ، وتبرر دخولها الحرب الى جانب الحلفاء . فأصدر « مجلس النظار » برئاسة حسين رشدى « القائمقام الخديوى » ، قراريه فى يومى ٥ و ١٣ أغسطس ١٩١٤ ، اللذين منعا كافة أشكال التعامل بين مصر ودول المانيا والمجر ، وخولا للقوات البريطانية حقوق الحرب فى مصر .

ومع دخول مصر الحرب ، بدأت مرحلة صعبة فى تاريخها السياسى والاجتماعى والصحفى ، افتقدت فيها كافة مظاهر الاستقلال والحريات العامة والشخصية ، ولكنها لم تفقد ابدا الرغبة فيها والمطالبة باستعادتها .

وانقسم الراى العام فى مصر الى قسمين ، الأول تعبر عنه صحيفة « الجريدة » الممثلة لحزب « الأمة » ، وصحف أخرى ، ويرى ضرورة الاستقلال عن الدولة العثمانية عاجلا ، وعن بريطانيا بالتدريج ، ويوافق على ارتباط مصر بمعاهدة مع بريطانيا ، ويثق فى وعودها لمصر ، اذا انتصرت فى الحرب . ويضم هذا

---

(١٦١) عبد الرحمن الرافعى ، ثورة سنة ١٩١٩ : تاريخ مصر القومى من سنة ١٩١٤ الى سنة ١٩٢١ ، الطبعة الثانية (القاهرة : مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٥٥) ص ١١و ١٢ .

الفريق اعضاء الحكومة القائمة ، واتباع حزب الأمة ، وبعض رجال السياسة يتقدمهم سعد زغلول ؛ عدلى يكن ، عبد الخالق ثروت واسماعيل صدقى ، وكثير من المصريين الأثرياء الذين تعلموا بالخارج .

أما القسم الثانى ، فتعبر عنه صحيفة « الشعب » الممثلة « للحزب الوطنى » ، وصحف أخرى . وهو يطالب بالاستقلال التام عن بريطانيا ، وبقاء الارتباط الروحى الاسلامى بين مصر والدولة العثمانية ، ويرى أنه بالتعاون مع تركيا يمكن التخلص من الاحتلال البريطانى . وقد انحاز الى ألمانيا مستبشرا بانتصاراتها فى بداية الحرب ، آملا فى انهزام بريطانيا وزوال سيادتها على مصر ، دون أن يرحب بأية سيادة أجنبية أخرى عليها . وتألف هذا الفريق من أبناء الطبقة الوسطى ، والمثقفين من اتباع الحزب الوطنى(١٦٢) .

وفى يوم ٧ أغسطس ١٩١٤ ، بدأ تطبيق قرار « مجلس النظار » ، الصادر فى ٥ أغسطس ١٩١٤ ، رغم اعتراض الدول عليه . وصدرت « المقطم » فى نفس اليوم ، تبرر دخول مصر الحرب الى جانب بريطانيا ، على أساس أن الحرب بين بريطانيا والمانيا عرضت الجيش البريطانى فى مصر لهجوم الألمان عليه ، وأن الدفاع عن مصر وحفظ الأمن فيها صار من واجب الجيش البريطانى . فالمطلوب من مصر تأييد الجيش الذى يدافع عنها(١٦٣) .

---

(١٦٢) لطيفة محمد سالم ، مصر فى الحرب العالمية الأولى ١٩١٤ – ١٩١٨ (القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٨٤) ص ٢٩٥ ، ٢٩٦ .

(١٦٣) تيسير ابو عرجة ، المقطم ١٨٨٩ – ١٩١٩ ، ص ٧٨ ، المقطم ، ٧ اغسطس ١٦١٤ .

وعلى الفور ، غادر مصر قناصل دول المانيا والنمسا والمجر . وأبعد كثير من رعاياها المقيمين فى مصر ، الى الخارج(١٦٤)

وسيطرت السلطات البريطانية على اتصالات مصر الدولية، بفرض الرقابة على البرقيات والخطابات المتبادلة بين مصر والسودان وكافة الدول(١٦٥) ، وكذلك الصحف الواردة الى مصر من الخارج .

وبسبب اجراءات القمع العسكرى ، والرقابة المشددة على وسائل الاتصال ، لم يستطع المصريون الاحتجاج على قرار الخامس من أغسطس ١٩١٤ ؛ بل قابلوه — كما تقول صحيفة « الأهالى » « ..بالهدوء الذى يقابل به الانسان خبر وفاة عزيز له.. »(١٦٦). وان كان بعض الكتاب قد نبهوا الى مصالح البلاد وحقوق الشعب، وفى مقدمتهم أحمد لطفى السيد ، الذى اكد فى صحيفة « الجريدة » ، أن الشعب المصرى ما يزال يتشبث بالعمل فى حدود القانون وبالوسائل السلمية لتحقيق مصلحة بلاده ، ويرجو أن « تفسح المطامع الاستعمارية بجانبها محلا لاحترام حقوق الشعب »(١٦٧) .

وقد سعى رئيس تحرير « الجريدة » ، مع بعض الشخصيات السياسية المصرية الكبيرة ، وفى مقدمتها حسين رشدى

---

(١٦٤) لطيفة سالم ، الحرب الأولى ، ص ٢١ ، ٢٢ .

(١٦٥) الرافعى ، ثورة ١٩ ، جـ ١ ، ص ١٣ .

(١٦٦) لطيفة سالم ، الحرب الأولى ، ص ٢٨٣ ، عن : الأهالى ، ٩ اغسطس ١٩١٤ .

(١٦٧) أحمد لطفى السيد ، « صدى الحرب فى مصر » ، الجريدة ، ١٨ اغسطس ١٩١٤ .

وعدلى يكن ، للحصول على موافقة بريطانيا على الاستقلال أو الحكم النيابى لمصر ، فى مقابل تضحيتها بدخول الحرب الى جانب بريطانيا . ولكن هذه المساعى أخفقت ، ودفع هذا الاخفاق ــ بجانب التضييق على الصحافة ــ أحمد لطفى السيد الى اعتزال العمل السياسى مؤقتا ، فى أغسطس ١٩١٤ . ثم ترك رئاسة تحرير « الجريدة » فى ٢٢ نوفمبر ١٩١٤ ، وسافر الى بلدته « برقين » . وتولى رئاسة « الجريدة » عبد الحميد حمدى ، أحد محرريها . واضطرت الصحيفة ابتداء من ٢٢ أغسطس ١٩١٤ ، الى تخفيض عدد صفحاتها من ثمان الى أربع صفحات ، بسبب عدم التمكن من استيراد الكميات الكافية من الورق(١٦٨) .

وقد حرصت السلطات البريطانية فى مصر ، منذ بدء الحرب، على تجنيد الصحف لخدمة أهدافها ، مع حرمان أعدائها من العمل المماثل . لذلك أسرعت بتعطيل الصحيفة الألمانية التى كانت تصدر بمصر وهى « ايجيبتشى ناخرشتن «Aegyptische Nachrichten » ، حتى لا يكون لها أى تأثير على المصريين(١٦٩) .

كما أصدر « قلم المطبوعات » قرارا يمنع الصحف المصرية من نقل الأنباء عن وكالة « وولف » الألمانية ، وصحيفة « اللويد » العثمانية ، لأنها كما قال « عارية عن الصحة ومبنية

---

(١٦٨) لطفى السيد ، قصة حياتى ، ص ١٥٤ ــ ١٥٨ ، حسين فوزى النجار ، احمد لطفى السيد ، أعلام العرب ، العدد ٣٩ (القاهرة : الدار المصرية للتأليف والترجمة ، ١٩٦٥) ص ١٢٨ ، ١٢٩ ، ابراهيم رمزى ، « مدير الجريدة واستقالته » ، الجريدة ، ١٤ ديسمبر ١٩١٤ .

(١٦٩) لطيفة سالم ، الحرب الاولى ، ص ٢١ ، ٢٢ ، ٢٨٦ .

على الغرض والتحيز .. »(١٧٠) . ومنعت الرقابة على الصحف الأجنبيــة ، دخــول الصــحف المطبوعــة باللغــة الألمــانية الى مصــر(١٧١) .

وفى الوقت نفســه ، دفعت الرقابة البريطــانية الصحف المصرية ، الى نشر برقيات تخالف الحقيقة ، المتمثلة فى انتصارات المــانيا المتتابعة ، التى جعلت المصريين يستبشرون بها ، أملا فى هزيمة بريطانيا وزوال سيادتها على مصر . وراحت الســلطات البريطانية ، بواسطة الصحف التى جندتها لصالحها ، ومنهــا « المقطم » و « المؤيد » و « المحروسة » ، تشيع تأييد المصريين لبريطانيا ، وتندد بامبراطور المــانيا ، وتوضح أن الميول الألمــانية ليست مسيطرة على المصريين(١٧٢) .

وكانت صحيفتا « المقطم » و « الجريدة » تنشران فكرة أن مصر تريد الاستقلال ، فاذا لم يكن السبيل اليه ميسورا ، وكان لابــد لها من أن تحكمهــا دولة أخرى ، فانهــا تختــــار بريطانيا(١٧٣) . وأوضحت « الجريدة » أن المصريين لا يفضــلون

---

(١٧٠) ... ، « أخبار اليوم ، حول أنباء الحرب » ، الجريدة ، ٢٠ أغسطس ١٩١٤ .

(١٧١) خليل صابات ، حرية الصحافــة ١٩١٤ ـ ١٩٢٤ ، البــاب الثالث من : حرية الصحافة فى مصر ١٧٩٨ ـ ١٩٢٤ (القاهرة : مكتبة الوعى العربى ، ١٩٧٢) ص ٣٠٦ .

(١٧٢) لطيفة سالم ، الحرب الأولى ، ص ٢٨٦ .

(١٧٣) محمد حسين هيكل ، مذكرات فى السياسة المصرية ، الجزء الأول ١٩١٢ ـ ١٩٣٧ (القــاهرة : مكتبــة النهضــة المصريــة ، ١٩٥١) ص ٦٦ ، ٦٧ .

أن تحتلهم دولة أخرى « هى فى الأخـلاق والحريـة واللطافـة والكياسـة أقل بكثير من الانجليز ، كألمـانيا »(١٧٤) .

اما صحيفة « وادى النيل » ، التى أذنت السلطات لصاحبها محمد الكلزة باعادة اصـدارها ، اعتبارا من ٢٧ يونية ١٩١٤ ، بعد توقفها عن الصدور نحو عامين ، فقد حققت أمل السلطات البريطانية فيها ، واخذت تنشر أنباء انتصارات الحلفاء الحقيقية والمزعومة ، بما أرضى هـذه السـلطات ، فخففت من الرقابـة المفروضة عليها ، وكافأت صاحبها بمنحه وساما رفيعا(١٧٥) .

ويصف سلامة موسى مدى شدة الرقـابة البريطانيـة على الأنباء ، بقوله ان المصريين كانوا يقرأون الأخبار كما يحب الانجليز أن يفهموها ، وان الرقـابة كانت تزيف المعلومات الصحيحـة ، ولكن بعض الصحفيين افتنوا فى صياغة الأخبار ، بحيث يجيز الرقيب نشرها ، بينما يدرك القارىء الحقيقة بين سـطورها . كما يقول ان الصحف الأجنبية لم تفلت من قبضـة الرقابة ، التى كانت تحذف منها كل مادة لا تلائم البريطانيين(١٧٦) .

ومع هـذا ، فان سـلامة موسى لم يرضـخ فى صحيفتـه « المستقبل » الأسبوعية ، لأوامر ورغبات السلطة البريطانية ، ولهذا طلبت « مراقبـة المطبوعات » ، منه بصفته صاحبهـا ، أن

---

(١٧٤) مصطفى النحاس ، سياسة الاحتلال ، ص ٢٠٨ ، عن : الجريدة ، ١٢ اغسطس ١٩١٤ .

(١٧٥) جيهان أحمد على رشتى ، « تطور الصحافة المالية فى مصر ، فى الفترة ما بين الحربين العالميتين » ، رسالة ماجستير غير منشورة (الجيزة : جامعة القاهرة ، كلية الاداب ، ١٩٦٣) ص ٣٠٧ ، ٣٠٨ ، عن البلاغ ، ١٠ يولية ١٩٢٨ ، التى كتبت عن الوسام .

(١٧٦) سلامة موسى ، تربية سلامة موسى ، ص ١٣٢ ، ١٣٩ .

يوقفهـا ، بعد أن صـــدر منهـا ١٦ عـددا ، ظهر آخرها يوم ١٦ أغسطس ١٩١٤ .

ثم أصدر « قلم المطبوعات » ، يوم ٣١ أغسطس ١٩١٤ ، اعلانا رسميا بمنع نشر أى أخبار لها صلة بتحركات الجيوش والأساطيل البريطانية ، لئلا تستغل ضدها(١٧٧) .

ولم تقنع سلطات الاحتـلال البريطـانى ، بمراقبـة المواد المنشورة فى الصحف المصرية ، بل عملت للسيطرة على موزعى هذه الصحف أيضا . فأصدرت نظارة الداخلية ـ يوم ٣١ أغسطس سـنة ١٩١٤ ـ قرارا يحتم على باعـة الصحف الحصـول على ترخيص بمزاولة المهنة ، ويحظر عليهم توزيع أية صحيفة أو نشرة مصرية أو أجنبية غير مصرح بها من نظارة الداخلية(١٧٨) ، وذلك خشية انتشار المنشـورات السرية والصحف الأجنبيـة المعادية لبريطانيا وحليفاتها .

وتشغل حوادث اضطهاد الصحافة المصرية ، أذهان بعض أعضـاء البرلـمان البريطـانى ، فيسـأل أحـدهم عن مدى امكان تعديل قانون المطبوعات ، والسماح لأصحاب الصحف بالدفـاع عن أنفسـهم ، خاصة بعد السماح لصحيفة « وادى النيل » ، المغلقة منذ ٦ أبريل ١٩١٢ ، بالعودة للظهور فى ٢٧ يونية ، فيعد وكيل وزارة الخارجية البريطانية ببحث الموضوع . ويعلن ـ ردا على سؤال لعضو آخر ـ أن الحـكومة المصريـة لم تستحسن الترخيص لقرياقص ميخائيل ، باصدار صحيفة باللغتين العربيـة والانجليزية ، « لعدم حاجة البلاد الى صحف جديدة » . وتعلق

---

(١٧٧) صابات ، حرية الصحافة ، ص ٣٠٠ ، لطيفة سالم ، الحرب الأولى ، ص ٢٨٦ .

(١٧٨) صابات ، حرية الصحافة ، ص ٢٩٩ ، ٣٠٠ .

« الجريدة » على ذلك ، راجية الغاء قانون المطبوعات ، الذى أجمعت الآراء على انه « لم يكن قط من وسائل ترقية الأمم »(١٧٩) .

أما مستشار دار المعتمد البريطانى بمصر ، فقد رأى بعد مضى شهر من دخول مصر الحرب ، أن الاتجاه العام للصحافة بمصر ـ سواء كانت أوربية أو محلية ـ صار « مثاليا » بعد تعطيل صحيفة « ناخرشتن » الألمانية ، وتوجيه الانذارات المشددة الى الصحف ، وتشديد الرقابة على أخبار الحرب . ومع هذا ، ادعى المستشار البريطانى أن « الصحف تتمتع بحريتها الكاملة فى التعبير عن رأيها » ، ثم قال انها « تستخدم هذه الحرية على وجه العموم ، بصورة تتواءم مع المصالح البريطانية »(١٨٠) . فدلل المستشار بذلك ، على سيطرة السلطات على الصحافة وتوجيهها لخدمة المصالح البريطانية ، وهو عكس ما ادعاه من تمتعها بكامل حريتها ! .

وفى هذه المرحلة الزمنية ، أخذت صحيفة « الجريدة » تنبه الى ضرورة الحفاظ على الوحدة الوطنية المصرية ، بوقوف المصريين بعواطفهم وسلوكهم موقف « الحياد المطلق » بين الدول المتحاربة ، لأن « المركز الوحيد الذى يتفق مع شرف مصر ومع فائدة المصريين جميعا ، هو أن يظهروا على حياد تام ، مشتغلين بمصالح بلادهم المتعلقة بهم .. »(١٨١) . ثم تؤكد « الجريدة »

---

(١٧٩) ... ، « قانون المطبوعات المصرى فى البرلمان الانكليزى » ، الجريدة ، ٢١ أغسطس ١٩١٤ .

(١٨٠) صابات ، حرية الصحافة ، ص ٣٠٠ .

(١٨١) محمد حسين هيكل ، « منافعنا وعواطفنا » ، الجريدة ، أول اكتوبر ١٩١٤ .

أن ميول المصريين وعواطفهم ينبغى أن تكون « استقلالية بالنسبة لمصر ، حيادية بالنسبة للمتحاربين »(١٨٢) .

وقد ظهرت مواد صحفية كثيرة على صفحات « الأهرام » ، « الوطن » ، « المؤيد » و « الأمة » ، توضح حالة الضيق الاقتصادى التي يعانى منها المصريون خاصة الفقراء ، وتدعو الأغنياء للتعاطف معهم ومساعدتهم(١٨٣) .

وأخذت صحف مصرية كثيرة ، قبل اندلاع الثورة البلشفية فى روسيا سنة ١٩١٧ وبعدها ، تكتب عن الاشتراكية معارضة أو محبذة لها ، شارحة مفهومها ، موضحة أبعادها وجدواها ، مطالبة بتطبيقها ، لرفع الظلم عن الطبقات الفقيرة ، وتوفير الحياة الكريمة للعمال ، وتحقيق العدالة الاجتماعية والاخاء والمساواة، والقضاء على الاستعمار ، وكان فى مقدمة هذه الصحف : « الجريدة » (١٨٤) ، « البيان » ، « الشباب » ، « الهلال » ، « فتاة الشرق » و « السفور »(١٨٥) .

---

(١٨٢) محمد حسين هيكل ، « مصر والحرب » ، الجريدة ، ٣ أكتوبر ١٩١٤ .

(١٨٣) لطيفة سالم ، الحرب الأولى ، ص ٢٢٤ ، ٢٢٥ ، عن : الأهرام، ٦ سبتمبر ١٩١٤ ، الوطن ، ١٥ سبتمبر ١٩١٤ ، المؤيد ، ٦ سبتمبر ١٩١٤ ، الأمة ، ٧ يناير ١٩١٦ .

(١٨٤) صابات ، حرية الصحافة ، ص ٣٠١ — ٣٠٣ ، محمد حسين هيكل ، « الحرب الحاضرة وآثارها » ، الجريدة ، ٥ ، ٦ ، ٨ ، ١١ ، ١٥ ، ٢٠ اكتوبر ١٩١٤ .

(١٨٥) لطيفة سالم ، الحرب الأولى ، ص ٢٢٣ ، ٢٢٤ ، على الدين هلال ، التجديد فى الفكر السياسى المصرى الحديث : أصول الفكرة الاشتراكية ١٨٨٢ — ١٩٢٢ (القاهرة : جامعة الدول العربية ، معهد البحوث والدراسات العربية ، ١٩٧٥) ص ١٧٢ — ١٧٧ .

وفى مواجهة هذه الأفكار والمبادىء ، اتجهت السلطة البريطانية فى مصر ، الى منع التجمهر والاجتماعات بكافة صورها، خشية قيامها بأعمال تضر المصالح البريطانية أو تعرقل اجراءاتها. فأصدرت قانون منع التجمهر فى ١٨ أكتوبر ١٩١٤ ، وهو يخول رجال الشرطة حق تفريق أى اجتماع لخمسة أشخاص فأكثر ، فى طريق أو محل عمومى ، حتى لو لم يكن بقصد جنائى . ويعاقب المخالف بالحبس أو السجن أو الغرامة . وأخذ رجال الشرطة يعتقلون كل من يشكون فى اتجاهاته ، ويبطشون بالآمنين من المصريين وحدهم ، لأن القانون لم يطبق على الأجانب(١٨٦) . وقد عارضته صحف كثيرة منها « الجريدة » و « الوطن » ، لخطورته على الحريات ، ولأنه صدر فى غيبة الجمعية التشريعية(١٨٧) .

ومما يجدر ذكره أن دائرة تطبيق قانون منع التجمهر ، اتسعت لتشمل اعضاء الجمعية التشريعية . وفور صدوره ، صدر أمر عال بتأجيل بدء دور الانعقاد الثانى « للجمعية التشريعية » — الهيئة شبه النيابية الوحيدة — من أول نوفمبر ١٩١٤ الى أول يناير ١٩١٥ ، خشية اعتراضها على السياسة البريطانية فى مصر . ثم صدرت عدة قرارات بتأجيل انعقادها ، حتى الغيت يوم ٢٩ أبريل ١٩٢٣ ، ففقدت الصحافة المصرية مصدرا هاما لموادها الحية ، وسندا قويا لمواقفها الوطنية .

وقد دأبت السلطات الحاكمة على اضطهاد النقابات

---

(١٨٦) الرافعى ، ثورة ١٩ ، جـ ١ ، ص ١٣ ، ١٤ ، لطيفة سالم ، الحرب الأولى ، ص ٢٣ ، ٢٤ .

(١٨٧) الجريدة والوطن ، من ١٠ الى ٢٨ أكتوبر ١٩١٤ .

العماليــة ، حتى حلتهــا ، وأغلقت دورهــا فتوقف النشــاط النقابى(١٨٨) . وأفشلت هذه السلطات المحاولات التى بدأهــا فى سنة ١٩١٢ ، أحمد لطفى السيد ، وفارس نمر وجبرائيل تقلا، مع بعض الصحفيين الأجانب ، لانشاء نقابة للصحفيين(١٨٩) . وفى ٩ ديسمبر ١٩١٤ ، أعلنت « السلطة العسكرية » قرارهــا باغلاق « نادى أعضاء المدارس العليا » ، والغائه نهائيا(١٩٠) .

وفور نشوب الحرب بين الدولة العثمانية وروسيا ، يوم أول نوفمبر ١٩١٤ ، صار من المتوقع اعلان الحرب بينها وبين بريطانيا ، ولذا سارع قائد جيوش الاحتلال البريطــانى فى مصر ، باعلان الأحكام العرفية فيها ، يوم ٢ نوفمبر ١٩١٤ . ونص البند الثانى من الاعــلان على « أن أحسن ما يمــكن للأهــالى عمله للصالح العام ، هو الامتناع عن كل عمل من شأنه تكدير صفو السـلام العــام ، أو التحريض على التنافر ومساعدة أعــداء ملك بريطانيــا » .

وبموجب الأحــكام العرفيــة ، فرضت الرقــابة العســكرية المشددة على الصحف ، بواسطة « السلطة العسكرية » ، التى اتخذت من نظارة الداخلية مركزا لها . وهــذا الى جانب الرقابة المدنية التى كانت تقوم بها من قبل « مراقبة المطبوعات » ، التى صار لها حق تعطيل الصحف مؤقتا أو نهائيا دون انذار .

وقد تأذت انظار المصريين من لصق اعلان الأحكام العرفيــة

---

(١٨٨) رؤوف عباس حامد ، الحركة العمالية فى مصر ، ١٨٩٩ ــ ١٩٥٢ (القاهرة : دار الكاتب العربى للطباعة والنشر ، ١٩٦٧) ص ٦٤ ــ ٦٥ .

(١٨٩) أحمد لطفى السيد ، قصة حياتى ، ص ١٣٥ .

(١٩٠) مصطفى النحاس ، سياسة الاحتلال ، ص ٢٠٩ .

على الجدران فى الشوارع ، فقام بعضهم بتمزيقها ، مما عرضهم لبطش رجال البوليس بهم(١٩١) .

وكان أهم أهداف فرض الأحكام العرفية ، هو منع المصريين من عرقلة الاجراءات البريطانية ، أو تقديم المعونة الى تركيا ، تحت تأثير العلاقة الروحية التى تربط بينهما ، ووجود عباس حلمى الحاكم الشرعى للبلاد فى القسطنطينية .

وبالفعل ، ادت هذه الأحكام الغرض منها ، بعد أن قام رجال البوليس بحملة تفتيش ومطاردة واعتقال ونفى ، شملت عددا كبيرا من رجال السياسة والصحافة ، وأعضاء الحزب الوطنى ، والمؤيدين لألمانيا .

وترتب على اعلان الأحكام العرفية ، انشاء المحاكم العسكرية ، التى تتألف من الضباط البريطانيين ، ولا تتقيد بأحكام القانون المصرى ، بل تتسع اختصاصاتها لتشمل كثيرا من الأمور ، وتتفاوت أحكامها من الجلد الى الاعدام ، مما جعل الخوف يسيطر على الناس(١٩٢) .

وصاحب اعلان الأحكام العرفية ، وانشاء المحاكم العسكرية ، حملة دعائية لتأييدها ، قادتها الصحف المتعاطفة مع الاحتلال البريطانى ، وشاركت فيها الصحف المعتدلة . فقد بادرت « الوطن » الى طمأنة المصريين ، وتأكيد التسامح والمعاملة الرقيقة التى سيلاقونها « فى ظل أعدل دولة فى الأرض ، وفى حمى أرفع

---

(١٩١) لطيفة سالم ، الحرب الأولى ، ص ٢٥ ، ٢٦ ، مصطفى النحاس ، سياسة الاحتلال ، ص ٢٠٧ .

(١٩٢) لطيفة سالم ، الحرب الأولى ، ص ٢٨٧ – ٢٨٩ .

الجيوش أدبا وأسماها خلقا ، الا وهو جيش الدولة البريطانية العزيزة الشأن .. »(١٩٣) . وتقاضت « الوطن » ثمن اخلاصها لدولة الاحتلال ، عددا هائلا من الاعلانات القضائية والحكومية ، أعانتها على الاستمرار فى الصدور رغم مشكلات الحرب . وقالت « الأهرام » : « لو أنا سألنا الأمة المصرية كلها رأيها فى ذلك ، لقالت كلها بصوت واحد : هذا ما نريده »(١٩٤) . ولكنها أبدت قلقها على الحقيقة والحرية ، بعد فرض الرقابة المشددة على الصحف . ورجت أن يكون الهدف منها « منع ما يضر ويضلل الرأى العام ، مع احترام الحقائق والحرية المعتدلة .. »(١٩٥) .

ودعت « المقطم » ــ عدة مرات ــ الدولة العثمانية ، الى التزام الحياد بين الدول المتحاربة ، بينما كانت بريطانيا تتفاوض معها لاقناعها بالحياد وضمان سلامتها(١٩٦) ، لكن دون جدوى . ففى يوم ٥ نوفمبر ١٩١٤ ، دخلت تركيا الحرب الى جانب المانيا، ضد بريطانيا وحلفائها . وأعلن ذلك قائد القوات البريطانية بمصر ، فى يوم ٧ نوفمبر ١٩١٤ . وبين أن بريطانيا تحارب لغرضين : أولهما ، الدفاع عن حقوق مصر وحريتها التى كسبها محمد على فى الأصل بالقتال . وثانيهما ، استمرار تمتع مصر بالسلم والرخاء اللذين تحققا بها تحت الاحتلال . وقال انه نظرا لما للسلطان ــ بصفته الدينية ــ من الاحترام عند مسلمى مصر ، فان بريطانيا تتحمل جميع أعباء الحرب ، ومقابل هذا

---

(١٩٣) صابات ، حرية الصحافة ، ص ٣٠٥ ، عن : الوطن ، ٣ نوفمبر ١٩١٤ .

(١٩٤) مصطفى النحاس : سياسة الاحتلال ، ص ٢٠٦ .

(١٩٥) خليل صابات ، الصحافة المصرية فى ثورة ١٩١٩ (القاهرة : مطبعة التقدم ، ١٩٦٩) ص ٣ ، عن : الاهرام ، ٣ نوفمبر ١٩١٤ .

(١٩٦) تيسير أبو مرجة ، المقطم ١٨٨٩ ــ ١٩١٩ ، ص ٨١ .

تطلب من المصريين الامتناع عن عرقلة تحركات الجيوش البريطانية، أو مساعدة أعداء بريطانيا . وعلى الفور ، طبق قرار « مجلس النظار » ، الصادر في ٥ أغسطس ١٩١٤ ، على الدولة العثمانية ، واعتبرت مصر في حالة حرب معها .

واستطاعت السلطات البريطانية الحصول على تأييد كبار رجال الدين الاسلامي المصريين لهذا التطور الهام . وقد طلبت رئاسة « مجلس الأزهر الأعلى » من الطلبة الابتعاد عن التجمعات . ونشرت الصحف « نصيحة من هيئة كبار العلماء » الى الشعب ، بالتزام السكون والاخلاد الى الراحة . وقام شيخ الأزهر بفصل الطلبة المعادين لبريطانيا(١٩٧) .

وانبرت « المقطم » تهاجم الحكومة الاتحادية التركية ، باعتبارها مسئولة وحدها عن دخول تركيا الحرب ضد بريطانيا ، وليست الأمة العثمانية كلها . وزعمت « المقطم » أن بريطانيا وحليفاتها كانت دائما صديقة « للدولة العلية »(١٩٨) .

ونشرت « المقطم » مقالتين بعنوان « أهل مصر والتغيير المنتظر » ، تمهد بهما للخطوة البريطانية التالية ، وهى الغاء حقوق تركيا في مصر ، واعلان الحماية البريطانية على مصر ، بعد أن نقضت الحرب جميع المعاهدات مع الدولة العثمانية . فلما كتب عبد الحميد حمدى افتتاحية « الجريدة » ، يوم ٨ نوفمبر ١٩١٤ بعنوان « موقفنا الجديد » ، ليفند آراء « المقطم » ، طلبت الرقابة حذف المقال كله . ولكن عبد الحميد حمدى المسئول

---

(١٩٧) مصطفى النحاس ، سياسة الاحتلال ، ص ٢٠٧ .

(١٩٨) تيسير أبو عرجة ، المقطم ١٨٨٩ - ١٩١٩ ، ص ٨١ ، عن : المقطم ، ١٠ ، ٢٠ نوفمبر ١٩١٤ .

عن تحرير « الجريدة » ، عمد الى نشر عنوان المقال وتوقيع كاتبه فحسب ، وترك مكان كلمات المقال الذى كان يشغل نصف الصفحة الأولى خاليا ، ليفضح تدخل الرقابة . فصدرت تعليماتها اليه بتعطيل « الجريدة » عن الصدور ، يوم ١٤ نوفمبر سنة ١٩١٤ ، وانذارها بعدم العودة لهذا العمل مستقبلا ، ونشر قرار الرقابة فى صدر العدد التالى ، عبرة للصحف كلها .

وازدادت الرقابة الصحفية شدة ، فظهرت بعض الأعمدة على صفحات « الأهرام » بيضاء ، فى أيام ١٠ و ١١ و ١٢ نوفمبر سنة ١٩١٤ . وحذفت أكثر مواد « الأهالى » يوم ١٠ نوفمبر سنة ١٩١٤ . ولم تسلم من هذا الحذف الصحيفتان الانجليزيتان الصادرتان بمصر ، وهما « الاجبشيان جازيت The Egyptian Gazette » و « الاجبشيان ميل The Egyptian Mail » ، اللتان طالبتا بفرض الرقابة على الصحف ورحبتا بها .

وتوقعت « الأهرام » وبعض الصحف ، حدوث نقص فى كميات الورق ، فأنقصت عدد صفحاتها(١٩٩) .

وأخذ معارضو بريطانيا خارج وداخل مصر ، يستخدمون سلاح المنشورات ، كبديل للصحف المصرية المراقبة . فأصدر قائد الجيوش البريطانية فى مصر ، يوم ١١ نوفمبر ١٩١٤ ، بلاغا نشرته كل الصحف ، ينذر فيه بالمحاكمة أمام المجلس الحربى ،

---

(١٩٩) ابراهيم عبده ، جريدة الأهرام تاريخ وفن ١٨٧٥ — ١٩٦٤ (القاهرة : مؤسسة سجل العرب ، ١٩٦٤) ص ٥٣٢ ، ٥٣٤ ، صابات ، الصحافة فى ثورة ١٩ ، ص ٣ ، أحمس فيليب ، الصحافة الانجليزية ، ص ٤٢ ، ٨٨ ، ١٧٦ ، ٢٠٩ .

كل من يعد أو يوزع أو يحوز أو يدخل الى البلاد ، أوراقا تحض الشعب على التشيع لأعداء بريطانيا ، أو الاستهانة بالحكومة . ويطلب تسليم هذه المنشورات الى السلطات(٢٠٠) .

وتضمن أهم هذه المنشورات ، البيان الذى وجهه الخديوى عباس من تركيا الى الأمة المصرية ، يوم ١١ نوفمبر ١٩١٤ ، ليفضح فيه تصرفات سلطات الاحتلال فى مصر ، ويعلن ارادة « أمير المؤمنين » تسيير جيش عثمانى بصحبة المصريين ، لتحرير مصر من الاحتلال البريطانى ، ويحض المصريين على مساعدة هذه الحملة ، ويعلن منحهم الدستور الكامل ، والغاء القوانين المنافية للحرية(٢٠١) . غير أن الخديوى أمر باحراق نسخ بيانه ، بعدما تبين له من سوء نية الأتراك معه(٢٠٢) .

غير أن الشائعات انتشرت فى مصر ، عن اعلان الاعتراف بسيادتها فى الآستانة ، واتجاه الخديوى السابق الى مصر ، على راس حملة تركية لطرد البريطانيين منها واعلان استقلالها . فرجا المصريون خيرا من هذه الحملة ، وتوقع بعضهم قيام ثورة ضد الاحتلال بمجرد وصولها . ولكن الحملة فشلت بعد أن تصدى لها الجيش البريطانى بمعاونة كتائب من الجيش المصرى ، فى فبراير واغسطس سنة ١٩١٥ . وتوقفت قرب قناة السويس .

ولم يستطع الوطنيون القيام بثورة ، بسبب اجراءات القمع

---

(٢٠٠) ج.غ . مكسويل ، « بلاغ » ، الجريدة ، ١٢ نوفمبر ١٩١٤ .
(٢٠١) الرافعى ، محمد فريد ، ص ٣٨٤ ، ٣٨٥ .
(٢٠٢) صابات ، حرية الصحافة ، ص ٣٠٨ .

العسكرية(٢٠٣) ، فانخفضت الروح المعنوية لدى أنصار تركيا والمانيا والخديوى عباس(٢٠٤) .

واخذت نظارة الداخلية تتشدد فى تطبيق الأحكام العرفية . وفى يوم ٢٧ نوفمبر ١٩١٤ ، استدعت أمين الرافعى وبعض الوطنيين ، وانذرتهم بالنفى أو الاعتقال(٢٠٥) .

واصبح من المعروف أن بريطانيا قررت فرض حمايتها على مصر ، وانه من المحتم على الصحف أن تنشر القرار عند صدوره دون مناقشته أو الاعتراض عليه ، فآثر أمين الرافعى ، رئيس تحرير صحيفة « الشعب » ، بالاتفاق مع شقيقه الكاتب عبد الرحمن الرافعى ،وعبد الله طلعت مدير الصحيفة ، ايقافها عن الصدور ، ابتداء من ٢٨ نوفمبر ١٩١٤ ، تبرما من شدة الرقابة ، واحتجاجا على الحماية . وأعلن أمين الرافعى قراره فى نفس يوم استدعاء نظارة الداخلية له . ورفض اغراء وتهديد رجال السلطة ، لاثنائه عن قراره .

وكان احتجاب صحيفة « الشعب » ، لسان حال الحزب الوطنى ، أول احتجاج مصرى على الحماية ، زاد من قيمته سعة انتشار الصحيفة ، والمكانة الوطنية والصحفية لرئيس تحريرها ، والتضحية الكبيرة المترتبة على ايقافها ، والتى تمثلت فى الخسارة

---

(٢٠٣) الرافعى ، ثورة ١٩ ، جـ ١ ، ص ٣٦ ، ٣٧ ، العقاد ، سعد زغلول ، ص ١٨١ ، ١٨٣ ، جولد شميث ، الحزب الوطنى ، ص ٢٦٨ ، ٢٦٩ .

(٢٠٤) هيكل ، مذكرات ، جـ ١ ، ص ٧٢ .

(٢٠٥) مصطفى النحاس ، سياسة الاحتلال ، ص ٢٠٩ ، عن : الأهرام، ٢٧ نوفمبر ١٩١٤ .

المالية للصحيفة ، واضطهاد الثلاثة اصحاب قرار اغلاقها ، واعتقالهم من أغسطس ١٩١٥ الى يونية ١٩١٦(٢٠٦) .

ثم طلب السلطان حسين كامل من أمين الرافعى ، أن يعيد اصدار صحيفة « الشعب » . ولكن الرافعى اعتذر بأنه لا يمكنه ذلك ، الا اذا وافق مجلس ادارة الحزب الوطنى · وكان الرافعى يعلم يقينا أن الحزب لن يوافق(٢٠٧) .

وقد حرصت السلطات الحاكمة ، منذ اعلان الأحكام العسكرية ، على العمل للقضاء على الحزب الوطنى. فشلت أعماله، واقفلت نواديه ، وصادرت أوراقه ، وبددت شمل أعضائه وأنصاره وكتابه ، واعتقلت الكثيرين منهم . ونفت البعض الى اوربا ومالطة . وظل بعضهم فى المنفى أو المعتقل حتى اعلان الهدنة سنة ١٩١٨ ، أما من أفرج عنهم قبلها ، فقد وضعوا تحت المراقبة . وهرب كثير من اعضاء لجنة الحزب الادارية الى تركيا ، مما أضعف قيادته بمصر ، وخاصة بعد غياب زعيمه محمد فريد ، الذى هاجر من مصر الى تركيا يوم ٢٦ مارس ١٩١٢، بسبب اضطهاد السلطات له . وظل بقية حياته يحارب الاحتلال متنقلا بين تركيا واوزبا(٢٠٨) .

---

(٢٠٦) أمين الرافعى ، « فى سبيل الواجب الوطنى » ، الأخبار ، ٢٤ ابريل ١٩٢١ ، ص ٢ ، صبرى ابو المجد ، أمين الرافعى شهيد الوطنية المصرية ، كتاب الهلال ، العدد ٣٦٦ (القاهرة : دار الهلال ، ١٩٨١) ص ٧٧ — ٨١ ، عبد الرحمن الرافعى ، ثورة ١٩ ، جـ ١ ، ص ٣٠ .

(٢٠٧) عبد الخالق لاشين ، سعد زغلول ودوره فى السياسة المصرية ١٩١٤ — ١٩٢٧ ، الطبعة الأولى (بيروت : دار العودة ، القاهرة : مكتبة مدبولى ، ١٩٧٥) ص ٤٣ .

(٢٠٨) عبد الرحمن الرافعى ، محمد فريد ، ص ٢٥٥ — ٢٧٠ ، ٢٩٤ — ٣٠٧ ، ٣٩١ .

ثم أعلنت بريطانيا فى ١٨ ديسمبر ١٩١٤ - من جانب واحد - فرض حمايتها على مصر ، وبالتالى زوال السيادة الاسمية التركية العثمانية عنها .

وفى اليوم التالى ، أعلن عزل الخديوى عباس حلمى الثانى، لانضمامه الىأعداء بريطانيا ، وتولية حسين كامل سلطانا على عرش مصر ، وتأليف وزارة حسين رشدى « باشا » الثانية ، التى ألغيت فيها وزارة الخارجية . وأطلق على ممثل بريطانيا فى مصر لقب « المندوب السامى » ، واختير لهذا المنصب « السير هنرى مكماهون «Sir Henry Mac-Mahon

وأخطرت وزارة الخارجية البريطانية ، سلطان مصر ، بأن حقوق سلطان تركيا والخديوى المصرى السابق ، على مصر ، قد سقطت وآلت الى بريطانيا ، وأن بريطانيا ستتحمل وحدها مسئولية الدفاع عن مصر ، وأنه من الضرورى وضع شكل للحكومة المصرية بعد تحرير مصر من السيادة العثمانيه وقيودها . أما علاقات مصر الخارجية فيقوم برعايتها ممثلو بريطانيا لدى كافة الدول . ووعدت بريطانيا باعادة النظر فى الامتيازات الأجنبية ، بعد انتهاء الحرب ، وبحماية الحرية الشخصية . كما وعدت باشراك الشعب فى الحكم تدريجيا ، والتقدم بسرعة نحو الحكم الذاتى .

واتخذت القيادة العسكرية البريطانية من مصر ، قاعدة حربية عامة للحلفاء فى الشرق الأوسط ، ومركزا لدعايتهم السياسية فى البلاد العربية(٢٠٩) .

وعملت السلطات البريطانية على اتقاء اثارة المشاعر الدينية لدى المصريين المسلمين ، الذين تشيع أكثرهم لدار الخلافة

---

(٢٠٦) الرافعى ، ثورة ١٩ ، جـ ١ ، ص ٣٦ .

الاسلامية ، فأكدت أنها ستحترم العقائد الدينية ، وأن حربها ضد تركيا لا تعنى عداءها للخلافة الاسلامية ، ولن تحمل مصر أية أعباء(٢١٠) .

ولم يعترض رجال الحكم المصريون على الحماية ، لأنها أقل شرا من ادماج مصر فى الامبراطورية البريطانية ، وهو الاجراء الذى ناقشته وزارة الخارجية البريطانية بجدية ثم تراجعت عنه . وراوا — بعد استشارة سعد زغلول ومجموعته — أنه من الحكمة أن يستمروا فى مناصبهم فى انتظار نتائج الحرب(٢١١) ، لاثبات ولاء المصريين لبريطانيا وحلفائها ، وعدم عزلتهم سبيل النصر للحلفاء ، آملين فى أن انتصار الحق لابد أن يقترن بزوال الحماية، ومقدرين ضرورة عطف دول الحلفاء وتقديرها لاستقلال مصر(٢١٢) .

أما الشعب المصرى ، فقد قابلت مجموعات صغيرة منه(٢١٣) — بالسخط والألم — اعلان الحماية البريطانية ، وتنصيب حسين كامل سلطانا على مصر ، بموجب خطاب من المعتمد البريطانى فى مصر ، لأنه أكد اهدار بريطانيا استقلال مصر . ولكن فرص معارضة هذا القرار جماهيريا فى وضوح وعلانية ، كانت ضعيفة ، بسبب الأحكام العسكرية ومنع التجمهر وتوجيه الصحافة .

---

(٢١٠) العقاد ، سعد زغلول ، ص ١٧٨ ، ١٧٩ ، الرافعى ، ثورة ١٩ ، جـ ١ ، ص ١٩ — ٢٢ .

(٢١١) Zayid, M., Op. Cit., P. 341.

(٢١٢) محمود أبو الفتح ، مع الوفد المصرى (القاهرة : دون اسم ناشر ، ١٩٢٠) ص ٤٧ ، من خطاب ألقاه محمد محمود عضو الوفد المصرى بباريس يوم ٣ مايو ١٩١٩ .

(٢١٣) Jean and Simonne Lacouture, Egypt in Transition, Translated by Francis Scarfe (London : Methuen & Co. LTD, 1958), P. 82.

وبالطبع ، رحبت الصحف المصرية المؤيدة لبريطانيا ، باعلان الحماية ترحيبا شديدا . وقد تزعمتها صحيفة « المقطم » ، التى أبرزت النبأ بعنوان كبير على صفحتيها الأولى والخامسة ، وأبدت ابتهاجها بحلول بريطانيا العظمى مكان تركيا فى السيادة على مصر ، قائلة ان الحماية نعمة للمصريين وعبرة للعثمانيين ، وبشرت المصريين بفوائد هذه الحماية . وأعلنت سرورها البالغ بسقوط الخديوى عباس حلمى الثانى ، عدوها اللدود . أما صحيفة « الوطن » فزعمت أن مصر تخلصت من نير السيادة التركية لتتمتع بالحرية والعدالة ، فى ظل الحكم البريطانى الباقى الى الأبد(٢١٤) .

كما استقبلت « الجريدة » اعلان الحماية وتولية السلطان حسين كامل بالترحيب ، لأنهما يدلان بوضوح على أن بريطانيا تحقق آمال الأمة المصرية ، على قدر الثقة المتزايدة بين الأمتين ، وأن ولاء مصر لبريطانيا التى تحترم الأديان والآمال والعواطف ، يعزز هذه الثقة(٢١٥) .

ولما قال حسين رشدى رئيس الوزارة ، ان الحماية قد تعنى الضم وقد تعنى الحكم الذاتى ، علقت صحيفة « الجريدة » بأنها متفائلة بالمستقبل ، لأن بلاغ بريطانيا للسلطان حسين يفيد أنها ستميل الى الحكم الذاتى شيئا فشيئا ، وان الاستقلال القضائى والادارى سيتحققان بالغاء الامتيازات الأجنبية ، وان

---

(٢١٤) صابات ، الصحافة فى ثورة ١٩١٩ ، ص ٣ ، صابات ، حرية الصحافة ، ص ٣١٣ ، ٣١٤ ، تيسير أبو عرجة ، المقطم ١٨٨٩ - ١٩١٩ ، ص ٨٣ — ٨٧ .

(٢١٥) ... ، « الانقلاب العظيم ، بسط الحماية البريطانية » ، الجريدة ، ١٩ ديسمبر ١٩١٤ .

البوليس سيفرض سلطته على الأجانب كالمصريين ، وأن حكم أسرة محمد على ما زال مصانا وقادرا على العمل لخير الأمة(٢١٦) .

وكان موقف « الأهرام » وسطا ، فقد كتبت أن المصريين صاروا أمام القانون الدولى أحرارا مستقلين كل الاستقلال ، وأن مصر تريد أن تكون الحماية شيئا موقوتا ، ينتهى بانتهاء الحرب ، وتنال البلاد استقلالها التام جزاء موقفها السليم من الحرب الدائرة(٢١٧) .

أما صحيفة « الأهالى » التى انتهجت سياسة الاعتدال ومهادنة الاحتلال ، منذ بدء صدورها بالاسكندرية يوم ١٩ أكتوبر سنة ١٩١٠ ، برئاسة عبد القادر حمزة(٢١٨) ، فقد حرصت على عدم تحديد موقفها صراحة من اعلان الحماية(٢١٩) ، خشية بطش السلطات بها ، فقد كانت فى حقيقة الأمر معارضة للحماية لسببين : أولهما ، هو الخصومة بين محمد سعيد رئيس النظار السابق الذى تتحدث « الأهالى » باسمه ، وبين حسين رشدى رئيس الوزراء فى ظل الحماية ، وثانيهما هو ايمان محمد سعيد بفائدة السيادة العثمانية فى استنهاض الحجة القانونية أو الدولية على الاحتلال والحماية(٢٢٠) .

---

(٢١٦) ى.ب ، « معنى الحماية » ، الجريدة ، ٢٨ ديسمبر ١٩١٤ .

(٢١٧) ابراهيم عبده ، الأهرام ، ص ٥٣٥ — ٥٣٧ .

(٢١٨) ... ، « بسم الله الرحمن الرحيم .. » ، الأهالى ، ١٩ أكتوبر ١٩١٠ .

(٢١٩) صابات ، حرية الصحافة ، ص ٣١٢ .

(٢٢٠) عباس محمود العقاد ، حياة قلم (القاهرة : مكتبة غريب ، دون تاريخ) ص ١٧٣ .

وفى حماسة واضحة ، باركت الصحف البريطانية الصادرة بمصر ، اعلان الحماية البريطانية عليها . وهذه هى احداها ، صحيفة « الاجبشيان ميل The Egyptian Mail » ، التى كانت تصدر منذ ٣ يونية ١٩١٢ ، تشرح مزايا الحماية المتضمنة انتهاء سيادة تركيا على مصر ، وتولى بريطانيا حماية مصر والأجانب المقيمين فيها . وتنقل الصحيفة الانجليزية عن زميلتيها فى تعضيد الاحتلال : « المقطم » و « الوطن » ، تأييدهما الحماية ومهاجمتهما تركيا والحزب الوطنى المعتمد عليها . كما تنقل عن « الجريدة » تأكيد ولاء المصريين لبريطانيا . وتردد ما كتبته « المؤيد » فى الاشادة بعدالة وتسامح الملك جورج الخامس نحو المسلمين ، وشكر بريطانيا لاحترامها حقوق أسرة محمد على وآمال المصريين، والمناداة بضرورة ارتباط مصر وبريطانيا(٢٢١) .

ولما وصل « السير هنرى مكماهون » الى مصر ، يوم ٩ يناير ١٩١٥ ، ليتسلم عمله كأول مندوب سام بريطانى فى ظل الحماية ، استقبلته « المقطم » بحفاوة بالغة ، وقالت ان مقابلته اثرت فى الجمهور تأثيرا حسنا ، « حتى لقد قال سعد « باشا » زغلول ، على مسمع منا ومن سوانا ، إن دلائل الخير بادية على وجهه ، فأملنا أن الله يجزل لمصر الخير على يده »(٢٢٢) . أما « الأهرام » ، فقد نشرت صورة « لمكماهون » على صدر صفحتها الأولى ، وتحتها أبيات من شعر حافظ ابراهيم بعنوان « ماذا نريد » ، وتعليق « للأهرام » توضح فيه أن المصريين يريدون

---

(٢٢١) أحمس فيليب ، الصحافة الانجليزية ص ٢٠٢ ، ٢١٤ ، ٢١٥ .

(٢٢٢) تيسير ابو عرجة ، المقطم ١٨٨٩ – ١٩١٩ ، ص ٨٩ ، المقطم ، ١١ يناير ١٩١٥ . وكان سعد زغلول هو الوكيل المنتخب للجمعية التشريعية .

مع انتهاء الحرب نوال استقلالهم التام ، جزاء موقفهم وتضحياتهم خلالها(٢٢٣) .

وبعد فترة قصيرة من اعلان الحماية البريطانية على مصر ، نقضت السلطات البريطانية ، كل ما عاهدت مصر عليه . فاستباحت أموال الخزانة العامة ، واطلقت أيديها فى دواوين الحكومة ، وأمعنت فى التضييق على أعداء الاحتلال ، ووضعت ثقتها فى من يخدمونه فأساءوا معاملة الوطنيين . وارتكب الجنود البريطانيون كثيرا من التصرفات المنكرة . وجمعت السلطة البريطانية عددا هائلا من الشبان ، وسخرتهم لخدمتها ، وأساءت معاملتهم لدرجة دفعتهم الى اعلان استيائهم والقيام بمظاهرة اصطدمت برجال البوليس . وبعثت السلطة العسكرية بهم الى ميادين القتال فى ظروف سيئة ، فمرض ومات منهم الكثير . وأخذت من الفلاحين ما شاءت من المحاصيل دون اكتراث لحاجتهم الشديدة اليها(٢٢٤) . ولم تف السلطات البريطانية بوعودها بضمان الحرية الشخصية وتنمية اشتراك المحكومين فى الحكم ، بل زادت من تضييقها على الحريات الشخصية والعامة . وفى هذا المجال ، أمرت النيابة العامة بنفى الشاعر أحمد شوقى ، فى يناير ١٩١٥ ، لنشره قصيدة « فيها بعض المغامز السياسية والاشارات الى بعض الحوادث التاريخية ، مما لا يصح نشره فى الوقت الحاضر » ، فاختار أسبانيا مقاما له(٢٢٥) .

---

(٢٢٣) ابراهيم عبده ، الأهرام ، ص ٥٣٧ .

(٢٢٤) العقاد ، سعد زغلول ، ص ١٨١ ، ١٨٢ ، الرافعى ، ثورة ١٩ ، جـ ١ ، ص ٤١ ، ٤٢ .

(٢٢٥) لطيفة سالم ، الحرب الأولى ، ص ٣٠٣ ، ٣٠٤ ، نقلا عن : الوطن ، ١١ يناير ١٩١٥ .

وفى مذكراته ، يصف سعد زغلول ، حالة الصحف المصرية بعد فترة من اعلان الأحكام العرفيـة ، بانها صارت كلها « شبه رسمية ، لا تنطق الا بما تأذن به الرقابة ، ولا تنشر الا ما تريد اعلانه واعداد النفوس لقبوله »(٢٢٦) .

وفى ظل انعدام وسائل التعبير الحرة ، تداول الشباب الكثير من النشرات التى تدعو الى الثورة ضد الاحتلال والحكومة الموالية له . والصـقت منشـورات تهـديد للسـلطان داخـل سراى عابـدين(٢٢٧) .

وعبرت طليعة الوطنيين عن معارضتهم للحماية ، ومن قبلوا الحكم تحت وطأتها ، بالاضراب والاغتيال . فقد تغيب أكثر طلبة مدرسة الحقوق يوم ١٨ يناير ١٩١٥ ، حتى لا يستقبلوا السلطان حسـين كامل « صنيعة البريطـانيين » عند زيارته مدرستهم . وقاطعوا المحـاضرات تحت شـعار « من المسـتحيل أن ندرس القانون فى بلد يهزأ بكل القوانين »(٢٢٨) . ثم جرت محاولتان لاغتيال السلطان حسين فى يومى ٨ أبريل و ٩ يولية ١٩١٥ . وفشـلت محـاولة جرت يوم ٤ سبتمبر ١٩١٥ ، لاغتيال ابراهيم فتحى « باشا » وزير الأوقاف .

وفى نفس الفترة ، أدت شدة الرقابة على الصحافة ، خاصة المواد السياسية ، الى احتجـاب بعض الصحف نهائيـا ، ومنهـا صحيفتان حزبيتان كبيرتان . فقد توقفت صحيفة « الجريدة » ،

---

(٢٢٦) لطيفة سالم ، الحرب الأولى ، ص ٢٨٦ ، نقلا عن : مذكرات سعد زغلول ، ك ٢٥ ، ص ١٣١٧ ، ٩ مارس ١٩١٥ .

(٢٢٧) لاشين ، سعد زغلول ١٩١٤ – ١٩٢٧ ، ص ٣٨ .

(٢٢٨) Lacouture, J. & S., Op. Cit., P 94.

الناطقة بلسان حزب « الأمة » عن الصـــدور نهائيا ، ابتداء من أول يولية ١٩١٥(٢٢٩) . وعطلت السـلطة صحيفة « المؤيد » المعبرة عن « حزب الاصـلاح على المبـادىء الدستورية » ، فى مايو ١٩١٥ ، تعطيلا مؤقتـا ، بعد أن عثرت على كتب ثوريـة ومنشورات ضد الحماية ، فى خزانة ادارة « المؤيد » بالاسكندرية، واجرت تحقيقا مع وكيلها هنـاك(٢٣٠) . وكانت « المؤيد » تعانى من الضعف الذى انتابها بعد وفـاة مؤسسـها الشيخ على يوسف، يوم ٢٥ اكتوبر ١٩١٣(٢٣١) ، وتولى سيد كامل رئاسـة تحريرها منذ أوائل نوفمبر ١٩١٣ ، ثم احمـد حافظ عوض منذ أوائـل ابريل ١٩١٤(٢٣٢) . وازدادت معاناتها فى أثناء الحرب ، بسبب سوء الأحوال المـالية وأزمة الورق وشدة الرقابة ، حتى توقفت نهائيا عن الصدور يوم ٨ ديسمبر ١٩١٥(٢٣٣) .

---

(٢٢٩) حسين فوزى النجار ، احمد لطفى السيد : أستاذ الجيل ، أعـلام العرب ، العدد ٣٩ (القاهرة : الدار القومية للتأليف والترجمـة ، ١٩٦٥) ص ١٣٨ .

(٢٣٠) لطيفـة سـالم ، الحـرب الأولى ، ص ٣٢٣ ، الأخبـــار ، ١٨ مايو ١٩١٥ .

(٢٣١) عبد اللطيف حمزة ، أدب المقالة الصحفية فى مصر : على يوسف، الطبعة الثالثة ، الجزء الرابع (القـاهرة : دار الفـكر العربى ، ١٩٦٦) ص ٨٣ .

(٢٣٢) راسم محمد الجمال ، عباس العقاد : رجل الصحافة ، رجل السياسة ، اقرأ ، العدد ٤٤ (القاهرة : دار المعارف ، ١٩٧٩) ص ٢٦ .

(٢٣٣) راسم محمد الجمـال ، « عبـاس العقـاد فى تاريخ الصحافـة المصرية » ، رسالة ماجستير غير منشورة (الجيزة : كلية الآداب ، جامعـة القاهرة ، ١٩٧٤) ص ٥٢ ؛ وآخر أعداد « المؤيد » بدار الكتب صـدر يوم ٧ ديسمبر ١٦١٥ .

غير أن الصحفيين المصريين لم يفقدوا الأمل . ففى السنة نفسها ، التى شهدت الغاء « الجريدة » و « المؤيد » ، صدرت ثلاث صحف ، كان لها دور واضح فى خط سير الصحافة المصرية ، وان كانت قد تحاشت نشر المواد التى تقودها الى مصير الصحيفتين الحزبيتين الكبيرتين . فقد اجتمع بعض كتاب « الجريدة » ، واصدروا ابتداء من ٢١ يولية ١٩١٥ ، صحيفة « السفور » ، اسبوعية أدبية اجتماعية نقدية غير سياسية ، وتولى تحريرها وادارتها عبد الحميد حمدى(٢٣٤) . كما صدرت صحيفة « اللطائف المصورة » ، لاسكندر مكاريوس ، وصحيفة « الأمة » لتوفيق طنوس ، ولم تنتظما فى الصدور فى أثناء الحرب وبسبب ظروفها ، ولكنهما انتظمتا بعدها .

ويعتبر صدور « السفور » ، وانضمام صحف « الجنس اللطيف » ، « البيان » و « المستقبل » اليها فى الدعوة الى حرية المرأة وسفورها ، ومساواتها بالرجل فى الحقوق والواجبات ، من آثار فرض الحماية البريطانية على مصر ، والغاء السيادة العثمانية عليها . فقد استقل قضاؤها الشرعى عن الاستانة ، وتحرر من قيود المذهب الحنفى المفروضة عليه وفقا للتبعية للدولة العثمانية . واستمد القضاء قواعده ، واسس قانون الأحوال الشخصية ، من المذاهب الأربعة . فتحسن وضع المرأة المصرية ، واتسعت دائرة حقوقها ، وانتشرت الجمعيات النسائية ، وخلعت أغلبية النساء الحجاب ، وشاركت فى مناقشة المشكلات ، مما مهد لدورهن الواضح فى ثورة ١٩١٩(٢٣٥) .

---

(٢٣٤) هيكل ، مذكرات ، جـ ١ ، ص ٧٥ .

(٢٣٥) لطيفة سالم ، الحرب الأولى ، ص ٢٢٥ ، ٢٢٧ .

وازدادت ظروف الحرب صعوبة ، الي درجة أن « المقطم » ، التى دأبت السلطات البريطانية والمصرية على دعمها ماديا واخباريا، أخذت تشكو من العقبات التى اعترضت استيراد الورق بالبواخر من أوربا ، وارتفاع أثمان سائر أدوات ومواد الطباعة ، مما أدي الى خفض عدد صفحاتها من ثمان صفحات الى أربع واضطرارها الى استخدام الحروف الصغيرة ، لتتمكن من نشر أخبار الحرب وتطورات معاركها على كافة جبهات القتال(٢٣٦) . وعانت أيضا صحيفة « الأفكار » المؤيدة للحزب الوطنى من الصعوبات المالية فاضطرت الى خفض أجور محرريها فى نوفمبر ١٩١٦ ، واخذت تصدر فى ورقة واحدة منذ ١٩ يونية ١٩١٧ حتى نهاية الحرب(٢٣٧) .

وقد عنى بعض أعضاء « مجلس العموم البريطانى » ، بالظروف الصعبة التى كانت تمر بها الصحافة المصرية ، فتقدم احدهم وهو العضو « المستر جينيل Mr. Ginnel » بثلاثة اسئلة فى شهر مارس ١٩١٦ ، الى وزير الخارجية البريطانية ، تساءل فى أولها عن القواعد والأحكام التى تسير عليها الحكومة المصرية ، عند رفضها الترخيص بتأسيس صحيفة دون ابداء الأسباب ، وحظرها اصدار صحيفة تنطق بعدة لغات ، بينما لا يوجد قانون يخول الحكومة هذا الحق . وجاء رد الحكومة على لسان « لورد ر. سيسيل Lord R. Cecil » الذى طلب من مقدم السؤال أن يحدد الحالات التى يسأل عنها ، لأنه ليس من المرغوب فيه اعلان بيان شامل عن جميع الحالات .

---

(٢٣٦) تيسير أبو عرجة ، المقطم ١٨٨٩ — ١٩١٩ ، ص ١٨٨ ، ١٨٩ ، عن : المقطم ، ١١ يناير ١٩١٦ .

(٢٣٧) جيهان رشتى ، الصحافة المسائية ، ص ٢٨٥ .

ولما طلب العضو فى سؤاله الثانى بيانا بأسماء جميع الصحف المصرية التى أوقفت بأحكام قانون الصحافة المنفذ فى مصر : وعدد الصحف التى صرح لها بالعودة للصدور قبل اندلاع الحرب العالمية الأولى وفى أثنائها ، أعلن « السير ادوارد جراى Sir E. Grey » اسفه ، لافتقاره الى أية معلومات عن هذا الموضوع . أما السؤال الثالث ، فقد تضمن ثلاث نقاط ، تساءل العضو فى أولاها عما اذا كان القضاء على « الصحف الحرة » فى مصر « الآن » ، حدث بتوجيه من وزارة الخارجية البريطانية ، وتساءل فى ثانيتها عما اذا كانت المقالات التى اقتبستها « الأهرام » من « التيمس Times» وغيرها من الصحف الانجليزية ، حذفت كلها أو أجزاء منها بمعرفة الرقيب ، ثم أجبرت « الأهرام » على الظهور بمساحات كبيرة منها بيضاء . فيجيب « لورد سيسيل » على النقطتين بالنفى . أما النقطة الأخيرة ، فيتساءل فيها العضو عن كيفية الحفاظ على حقوق المصريين وتحقيق رغباتهم والاعراب عن آرائهم ، بعد تعطيل صحفهم وايقاف الجمعية التشريعية . فيرد « لورد سيسيل » ــ مخالفا الواقع ــ بأنه لا الجمعية التشريعية ولا الصحف المصرية قد عطلت !(٢٣٨) .

وفى أواخر ديسمبر ١٩١٦ ، تقلد « السير ريجنلد ونجت Sir Reginald Wingate » ، سردار الجيش المصرى وحاكم عام السودان ، مهام منصبه مندوبا ساميا لبريطانيا فى مصر، خلفا « للسير هنرى مكماهون » . فرحبت به « المقطم » واستقبلته بحفاوة بالغة(٢٣٩) .

---

(٢٣٨) The Parliamentary Debates, House of Commons, Vol. 80. Col. 1684, Mar. 9, 1916, Col. 1926, Mar. 14, 1916, Col. 527, Mar. 28, 1916.

(٢٣٩) تيسير ابو عرجة ، المقطم ، ١٨٨٩ ــ ١٩١٩ ، ص ٩٤ .

وتوفى السلطان حسين كامل ، يوم ٩ أكتوبر ١٩١٧ ، فاختارت السلطات البريطانية الأمير أحمد فؤاد سلطانا على مصر . وألف حسين رشدى « باشا » وزارته الثالثة .

وفى تلك المرحلة الزمنية ، اشتدت أزمة ورق الصحف ، بسبب صعوبة استيراده . وتضاعف ثمنه خمس مرات ، وتدخلت السلطات العسكرية لتنظيم استهلاكه . وارتفع ثمن النسخة من الصحيفة من خمسة مليمات الى قرش صاغ . فانخفض توزيعها، واضطرت الصحف ــ ومنها « الأهرام » ــ للعودة الى الثمن القديم مع تخفيض عددصفحاتها من ثمان صفحات الى أربع ثم الى صفحتين ، مما قلل من المواد المنشورة والعناوين الكبيرة . واقتصر صدور كل صحيفة على ستة أيام فى الأسبوع(٢٤٠). ورغم ذلك استمرت أزمة الورق ، وشملت كافة أنواعه(٢٤١) . فاستخدمت الصحف الأنواع الرديئة منه . ومما يعبر بوضوح عن شدة ازمة ورق الصحف ، حالة صحيفة « الأهالى » ، التى كانت تحتفظ بكمية كبيرة من الورق ، قبل أن تبدأ الحرب ، ثم تولت شركة للاعلانات أمدادها بالورق والاعلانات القضائية ، مقابل تقاضيها جميع ايراداتها(٢٤٢) . ومع هذا ، اضطرت « الأهالى » الى اختصار موادها فى صفحتين فحسب ، وتصغير مساحة راسها ، والاحتجاب عن الظهور بعض الأيام . وتوقفت عن الصدور خلال الأسابيع الثلاثة الأولى من شهر نوفمبر سنة ١٩١٨ .

---

(٢٤٠) ابراهيم عبده ، الأهرام ، ص ٥٣٩ ــ ٥٤١ ، صابات ، الصحافة فى ثورة ١٩ ، ص ٥ .

(٢٤١) صابات ، حرية الصحافة ، ص ٣١٦ .

(٢٤٢) عباس العقاد ، حياة قلم ، ص ١٧٤ ، جيهان رشتى ، الصحافة المسائية ، ص ٥٩ ، نقلا عن : مصر ، ١٢ فبراير ١٩٢٠ .

واشرفت الحرب العالمية الأولى على النهاية ، مع حدوث عدة تغيرات دولية ، خلال سنتى ١٩١٧ و ١٩١٨ . فقد قام الروس بالثورة « البلشفية » فى أكتوبر ١٩١٧ . وسقطت روسيا القيصرية أمام المانيا . وتردد صدى هذا التطور الهام فى كثير من البلاد ، ومنها مصر ، وأثر على اتجاه الأفكار فيها . ودخلت الولايات المتحدة الأمريكية الحرب ، الى جانب بريطانيا وحلفائها ، لترجح كفتهم أمام المانيا . وأعلن الرئيس الأمريكى « ودرو ولسن Woodrow Wilson » فى ٨ يناير ١٩١٨ مبادئه الأربعة عشر، كأساس للهدنة وميثاق للحرية والاستقلال ، لكافة الشعوب . ثم استسلمت بلغاريا ، واعقبتها تركيا ، التى عقدت الهدنة مع بريطانيا وحلفائها يوم ٣١ أكتوبر ١٩١٨ . وانهارت الدولة العثمانية ، فنهض الوعى القومى واشتد الأمل فى الاستقلال لدى مصر وسائر الدول العربية . واندلعت الثورة فى المانيا فى نوفمبر ١٩١٨ ، ولم يقو جيشها على صد جيوش الحلفاء ، فاضطرت الى طلب الصلح .

واسفرت الحرب العالمية الأولى عن هزيمة المانيا وحلفائها، وانتصار بريطانيا وحلفائها . وعقدت الهدنة بين الفريقين يوم ١١ نوفمبر ١٩١٨(٢٤٣) .

---

(٢٤٣) لطيفه سالم ، الحزب الاولى ، ص ٧٠ ، ٧١ ، الرافعى ، ثورة ١٩ ، جـ ١ ، ص ٥٠ .

القســـم الثـــانى

من اندلاع ثورة ســنة ١٩١٩
الى اعلان الاستقلال سنة ١٩٢٢

خرجت مصر من الحـرب العالميـة الأولى ، بعد أن اهدر استقلالها تحت نير الحماية البريطانية • وقيدت حريات شعبهـا بالأحكام العرفية المفروضة منذ مستهل نوفمبر ١٩١٤ ، وأوقفت اجتماعات هيئتهـا النيابيـة ، وحلت نقاباتها ، وشـلت حـركة احزابها ، واختفت صحفها الحزبية الكبرى : « الشعب » ، ثم « الجريدة » و « المؤيد » . وعانت سائر صحفها من المراقبـة المدنية والعسكرية ، التى تدخلت فى موادها بالاضافة والحذف ، وهددت كيانها بالمصادرة والتعطيل والالغاء • وتعرض الكتاب لكبت افكارهم واعتقـال اشخاصهم ونفيهم خـارج البلاد . ومنعت الصحافـة من تأدية دورها كاملا فى الاعـلام والتوجيـه • ومرت الصحف بأزمة اقتصادية كبيرة ، قللت توزيعها واضعفت اعلاناتها وخفضت أجور محرريهـا وسـوأت طباعتها واخراجها ، وحرمتها القدرة على التجديد والابتكار .

ومع اتجاه الحرب الى نهايتها ، تشابكت خيوط هذه الأوضاع كلها ، لترتفع بمشاعر الضيق والتذمر والاستياء الى حدهـا الأعلى • وتتأكد الرغبـة الصادقة فى الخـلاص منها جميعـا ، مع بزوغ أضواء السلام وقواعد العدل ، لتدفع الشعب المصرى — يتقدمه قادته ورواد صحافته — الى المطالبة العمليـة الجـادة بالحرية والاستقلال ، بالوسائل السلمية المشروعة ، فاذا قابلتها العقبات ، اندلعت الثورة .

أ ــ أرهاصات الثورة :

وفى الفترة من أواخر الحرب العالمية الأولى ، الى اعتقال ونفى أقطاب الوفد فى مارس ١٩١٩ ، دخلت الصحافة المصرية دائرة الصراع مع الاحتلال ، ممثلا فى سلطته العسكرية ورقابته الصحفية .

وتمكنت سلطات الاحتلال من السيطرة على الصحافة المصرية بالاضافة والحذف . فكانت تصدر البلاغات الرسمية التى تخدم مصالح الاحتلال بغض النظر عن الحقيقة ، وتطلب الى الصحف نشرها دون مناقشة أو تعليق . وفى نفس الوقت ، تحذف أية مادة تتعارض مع السياسة الاحتلالية ، أو تعرف القارىء ما يدور فى الواقع . ولهذا كان الغاء مراقبة الصحف وسائر المطبوعات ، أول رغبة يقدمها زعماء الشعب لممثل دولة الاحتلال ، فى مقابلة ١٣ نوفمبر ١٩١٨ .

لقد منعت الرقابة النشر عن مساعى سعد زغلول وزملائه لتشكيل الوفد ، ومطالب الشعب التى قدموها للمندوب السامى فى ١٣ نوفمبر ، ثم تأليف الوفد وحركة توكيلاته ، حتى اسمه والانتماء اليه ، ومساعيه لابلاغ العالم كله بمطالب مصر . ثم عرقلت الرقابة وقيدت نشر أنباء أزمة منع الوفد من السفر ، واستقالة الوزارة ، واعتقال سعد وزملائه ونفيهم . ومع هذا ، تمكنت الصحف من الكتابة فى قليل من المسائل والمعانى التى تخدم القضية الوطنية ، مثل الديمقراطية ومبادىء ولسن وضرورة تحقيقها . وفضحت المحاولات البريطانية للسيطرة على الصحف والقوانين والقضاء فى مصر .

وتمكن بعض الصحفيين من تخطى قيود الرقابة وظروف الصحافة الصعبة ، بقيامهم بدور سياسى يعوض النقص فى دورهم الصحفى ،

الناتج عن حذف الكثير من المواد الصحفية والغاء بعض الصحف .
وهو ما فعله أحمد لطفى السيد بمشاركته رجال السياسة سعيهم لحل القضية المصرية وتأليف الوفد المصرى ، خاصة بعد توقف « الجريدة » . كما شارك أمين الرافعى ، بعد تعطيل « الشعب » فى دراسة حقوق مصر ونشرها والمطالبة بها . وساهم محمود أبو الفتح فى طبع وتوزيع خطب ومذكرات اقطاب السياسة وتوكيلات الوفد ، بالاسكندرية . وترجمة أقوال الصحف الأجنبية للوفد والرد عليها ، الى جانب عمله فى « وادى النيل » .

وقدم بعض الكتاب تضحيات كثيرة ، منها استقالة محمود عزمى من عمله مدرسا للاقتصاد بمدرسة التجارة العليا ، وتفرغه للعمل الصحفى والسياسى ، فى خدمة القضية الوطنية .

٢ ـ اندلاع الثورة :

ومع اندلاع الثورة ، دخلت الصحافة الوطنية فى مواجهة عنيفة مع السلطات البريطانية . وتعرضت تحت وطأة الأحكام العرفية للحذف والتعطيل . فتمكنت من تأدية وظائفها أحيانا ، واخفقت أحيانا أخرى .

فلم تستطع الصحف نشر نبأ اعتقال الزعماء ــ السبب المباشر للثورة ــ فور حدوثه يوم ٨ مارس ١٩١٩ . واندلعت الثورة صباح اليوم التالى « قبل أن تصرح الرقابة للصحف بنشر النبأ يوم ١٠ مارس وبعد أن عرفه الوطنيون بوسائل الاتصال الشخصى . وكانت « الوطن » المتعاونة مع سلطات الاحتلال ، أسبق الصحف الى نشر أنباء اندلاع الثورة ، مساء الاثنين ١٠ مارس ، تلتها بقية الصحف يوم ١١ مارس .

وقـد ادانت صحف الاحتـلال ، تتقدمهـا « الوطن » و « المقطم » ، المظاهرات التى تصدرها الطلبة ، وجردتها من باعثها الوطنى ، وحاولت ابعـاد الطلبـة عن الثورة . أما « مصر » ، « الأهرام » ، « المحروسة » ، « الأفكار » ، « المنبر » ، « وادى النيل » و « الأهالى » ، ففرقت بين التظاهر السلمى وأعمـال العنف ، ونصحت الجميع بالهدوء . ولمـا صدر بلاغ السـلطة العسكرية يوم ١١ مارس ، محـاولا استمالة الطلبة بتبرئتهم من أعمال العنف ونسبتها الى « الرعاع » ، عدلت «الوطن» و «المقطم» والصحف الأجنبية الصادرة بمصر ،موقفها من الطلبة تمشيا مع رأى السلطة البريطانية . وبرات كافة الصحف الطلبة من أعمال العنف . وكان الطلبـة يلجـأون الى الصحف لتوضيح موقف او تكذيب نبأ ، فقامت الصحف بدورها كاملا فى هذا المجال .

ولمـا امتدت الأعمال الثورية الى الأقاليم ، سبقت « مصر » سائر الصحف الى نشر اخبارها يوم ١٢ مارس ، تلتها « المقطم » يوم ١٣ مارس ، ثم بقية الصحف . ومع اشتداد الثورة ، بعد اسبوع من اندلاعهـا ، وتصـدى الجيش البريطانى لها وسقوط الشهداء ، طغت اخبارها على صفحات الصحف ، وخصصت لها أبوابا ثابتة . واشتدت الصحف فى حملتها على أعمـال العنف والتخريب ، وعلى سياسة الاحتلال وتصرفات رجاله ، فحذفت الرقابة المواد المعارضة للاحتلال فحسب . وبسبب قيود الرقابة والتقاليد الاجتماعية ، لم تنل المظاهرتان النسائيتان فى يومى ١٦ و ٢٠ مارس ١٩١٩ ، حظهما على صفحات الصحف . وبتأثير الرقابة الصحفيـة ، والارتباطات الاعلانية بين أصحاب كثير من الصحف ، واصحاب المصانع والوكلاء التجـاريين ، لم تتناسب اخبـار مظـاهرات واضرابات العاملين فى الصناعة والتجـارة ، المنشورة فى الصحف ، مع ما حدث فى الواقع .

وكان الجمهور الثائر متيقظا لسياسة كل صحيفة . فلما تعاطفت « الأهرام » مع الثورة ، اتجهت مواكب مظاهرة ١٧ مارس سنة ١٩١٩ الى دارها لتحيتها . واقبل الناس على قراءتها ، فارتفع توزيعها الى خمس وعشرين الف نسخة يوميا ، وهو أكبر رقم وصل اليه توزيع الصحف المصرية . هذا بينما قاطع الوطنيون « المقطم » ، وهاجموا ادارتها ومطبعتها ، وخربوا احدى مزارع أصحابها ، لمعاداتها الأماني الوطنية .

ولما اتسع نطاق الثورة فى أسبوعها الرابع ، بانضمام الموظفين المدنيين وفئات أخرى الى حركة الاضراب عن العمل ، تعاطفت الصحف الوطنية معهم ، فشددت السلطات قبضتها على هذه الصحف . وحذفت كثيرا من مواد « الأفكار » ، « الأهالى » و « وادى النيل » . ومع هذا أعلنت « المنبر » ، « الأفكار » ، « الأهرام » و « مصر » ، مساندتها للجماهير الثائرة . واحتجت على سياسة الاحتلال بالاحتجاب عن الصدور عدة أيام ، خلال الأسبوع الأول من ابريل ١٩١٩ . فحاولت السلطة العسكرية البريطانية ارهابها ، بتعطيل « المنبر » يوم ٢ ابريل و « مصر » فى اليوم التالى . مما تسبب فى وقوع الخلاف بين صاحبى الصحيفتين ورئيسى تحريرهما ، حول سياستهما فى التحرير .

وفى الوقت نفسه ، عملت السلطة البريطانية على تهدئة الحالة ، بالافراج عن الزعماء المنفيين . وتمهيدا لذلك سمحت الرقابة للصحف المصرية بمتابعة أخبارهم ، لأول مرة منذ نفيهم . ونشرت « وادى النيل » حوارا أجراه محمود أبو الفتح مع الجنرال اللنبى ، لاستطلاع نية بريطانيا تجاه الأماني المصرية . وهو أول حديث نجريه صحفى مصرى مع مسئول بريطانى كبير . ولم يقنع

مندوب « وادى النيل » بتوجيه الأسئلة فحسب ، بل عبر عن رأى الساسة الوطنيين . وظهر الحديث يوم ٦ ابريل ١٩١٩ تحت عنوان : « حديثعن مصر مع فخامة الجنرال اللنبى » .

٣ ـ امتداد الثورة :

سعدت الصحف الوطنية بالافراج ، يوم ٧ أبريل ١٩١٩ ، عن الزعماء المنفيين ، كخطوة على طريق تحقيق الآمال الوطنية . وخرجت بعضها « كالأخبار » و « وادى النيل » عن المألوف فى اخراجها ، حتى تبرز أخبار الأفراج على صفحاتها الأولى ، مستخدمة العناوين الكبيرة والرسوم . ورحبت صحيفتا الاحتلال « المقطم » و « الاجبشيان جازيت » أيضا بالافراج عن الزعماء ، لأنه صدر عن بريطانيا التى تخدمان سياستها .

وايدت كل الصحف وزارة حسين رشدى التى ألفها يوم ٩ أبريل ١٩١٩ . وفى نفس اليوم عادت « مصر » للصدور ، بعد توقفها اسبوعا ، ابعدت خلاله ميخائيل بشارة عن رئاستها كطلب السلطات البريطانية ، لأنه خالف تعليمات الرقابة . ولما سافر الوفد من مصر الى فرنسا يوم ١١ أبريل ١٩١٩ ، أحاطته كل الصحف بعبارات التأييد ، وطالبت بالدستور والحكم النيابى وعقد الجمعية التشريعية . وتمسكت الصحف بالوفد ممثلا وحيدا للشعب المصرى . وعارضت فكرة سفر وفد عن الحزب الوطنى وغيره من الجماعات السياسية ، فساهمت فى افشالها . وبسبب العقبات المادية ، لم يتمكن من مرافقة الوفد الا محمود أبو الفتح ، مندوبا عن « وادى النيل » .

وعادت « المنبر » الى الصدور ، يوم ٢٠ ابريل ١٩١٩ بعد توقفها منذ ٢ أبريل ، وتخلى عبد الحميد حمدى عن رئاستها .

وتولاها اسماعيل مظهر من الحزب الوطنى ، ثم تركها لصاحبها فى أواخر يولية ١٩١٩ ، بعد اشتباكه فى معركة صحفية مع « الوطن » المعارضة للحزب الوطنى . واستشعر الصحفيون الأخطار تحيط بهم ، فألفوا نقابتهم فى ابريل ١٩١٩ . وازدادت المنشورات السرية انتشارا ، كبديل للصحف المقيدة ، فهاجمتها « الوطن » . وحاكمت السلطات طابعيها وموزعيها .

وقدم حسين رشدى استقالته ، فى ٢١ أبريل ١٩١٩ . وانهى الموظفون والمحامون والعمال اضرابهم ، تحت تهديد السلطات ، فأيدتهم الصحف خوفا من بطش الرقابة . ولما اعترف الرئيس ولسن بالحماية البريطانية على مصر ، فى أبريل ١٩١٩ ، امتدحته « الوطن » و « البصير » . ومنعت الرقابة الصحف من معارضته . وألف محمد سعيد الوزارة فى ٢١ مايو ١٩١٩ ، فقابلها الشعب بالسخط والتظاهر ، فلجأ الرئيس الى الصحافة لاقناع الشعب بصحة موقفه ، وشرح مهام وزارته فى حديثه لصحيفة « مصر » . وساندته الرقابة بمنع نشر اية مواد تعارض الوزارة والاحتلال . فلما ذكرت صحيفة « السفور » بعض أخطاء السياسة البريطانية ، عطلتها الرقابة من ٢٦ يونية حتى ٢٠ يولية ١٩١٩ ، واعتقلت صاحبها عبد الحميد حمدى ثلاثين ساعة .

وفى مستهل شهر يولية ١٩١٩ ، تحسنت أوضاع الصحف المصرية سياسيا وتحريريا واقتصاديا ، بعد أن ألغيت الرقابة السابقة للنشر فى ٢٨ يونية . وتحمل رؤساء التحرير المسئولية عن صحفهم ، طبقا لقواعد خاصة ، أبقت على الرقابة بشكل مستتر . وتوقف الحذف من مواد الصحف ، فاتسعت دائرة النشاط الصحفى للوفد وسائر القوى السياسية . ولما توفرت كميات الورق ، انخفض ثمنه وألغيت قيود استهلاكه . فضاعفت

الصحف عدد صفحاتهـا أو خفضت ثمن بيعها . فازدادت موادهـا وكثر توزيعها . وفى نفس الوقت ، خـلال شهر يولية ، نجحت مساعى محمد سعيد رئيس الوزراء ، لالغاء المحـاكم العسكرية والافراج عن المعتقلين السياسيين ، وابطال المراقبة على المراسلات بين مصر والخـارج ، فرحبت الصحف بهذه الخطوات التى أحدثت انفراجة فى الموقف المتأزم ، وشجعت القوى السياسية على البحث عن مزيد من الصحف التى تعبر عنها . وخـلال شـهر يوليـة واغسطس ١٩١٩ ، انضـمت ثلاثـة صحف الى الوفـد ، وهى : « مصر » ، « وادى النيل » ، و « النظام » التى اشترى سيد على امتيازها وأعاد اصدارها فى ٢٩ يولية . وصـارت أكثر الصحف مؤيدة للوفد ـ بصفته التجمع الوطنى الممثل للشعب ـ دون أن يمتلك اية صحيفة منها . اما الحزب الوطنى ، فظلت « الأفكار » تعبر عنه ، مع انتقـال رئاسـتها من سـيد على الى عبد اللطيف وعبد العزيز الصوفانى .

ولمـا امـستمر اضراب الطلبـة ، هددتهم السلطات بأشـد العقوبات . وهاجمتهم « الوطن » ، بينما نصحتهم بقية الصحف بالعودة الى مدارسهم ، حرصـا على مستقبلهم . وعندما وقعت محاولة اغتيال محمد سعيد المناوىء للوفد ورئيسه فى سبتمبر سنة ١٩١٩ ، أدانتهـا « الأهرام » ، « الأهـالى » ، « الوطن » ، « المقطم » ، «البصير » و « اللطائف المصورة » . وامتدحت رئيس الوزراء وسياسته . اما صحيفتا الوفد : « مصر » و « النظام » ، فقد أدانتا العنف وعارضتا السياسة البريطانية التى أدت اليه .

ولمـا هدأت الحالة نسبيا ، أخذت الصحف المصرية ـ تحت وطأة الرقـابة التحفظية ـ تنقل مناقشـات البرلمـان والصحف البريطانية حول أسباب الثورة ، ملتمسـة الأمـان فى نسبتها الى

المصادر البريطانية . وبعد الغاء الرقابة التحفظية ، عبرت الصحف عن آرائها الذاتية .

٤ ـ كفاح الوفد فى الخارج :

واعتمد كفاح الوفد المصرى بالخارج ، على وسائل الاعلام ، وأبرزها الصحافة ، بجانب استخدام كافة أساليب السياسة ، مما دعاه الى تخصيص لجنتين من لجانه الثلاث للنشر والحفلات ، وانشاء مكتب للاعلام بلندن ، وارسال أحد أعضائه الى أمريكا ، وتجنيد أحد كبار محاميها . وعنى رئيس الوفد وأعضاؤه بنشر حقائق المسألة المصرية ، وتفنيد مزاعم خصومها . ولجأ الى وسائل الاقناع والاستمالة والدعم المادى ، لكسب الصحف ورجال الرأى والصحافة والسياسة فى أوربا وأمريكا ، الى جانب المطالب المصرية . وتمكن الوفد والجمعيات المصرية من التأثير فى الرأى العام الأوربى والأمريكى ، رغم وقوف بريطانيا بامكاناتها المتعددة ، ضد الأمانى والمساعى المصرية .

وتابعت الصحف المصرية نشاط الوفد فى الخارج ، ونقلت الى المصريين خطبه وأقواله وكتاباته ، معتمدة على وكالات الأنباء والصحف الأجنبية والمراسلين الخاصين : محمود أبو الفتح ، مبعوث « وادى النيل » ، ومجد الدين حفنى ناصف وعبد الرحمن البيلى ، مكاتبى « مصر » . وشارك الثلاثة فى الأنشطة الاعلامية والسياسية للوفد وتجمعات المصريين فى أوربا . كما وضع الصحفى المصرى قرياقص ميخائيل ، صاحب مكتب « الأخبار والاستعلامات » و « النشرة المصرية » بلندن ، كافة امكاناته الاعلامية والسياسية فى خدمة الوفد والقضية المصرية . ولما طردته الحكومة البريطانية ، بسبب فضحه جرائم جيشها فى مصر ، استقبله الوفد والشعب المصرى بمظاهر التقدير والتكريم .

وقد صدم الوفد باعتراف أمريكا ومؤتمر الصلح بالحماية البريطانية على مصر ، فأخذت الصحف الوطنية تخفف من وقع الصدمتين عليه ، وتشجعه على المضى فى سبيل تحقيق أهدافه ، متمسكة بدولية المسألة المصرية . اما الصحف المتعاونة مع الاحتلال تتقدمها « الوطن » ، فاستثمرت الموقف لاشاعة اليأس ، والحث على حصر القضية بين بريطانيا ومصر .

ولما وقع الخلاف بين رئيس وأعضاء الوفد والجمعية المصرية بباريس ، حول دولية المسألة المصرية ، والسياسة الاعلامية لسعد زغلول والوفد ، وعاد بعض الأعضاء الى مصر مستقيلين أو مفصولين ، وقفت الصحف الوطنية تتقدمها صحف الوفد : « مصر » ، « النظام » و « وادى النيل » ، الى جانب الوفد والاستقلال التام وفضح الجرائم البريطانية . بينما ايدت « الوطن » و « الأهالى » الأعضاء المنشقين . وآثرت « المقطم » و « الأهرام » الوقوف على الحياد . وفى ظل هذا الخلاف ، حجب سعد زغلول ثقته عن محمود أبو الفتح ومجد الدين حفنى ناصف ، مما عرضهما لكثير من النقد والمشكلات .

٥ ــ لجنة ملنر فى مصر :

تابعت الصحف المصرية ، وفى مقدمتها « الأهرام » ، « المقطم » ، « مصر » و « الأخبار » ، فكرة تأليف لجنة ملنر منذ نشأتها فى أبريل ١٩١٩ ، على صفحات الصحف البريطانية خاصة « التيمس » وفى مناقشات البرلمان البريطانى . وتنوعت الآراء حول اللجنة . فرأت « الأخبار » المؤيدة للثورة و « الوطن » المعارضة لها ، ضرورة الكشف للجنة عن مطالب مصر ومظالمها . واستحسنت « الأهالى » طلب محمد سعيد تأجيل حضور اللجنة الى مصر ، حتى توقيع معاهدة الصلح مع تركيا . بينما حاولت

« مصر » و « النظام » المؤيدتان للثورة ، الافادة من اللجنة فى الغاء الأحكام العرفية قبل قدومها . وفى آخر يولية ١٩١٩ ، استقر رأى الوفد على اقتراح عبد الرحمن فهمى مقاطعة اللجنة . وتصدرت « النظام » منذ اغسطس ١٩١٩ ، كافة الصحف المؤيدة للثورة ومنها « الأخبار » و « الأهرام » ، فى نشر الدعوة لمقاطعة اللجنة فى مصر ، واحالتها الى زعامة الوفد فى باريس .

وبعد اعلان تاليف اللجنة ، وبدء توزيع أسئلتها ، فى سبتمبر ١٩١٩ ، حاربت « الأهرام » ، « النظام » ، « مصر » ، « وادى النيل » « الأفكار » ، و « الأمة » ، الاجابة عن أسئلة اللجنة . وصدرت عدة نشرات سرية تعارض بريطانيا ولجنتها ، فقاومت السلطات هذه النشرات باعتقال ونفى معديها وموزعيها ؛ وبالكتابة ضدها فى « الوطن » والنشرات المضادة .

وفى اثناء المعركة الصحفية حول لجنة ملنر ، نشط الحزب الديمقراطى المصرى المؤيد للوفد والمعارض للجنة . فعضدته « المحروسة » و « المنبر » ، وعارضته « الأمة » ، والتزمت « الأهرام » الحياد . وفى نوفمبر ١٩١٩ تألف « الحب المستقل الحر » ، منبثقا من « نادى الأعيان » . وهو مساير للسياسة البريطانية ، متعاون مع لجنتها ، واتخذ من « المنبر » لسانا لحاله . وساندته « البصير » ، « الوطن » و « المقطم » . وعارضته « وادى النيل » ، « الأهرام » ، « النظام » ، « مصر » ، « الأهالى » ، « الأخبار » ، « الأمة » و « اللطائف المصورة » . ولم تتم سنة ١٩١٩ ، حتى كانت الصحف الوطنية ولجنة الوفد المركزية قد جعلت مهمته مستحيلة .

والحت الصحف المعارضة للجنة ملنر على رئيس الوزراء ليعلن مقاطعته اللجنة أو الاستقالة ، واشتد الالحاح بمقالات

سيثوث حنا « الوطنية ديننا والاستقلال حياتنا » على صفحات « مصر » ، فأعلن محمد سعيد عزمه على الاستقالة اذا حضرت اللجنة . وفى أواخر أكتوبر ١٩١٩ ، اندلعت المظاهرات تهتف بالاستقلال وسقوط اللجنة ، وتصدى لها البوليس فسقط الجرحى والشهداء ، وهاجمتها « الوطن » ، بينما استثمرتها « الأفكار » ، « النظام » ، « الأهالى » ، « الأمة » ، « الأهرام » ، « وادى النيل » ، « مصر » ، و « اللطائف المصورة » ، لفضح السياسة البريطانية . واعتقل البوليس محمد على حسن ، مكاتب « الأفكار » بالاسكندرية ، واتهمه بالتحريض على اندلاع المظاهرات . وصار واضحا نجاح الصحف الوطنية ولجان الوفد فى قيادة حركة مقاطعة اللجنة . وازداد انتشار الصحف الوطنية ، وأخذت تظهر فى أيام اجازاتها ، وتصدر الملاحق ، لتستطيع تغطية الأحداث المتلاحقة ، مما لفت انتباه الحكومة البريطانية ، فأخذت تدرس اتجاهات وملكية وتوزيع الصحف المصرية .

وقد أفلحت الصحافة الوطنية فى جعل ذكرى مقابلة ١٣ نوفمبر سنة ١٩١٨ عيدا وطنيا . وتمكنت من تفنيد البلاغ الرسمى البريطانى بقرب قدوم لجنة ملنر الى مصر . وباركت استقالة محمد سعيد يوم ١٥ نوفمبر ١٩١٩ ، التى طالما طالبته بها . وعند وفاة محمد فريد ، أشادت « المحروسة » و « النظام » وغيرهما ، بكفاحه الطويل ضد الاحتلال . وأخذت السلطات البريطانية تشدد قبضتها على الصحافة ، فآثرت « السفور » السلامة ، واتجهت كلية الى الأدب من ١٣ نوفمبر ، بينما شددت « الأفكار » و « المحروسة » حملتهما على الاحتلال ، فعطلتهما السلطة العسكرية يوم ١٨ نوفمبر ١٩١٩ ، الى أجل غير مسمى . وكانت « الأفكار » برئاسة عبد اللطيف وعبد العزيز الصوفانى ، تعبر

عن الحزب الوطنى . أما « المحروســة » فكانت برئاسة محمود عزمى ، تؤيد الوفد والحزب الديمقراطى المصرى وتعارض الاحتلال. ومهدت « الوطن » لاستخدام الشدة مع قادة لجنة الوفد المركزية، باتهامهم بتحريض الجماهير ضد الاحتــلال ، فاعتقلت الســلطة العسكرية محمود سليمان وابراهيم سعيد وغيرهما . ووضعت عبد الرحمن فهمى تحت المراقبة . ولمــا ألف يوسف وهبه الوزارة يوم ٢١ نوفمبر ، وأعلن كيرزون سياســة الحكومة البريطانيــة تجاه مصر ولجنة ملنر يوم ٢٥ نوفمبر ، عارضتهما أكثر الصحف الوطنية تتصدرها « مصر » ، وأيدتهما بعض الصحف المســايرة للسياسة البريطانيــة تتقدمها « الوطن » . واستعداذا لاستقبال اللجنة فى مصر ، هددت السلطة العسكرية الصحف بالاغــلاق اذا لم تعتدل فى لهجتها ، ولكن صحيفة « مصر » وخاصــة مقالات « الوطنية ديننا » ، شـــددت هجومها على الاحتــلال والوزارة واللجنة ، فأمرت السلطة العسكرية يوم ٢ ديسمبر ، بتعطيل « زعيمة الصحف الزغلولية » ، وتحديد اقامة سينوت حنــا فى قريته « الفشن » . كما اعتقلت السلطة كتابا وطنيين آخرين .

واستجابة لرغبة لجنة ملنر ، استقبلتها السلطة العسكرية بقدر من الانفراجة الصحفية . ففى يوم وصولها ــ ٧ ديســمبر سنة ١٩١٩ ــ صرحت « للمحروسة » بالصدور برئاسة محمود عزمى ، كما كانت عند تعطيلها فى ١٩ نوفمبر . وفى اليوم التالى صــدرت « الأفــكار » المعطلة منذ ١٩ نوفمبر ، بعد أن قطعت علاقتها بالحزب الوطنى ، وتولاها محمود أبو الفتح على مبادىء الوفد . وعارضت « الأخبــار » ، « الأهرام » ، « الأهــالى » و « النظام » ، مهمة اللجنة وأسئلتها ، وفضحت كل من تعامل معها . وساندت جهود الوفد والحزب الوطنى والحزب الديمقراطى ضدها . أما « الوطن » ، و « المنبر » لســان حــال « الحزب

المستقل الحر » ، فعضدتا اللجنة . ولكن الحزب أنهار أمام المعارضة الوطنية ، وانفصلت « المنبر » عنه فى ٦ ابريل ١٩٢١ .

وفى ذكرى اعلان الحماية ، احتجبت صحف كثيرة احتجاجا على الحماية واللجنة . فانذرتها ادارة المطبوعات وفرضت عليها قيودا شديدة . واحتجت اكثر الصحف ـ عدا « الوطن » ـ على تقييد الصحافة . ولما وصل قرياقص ميخائيل صاحب « النشرة المصرية » الى القاهرة يوم ٢٩ ديسمبر ١٩١٩ ، بعد طرده من بريطانيا لفضحه سلوك جيش الاحتلال بمصر ، احتفى به الوفد والصحف الوطنية ، بينما سخرت منه « الكشكول » المعادية للوفد . ومع بروز دور « المعتدلين » وبدء التقارب بين الوفد ولجنة ملنر ، باركت « المقطم » ، « الوطن » ، « الأمة » و « الأهرام » جهودهم ، بينما كرست « الأخبار » و « النظام » صفحاتهما لمعارضة اللجنة . واصدرت اللجنة فى ٢٩ ديسمبر بيانا تتقرب به للرأى العام المصرى ، وأطلقت السلطة العسكرية سراح المعتقلين، وصرحت « لمصر » المعطلة منذ ٢ ديسمبر ١٩١٩ ، بالعودة للصدور ، فاستأنفت الاعتراض على الحماية واللجنة وتقييد الصحافة . وأبلغ الوفد لجنة ملنر بأن طريق التفاوض بينهما يجب أن يبدأ باطلاق الحريات خاصة حرية الصحافة ، بعد الاعتراف بالاستقلال التام أساسا للمفاوضات . وايدت « الأهرام » و « الوطن » شروط سعد للتفاوض .

وتعرضت الصحافة المصرية خلال يناير وفبراير ١٩٢٠ ، الى مشكلتين : الأولى ، اقتصادية تمثلت فى قلة كمية الورق وارتفاع ثمنه . والثانية سياسية عبرت عنها المعركة التى اندلعت بين صحف التكتل المعادى للوفد ، الذى يقوده عمر طوسون ومحمد سعيد ، وهى : « الأهالى » ، « الوطن » ، « المنبر » ،

و « الكشـــكول » ، وبين الصحف المؤيدة للوفـــد : « مصر » ، « النظام » ، « الأفكار » و « الأهرام » . وفى أثناء هذه المعركة ، نجح الحزب الوطنى فى انتزاع « المحروسة » من الحزب الديمقراطى المصرى ، واستأجرها عبد العزيز الصوفانى من الياس زيادة من منتصف فبراير ١٩٢٠ الى منتصف فبراير ١٩٢١ . كما استأجر الحزب صحيفة « الأمة » ، وتولاها محمد مصطفى الهيهاوى من ٢٨ فبراير ١٩٢٠ . بينما سيطر الوفد على « الأخبار » التى كان يصدرها يوسف الخازن منذ ١٨٩٦ ، عندما اشتراها أمين الرافعى عضو اللجنة المركزية للوفد ، وأصـــدرها من ٢٢ فبراير ١٩٢٠ ، لتعبر عن الوفد بصفة غير رسمية .

واستأنف سينوت حنا كتابة مقالاته على صفحات « الأفكار » من ٣ فبراير ١٩٢٠ ، واستمر فى معارضـــة وزارة يوسف وهبه ، فعطلت السلطة العسكرية « الأفكار » أسبوعا من ٢٢ فبراير . وفى نفس اليوم عطلت السلطة « مصر » لأنها فضحت تصرفـــات الجيش البريطـــانى ، وعارضت موافقـــة الحكومة المصريـــة على مشروعات رى السودان . وكان يرأسها حسن الشريف منذ عودتها يوم ٣٠ ديسمبر ١٩١٩ . وعادت « الأفـــكار » للصـــدور يـــوم ٢٩ فبراير ، وعلى صدرها مقال شديد اللهجة لمحمود أبو الفتح ، فعطلتها السلطة فورا ، وترك أبو الفتح عمله فيها .

وأعيد فرض الرقابة التحفظية على الصحافـــة ابتـــداء من ٦ مارس ١٩٢٠ ، وكانت ملغاة منذ ٢٨ يونية ١٩١٩ . فاحتجت أكثر الصحف على فرض الرقابة شفهيـــا وكتابـــة ، وأضربت عن الصدور ثلاثة أيام . واندلعت المظاهرات احتجاجا على الرقـــابة ومشروعات الســـودان . وكثرت المساحات المحذوفـــة من مواد الصحف فانتشرت النشرات السرية . ومع فرض الرقابة انتهت

مهمة لجنة ملنر فى مصر ، وغادرتها ، بعد نجاح الصحافة الوطنية فى قيادة حركة مقاطعتها شعبيا ، ولكنها تمكنت من جمع البيانات ومقابلة بعض رجال السياسة وقادة الرأى .

وكان للصحف الوطنية دور واضح فى عقد الجمعية التشريعية يوم ٩ مارس ١٩٢٠ ، وتأسيس بنك مصر فى أبريل ١٩٢٠ ، كخطوة على طريق الاستقلال الاقتصادى .

٦ ـ مفاوضات سعد ـ ملنر :

اتجهت بريطانيا ومصر الى التفاوض ، بعد مقاطعة لجنة ملنر فى مصر ، وتمكن بريطانيا من حصر القضية بينها وبين مصر . ورأت « الوطن » فى هذا التطور نجاحا لسياستها . وسافر محمود عزمى مع عدلى يكن الى باريس فى أبريل ١٩٢٠ ، ليراسل « الأهرام » بأنباء الوفد ، ويقدم الكثير من الخدمات الاعلامية لعدلى والوفد . وأيدت أكثر الصحف الوفد : فصحف الوفد والحزب الوطنى ساندته لتمسكه بالاستقلال التام ، بينما عضدته صحف الاحتلال لاتجاهه الى التفاوض مع بريطانيا . وتدريجيا ، تمكنت صحف الوفد من تحويل الرأى العام المصرى الى قبول حصر قضيته بين مصر وبريطانيا ، وترك الحرية للوفد لاختيار وسائله فى العمل . وعضدت الصحف المصرية مساعى الوفد لتهيئة الرأى العام البريطانى للتعاطف مع المطالب المصرية فى المفاوضات .

ونتيجة لسعى أصحاب الصحف المعطلة ، عادت « الأفكار » للصدور فى ٢١ أبريل ١٩٢٠ ، برئاسة محمد فرحات ، ثم تولاها محمود عزمى من ١٦ أكتوبر ١٩٢٠ . وظهرت « مصر » من يوم ٢٤ مايو ١٩٢٠ ، بدعم سياسى ومادى من الوفد .

وازدادت حوادث العنف السياسى ضد البريطانيين والمصريين المتعاونين معهم ، فاستنكرتها كافة الصحف ، احتراما للقانون وتنفيذا للمبادىء المعلنة للجبهات والأحزاب السياسية • وقدم يوسف وهبه استقالته رضوخا لطلب الصحافة الوطنية ، يوم ١٩ مايو ١٩٢٠ . وخلفه محمد توفيق نسيم ، الذى حاول تحاشي معارضة الصحافة له بالتقرب اليها بالوعود وبعض الخدمات ، دون فائدة .

ثم انقسمت الصحف تجاه مبدأ التفاوض بين مصر وبريطانيا الى ثلاثة فرقاء : الأول ، مؤيد ويضم صحف الاحتلال ومنها « الوطن » و « المقطم » ، وصحف الوفد تتقدمها « النظام » و « وادى النيل » . والفريق الثانى معارض ، ويتألف من صحيفتى الحزب الوطنى « المحروسة » و « الأمة » . أما الفريق الثالث فكان معارضا ثم صار مؤيدا ، ويضم « الأهالى » المعبرة عن محمد سعيد ، و « الأخبار » المؤيدة للوفد والمتمسكة بمبادىء الحزب الوطنى . وشغلت مواقف الصحف المصرية والبريطانية ، جلسة المباحثات التمهيدية بين سعد وملنر يوم ٧ يونية ١٩٢٠ ، فدافع كل منهما عن صحافة بلده وهاجم صحافة بلد الآخر . وتابعت الصحف المصرية ، على اختلاف اتجاهاتها أنباء المفاوضات، مع تأييد واضح للوفد . ولكن « المقطم » أفسحت صفحاتها ، للأنباء المساندة للوفد والمعارضة له أيضا . فتعرضت للشك والمعارضة من أكثر الصحف الوطنية والقراء .

واستخدمت السلطات العنف ضد الصحافة المعارضة وقادة العمل الوطنى . فعطلت « الأهالى » أسبوعا ، من ٢٣ يونية ١٩٢٠ . وفى أول يولية ألقى القبض على عبد الرحمن فهمى وتسعة وعشرين شخصا ، بينهم عبد الحليم الغمراوى

المحرر « بالنظــام » وقرياقص ميخائيل . وفى أثنــاء محاكمتهم عطلت « النظام » خمسة أيام من ١٥ أغسطس ١٩٢٠ ، واعتقل صحفيون آخرون . واتضح أن لجندى ابراهيم صاحب « الوطن »، موقفا معاديا لعبد الرحمن فهمى فى القضية . وانتهت المحاكمــة فى ١٥ أكتوبر ١٩٢٠ ، الى ادانة عبد الرحمن فهمى وبعض المتهمين، وتبرئة الصحفيين المتهمين .

وقد عنيت الصحف المصرية الكبرى ، بالتعرف على آراء كبار رجال السياسة والحكم فى مشروع ملنر واستشارة الأمة فيه . وكان اختيار الصحيفة لمحدثها ، ينم عن اتجاه الصحيفة . فأجرت « الأهرام » حديثين مع سعد زغلول وحسين رشدى فى أغسطس سنة ١٩٢٠ ، يفيدان التحفظ تجاه المشروع ، وضرورة استشارة الأمة فيه . بينما يوضح حديث اسماعيل سرى مع « المقطم » فى سبتمبر تحبيــذ الوفــد للمشروع . وأثنــاء استشارة مندوبى الوفــد للأمــة فى المشروع ، أفســحت أكثر الصــحف صفحاتهــا لنشر الآراء المتباينـــة ، واعلنت كل صحيفــة رأيهــا الذاتى بوضــوح وعززتــه بالدلائــل والوقــائع . فانقســمت الصحف الى ثلاثة أقسام : الأول ، يؤيد المشروع تأييدا كاملا ، ويضــم « الوطن » ، « المقطم » ، « مصر » و « البصير » . والقســم الثانى ، يمثل الاتجــاه السائد ، الذى يوافق على المشروع بعد تعديله بتحفظات الأمة ، ويتالف من « الأهرام » ، « النظــام » « الأخبار » ، « وادى النيل » و « الأفكار » . أما القسم الثالث ، فهو يرفض المشروع رفضا تاما ، ويضم « الأمة » و « المحروسة » المثلتين للحزب الوطنى ، و « الأهالى » المعبرة عن محمد سعيد ، و « المنبر » لسان حال « الحزب المستقل الحر » . وتطور اخراج بعض الصحف لابراز أنباء استشارة الأمة ، فخرجت « الأخبار » يوم ١١ سبتمبر ١٩٢٠ ، عن المــألوف فى اخراجها ، لتنشر عنوانا

من حروف كبيرة يشغل عرض الصفحة كلها ، يقول : « الاستنارة برأى الأمة فى مشروع الاتفاق : بلاغ من مندوبى الوفد الى الأمة المصرية » . ولم يلتزم مندوبو الوفد لاستشارة الأمة بالحياد تجاه المشروع كطلب سعد زغلول ، بل مالوا الى تحبيذه ، ولكن أكثر الصحف المصرية ، كشفت عيوب المشروع ، وجعلت الرأى السائد هو قبول المشروع بعد تعديله بعدة تحفظات أولها الغاء الحماية وكل نص يقيد استقلال مصر . واشترك الصحفيون فى توديع مندوبى الوفد عند عودتهم فى أول أكتوبر ١٩٢٠ الى أوربا . وسافر معهم من الاسكندرية أحمد نجيب مندوبا عن « الأخبار » ، لمتابعة المفاوضات فى باريس ولندن .

ونتج عن تحبيذ أكثر الصحف ــ بما فيها صحف الوفد ــ لمشروع ملنر بعد تعديله بالتحفظات ، ورفض صحف الحزب الوطنى والحزب المستقل الحر ومحمد سعيد ، للمشروع رفضا تاما ، نشوب معركة بين الطرفين وصلت من الشدة الى حد أن طالبت « الأهالى » الأمة بسحب ثقتها من الوفد ، واتهمت صحيفتا الحزب الوطنى : « الأمة » و « المحروسة » أمين الرافعى بخيانة مبادىء الحزب ، وفكر بعض اقطابه فى اصدار صحيفة كبرى لمقاومة « الأخبار » .

وفى هذه الفترة ، وقعت عدة تغيرات فى عالم الصحافة ، فقد صدر الحكم يوم ٥ سبتمبر ١٩٢٠ ، بسجن راغب حسن صاحب صحيفة « الواعظ » ، ومحمد سعد صاحب مطبعة « الواعظ » لنشرهما « أوراقا ثورية مهيجة » . وترك محمد فرحات رئاسة « الأفكار » يوم ٣ أكتوبر ، ليتولاها محمود عزمى من ١٦ أكتوبر ١٩٢٠ الى ١١ مارس ١٩٢١ ، فتعبر عن الحزب الديمقراطى المصرى وتؤيد الوفد وتناوىء الحزب الوطنى ، ثم

تؤيد عدلى يكن . وفى نوفمبر ١٩٢٠ ، تحولت « مصر » عن سياستها المؤيدة تماما للوفد ، وأخذت تنشر بعض المواد المعارضة له ، مع استمرار امتلاك ورئاسة تادرس المنقبادى وحسن الشريف لها .

ولما وقع الخلاف بين سعد زغلول وعدلى يكن ، انقسم أعضاء الوفد بينهما ، وتمسك فريق سعد بتحفظات الأمة وتعديل مشروع ملنر ، بينما رأى فريق عدلى امكان قبول المشروع دونها . وقدم الوفد تحفظات الأمة الى ملنر ، وانتهت المفاوضات يوم ٩ نوفمبر سنة ١٩٢٠ . وصاحب الانقسام بين سعد وعدلى ، مناقشة حامية بين الصحف ، تبلورت فى عدة اتجاهات : الأول ، تبنته « النظام » و « البصير » ، ويقوم على تأييد الوفد بجناحيه وتكتم الخلاف بينهما وتحبيذ التحفظات . والثانى ، تمثله « الأخبار » المؤيدة لسعد والتحفظات ، دون مهاجمة جناح عدلى . والثالث ، تزعمته « الوطن » و « الأفكار » ، اللتان أيدتا عدلى بشدة وعارضتا سعدا . والرابع ، تمثله « الأهرام » ، « المقطم » ، و « مصر » ، التى وقفت على الحياد ثم أخذت جانب عدلى . والخامس ، مذبذب ، وتمثله « المنبر » التى رفضت مشروع ملنر ، ثم انحازت الى عدلى ، وظلت معارضة للوفد . أما الاتجاه السادس ، فهو المناوىء لسعد وعدلى ، الرافض لمشروع ملنر ، المعارض للمفاوضات والمحبذ لقطعها ، وتمثله صحيفتا الحزب الوطنى : « الأمة » و « المحروسة » ، وصحيفة محمد سعيد « الأهالى » .

وفى يناير ١٩٢١ ، صرح سعد لأحمد نجيب مندوب «الأخبار» ولمندوب « الديلى هرالد » ، بأنه لا يحتم الغاء الحماية قبل التفاوض ، وانه يقبل التفاوض « متى أعطى لنا تأكيد بذلك » . وكان يهدف بقوله هذا الى التقارب بين الوفد واللجنة واستئناف

المفاوضة ، ولكنه اثار مناقشة حامية بين الصحف ، أيدته فيها « الأهرام » ، « النظام » و « الأفكار » . وعارضته « الأهالى »، و « الأمة » . ولم يرتح أمين الرافعى لاتجاه سعد ، وبدأ يتحول من التأييد الكامل له الى الحياد تجاه خطواته ، مع استمراره فى الدعوة الى الالتفاف حول الوفد . واندلعت بعض المظاهرات بالقاهرة والاسكندرية تنادى بسقوط الوفد و « الأفكار » و « الأخبار » ، بينما تظاهر البعض ضد « الأهالى » و « الأمة ». فبادر سعد الى الحديث لمراسلى « الأهرام » و « الأخبار » ، مؤكدا تمسكه بالغاء الحماية وبقية التحفظات ، فهدأت الحالة فى مصر .

ولكن الخلاف تصاعد بين سعد وأعضاء الوفد المعتدلين ، حول تشدده وادلائه بالأحاديث للصحف دون علمهم ، الى حد عودة محمد محمود ، حمد الباسل ، عبد العزيز فهمى ، أحمد لطفى السيد ومحمد على الى مصر ، وسبقتهم اليها برقية سعد ، التى نشرتها « الأخبار » قبل وصولهم بيوم ، والتى يحارب فيها « الفكرة التى نبتت » فى نفوسهم ، بأن الوفد يتمسك بخطته ، ولكنه لا يمنع الغير من التفاوض على خلافها .. مما اضطرهم الى اعلان ثقتهم فى سعد وتمسكهم بتحفظات الأمة . ولكن الانقسام استمر . واختلفت أساليب الصحف تجاهه . فأخذت « النظام »، « مصر » ، « الأفكار » و « البصير » تتحدث عن تماسك الوفد ، معتمدة على بيانات الأعضاء العائدين . بينما تابعت « المقطم » ، « الوطن » ، « المنبر » ، « الكشكول » و « الأهرام » أسباب الخلاف وتطوره ، ودعت الى الاتحاد والتعاون . أما « الأمة » ، « المحروسة » و « الأهالى » ، فانتهزت فرصة الانقسام للطعن فى سعد والمطالبة بسحب توكيل الأمة من الوفد .

ولما نشر تقرير لجنة ملنر ، فى ۲۰ فبراير ۱۹۲۱ ، وانتهى الى أن تعترف بريطانيا باستقلال مصر مقيدا بضمانات للمصالح البريطانية ، انقسمت الصحف تجاهه الى فريقين : الأول ، وافق على كافة بنوده ، وضم « المقطم » و « الوطن » . والثانى ، ناقشه وفنده ، وتألف من صحف الأحزاب الأربعة ، بجانب « الأهالى » و « الأهرام » .

ونظرا لكثرة التطورات السياسية ، وشغف الناس بمعرفة أخبارها ، دخلت الصحف المصرية فى منافسة شديدة بينها لتحقيق السبق الصحفى وسعة الانتشار . ولكن الرقابة وقفت بالمرصاد لكل ما يخالف أوامرها ، فحذفت الكثير من المواد الصحفية ، مما دعا بعض أعضاء مجلس العموم الى التساؤل عن الغرض من الرقابة وتكاليفها .

وفى منتصف فبراير ۱۹۲۱ ، فقد الحزب الوطنى « المحروسة » ، بعد انتهاء تعاقد عبد العزيز عبد اللطيف الصوفانى على ادارتها ، وتولى عبد الحميد حمدى صاحب « السفور » رئاستها . ولكنه اختلف مع صاحبها الياس زيادة ، فتركها يوم ٥ مارس ۱۹۲۱ .

۷ ـ مفاوضات عدلى ـ كيرزون :

وفى ٤ و ٥ مارس ۱۹۲۱ ، نشرت كافة الصحف تبليغ الحكومة البريطانية للسلطان ، بأن الحماية صارت علاقة غير مرضية ، وبأنها ترغب فى تبادل الآراء مع وفد رسمى يعينه السلطان . ورحبت الصحف المصرية بالتبليغ البريطانى بدرجات متفاوتة . وتقاربت آراء « الأفكار » و « الأخبار » ، بينما نشب الجدل بين « النظام » و « الأهرام » . وحرصا من الرقابة على

نجاح الاتجاه الى المفاوضات الرسمية ، منعت نشر قول سعد أن الوفد لن يعضد التفاوض على أساس مشروع ملنر ما لم يعدل بالتحفظات . وازداد التعاون بين الوفد و « الديلى هيرالد » البريطانية العمالية . وتولى محمود عزمي رئاسة « مصر » ، ابتداء من ٢٨ مارس ١٩٢١ ، بدلا من حسن الشريف ، الذى كان يراسها منذ ١٠ يناير ١٩٢٠ .

ولما استقال محمد توفيق نسيم ، ألف عدلى يكن « وزارة الثقة » يوم ١٧ مارس ١٩٢١ ، ودعا الوفد للاشتراك معه فى المفاوضات ، ووعد بتحضير مشروع الدستور ، وانتخاب الجمعية الوطنية ، والغاء الأحكام العسكرية والرقابة الصحفية . وأشادت صحف كثيرة منها « المقطم » و « المحروسة » بمواقف عدلى . وبلور سعد شروطه للاشتراك فى المفاوضات فى أن تلغى الأحكام العرفية والرقابة الصحفية ، وأن يترأس هو الجانب المصرى ، وأن تكون الأغلبية فيه للوفد . ولكن الرقابة منعت نشر شروط سعد . ولما عاد الوفد الى الوطن يوم ٤ أبريل ١٩٢١ ، رحبت به كافة الصحف المؤيدة والمعارضة له . وعمدت الرقابة الى السماح للصحف المصرية بنقل أقوال الصحف البريطانية المعادية للأمانى المصرية ، بينما منعت ترجمة كتابات الصحف البريطانية المؤيدة للقضية المصرية .

واستقلت « المنبر » عن « الحزب المستقل الحر » ، عندما ترك محمد ابراهيم هلال رئاستها يوم ٦ أبريل ١٩٢١ ، وتولاها صاحبها جورج طنوس ، الذى اتجه بها الى تعضيد الحزب الديمقراطى المصرى ، ثم عدلى يكن ووزارته .

وبدأت الاتصالات بين الوفد والوزارة ، وسط سيل من الكتابات الصحفية الداعية الى اتحاد الصفوف . وأدت أقوال

سعد الى زيادة تقاربه مع عبد القادر حمزة صاحب « الأهالى » ، بعد وضوح عدم رضا سعد عن مشروع ملنر . ولكنها أحدثت خلافا بين سعد وأمين الرافعى ، بسبب عدم تمسك سعد باعلان بريطانيا قبول التحفظات قبل بدء المفاوضات . واندلعت معركة بين « النظام » و « الأخبار » ، واشتدت الى حد استخدام الوفد وسائل العنف ضد الرافعى وصحيفته .

ثم اختلف سعد مع عدلى حول شروط الوفد للاشتراك فى المفاوضات ، وصار الخلاف علنيا بعد الحديث الذى أدلى به سعد لداود بركات ، ونشرته « الأهرام » فى ٢٣ أبريل ١٩٢١ ، وأعلن فيه خلافه مع الوزارة . ونشرت « الأهرام » رد عدلى فى حديثها معه فى ٢٥ أبريل . وانقسم أعضاء الوفد بين سعد المتمسك بشروطه ، وعدلى غير الموافق على أكثرها . وتعددت بيانات الطرفين على صفحات الصحف ، التى انقسمت الى ثلاثة أقسام : الأول ، يؤيد سعدا وتتزعمه « النظام » و « مصر » . والثانى ، يؤيد سعدا وتتزعمه « الوطن » و « المنبر » . أما القسم الثالث ، فآثر الحياد رغبة فى التأليف بين الطرفين ، كما فعلت « الأهرام » ، أو رفضا لأساس المفاوضات ، كما قالت « الأخبار » ، أو أملا فى اقناع الحكومة البريطانية بتعديل أساس المفاوضات ، الذى نادت به « الأهالى » . ولما اندلعت المظاهرات ضد عدلى وأعضاء الوفد المنشقين ، واصطدمت بالبوليس ، أدانت كافة الصحف العنف من الجانبين ، واستشعرت الخطر من استمرار الانقسام ، فدعت الى نبذ الخلاف ، ونادى بعضها بتأليف « الجمعية الوطنية » .

واستجابة لطلب الصحافة ، أذنت الحكومة البريطانية لفرياقص ميخائيل بالعودة الى لندن فى مايو ١٩٢١ . وعادت

« المحروسة » الى الظهور ، يوم ٥ مايو برئاسة يوسف كمال حتاته ، مؤيدة للوفد ، داعية للائتلاف . وتدخلت الرقابة كثيرا فى موادها بالحذف ، فحدث خلاف بين رئيسها وصاحبها ، فتركها الأول فى مستهل يولية ١٩٢١ ،واتجهت الى الاعتدال . وأصدر محمود عزمى صحيفة « الاستقلال » فى ١٣ مايو ١٩٢١ ، لسانا لحال عدلى يكن ووزارته . وترك رئاسة « مصر » فتولاها طه حسين . واسترد الحزب الوطنى صحيفة « الأفكار » ، عندما عادت للصدور من ١٤ مايو ١٩٢١ ، برئاسة عبد العزيز عبد اللطيف الصوفانى ، الذى كسب قضيتها .

وتعقبت وزارة عدلى يكن خطب وبيانات الوفد بالمنع والحذف ، مما زعزع ثقة الناس فيما أعلنته من أهداف ديمقراطية . ودفع الصحف الى الالحاح لالغاء الرقابة على الصحافة . وهو ما حدث يوم ١٥ مايو ١٩٢١ . وأبدت الصحف المعارضة للوزارة عدم ارتياحها لالغاء الرقابة السابقة للنشر ، بسبب بقاء الأحكام العرفية وقانون المطبوعات والرقابة اللاحقة للنشر . ولهذا طالبت « النظام » ، « الأخبار » ، « وادى النيل » و « الأمة » ، بالغاء كافة القيود الاستثنائية .

وعلى أثر الغاء الرقابة السابقة للنشر فى ١٥ مايو ١٩٢١ ، من ناحية ، وتأليف الوفد الرسمى بعد أربعة أيام ، من ناحية ثانية ، اشتدت معارضة صحف الوفد والحزب الوطنى لوزارة عدلى . واندلعت المظاهرات ضدها . واشتبكت فى الاسكندرية مع بعض الأجانب ، فتدخل البوليس والجيش ، ووقع الكثير من الضحايا . وأخذت الصحف المؤيدة للوزارة تتزعمها « الوطن » ، تنشر مقالات وعرائض الثقة فى الوزارة ، ودخلت فى معركة مع صحف الوفد والحزب الوطنى .

ورافق الوفد الرسمى الى أوربا فى اول يولية ١٩٢١ ، محمود عزمى صاحب ورئيس « الاستقلال » . فتولاها طه حسين، تاركا « مصر » التى كان يرأسها منذ مايو ١٩٢١ . وتولى موافاة « الأهرام » بأنباء المفاوضات توفيق حبيب وجبرائيل تقلا .

وأخذت كل قوة سياسية تسعى لكسب الصحف القائمة الى جانبها ، واصدار صحف جديدة تؤيدها ، مع اسكات ألسنة القوة المضادة لها . فكسبت وزارة عدلى يكن « الكشكول المصور » التى أصدرها سليمان فوزى صاحب « الكشكول » فى ٢٤ مايو ١٩٢١ ، لتنضم الى شقيقتها فى تأييد الوزارة ومهاجمة الوفد ، معتمدة على الأسلوب الساخر والرسوم الكاريكاتيرية . ثم اندمجت الصحيفتان فى أول أكتوبر ١٩٢١ ، باسم « الكشكول المصور » . وكسبت الوزارة أيضا « المحروسة » التى أعلن صاحبها يوم ٨ يولية ١٩٢١ ، تأييدها الكامل للوزارة ، بعد أن ترك رئاستها يوسف كمال حتاته ، المؤيد للوفد . واستمرت « المنبر » فى تأييد الوزارة ، بعد أن استأجرها عبد الحميد حمدى فى ٩ يولية ١٩٢١ . وأصدر المصريون فى بريطانيا فى ٢٨ يولية ، صحيفة لتأييد الوفد الرسمى ، هى « اجبشيان جورنال » برئاسة قرياقص ميخائيل . وفى نفس الوقت ، عمدت الوزارة الى اسكات الأصوات المعارضة ، فصادرت « الأفكار » الصادرة يوم ٢٤ مايو ١٩٢١ ، وعطلت « الأمة » لمدة شهر من ٢٧ مايو ، و « النظام » لمدة ستة شهور من ٥ يولية . وحبست حسن الشريف الكاتب فى « وادى النيل » ، وحققت معه ومع محمد الكلزة صاحب الصحيفة ومصطفى النحاس سكرتير الوفد ، بتهمة كتابة معلومات كاذبة ، لارهابهم . أما الوفد فقد خسر « المحروسة » بانضمامها الى الوزارة ، و « النظام » بتعطيلها . فسعى الى اصدار صحيفة رسمية له . وتقدم سينوت حنا ثم فتح الله بركات ،

يطلبان الترخيص لهما باصـدار الصحيفة ، ولكن وزير الداخليـة رفض الطلبين . فاتفق الوفد مع عبد الحميد حمدى على تجنيـد « المنبر » من ٣ سبتمبر ١٩٢١ ، لخدمة مبادئه . ونجح الوفـد فى ضم « الأهالى » اليه ، ونقلها الى القاهرة فى ١٤ سبتمبر . ولكن الوزارة عطلتهـا سـتة شـهور ، ابتداء من ٨ نوفمبر ١٩٢١ . أما الحزب الوطنى الذى عانى من مصادرة « الأفكار » وتعطيـل « الأمة » ، فقد نجح فى اصـدار صحيفـة رسميـة له ، فى ٢٣ اغسطس ١٩٢١ ، هى « اللـواء المصرى » . ولكن الحكومة عطلتها يوم ١٩ سبتمبر ١٩٢١ ، ونفت على فهمى كامل وكيـل الحزب الى الخارج .

وتمكنت الصحف المصرية من متابعة مفاوضـات عدلى ـ كيرزون ، وتقييم موقف الجانبين فيها ، رغم السرية التى فرضت عليها . وبينمـا كان الوفد الرسمى يعانى من تشـدد الجـانب البريطانى ، كان سعد زغلول فى مصر يقود رجال الوفد وصحفه فى حملة شديدة على الوزارة وصحفها ، خشية أن يبرم الوفـد الرسمى اتفاقا مع بريطانيا ، يقيد مصر بقيود شديدة . وهـاجم سعد زغلول كل الصحف المعارضـة له ، واستخدم السـعديون كافة الوسائل لارهابها . فعرقلوا توزيع « الأخبار » و « الأهرام » وهاجموا مقارها ومطابعها ، فى أكتوبر ١٩٢١ . مما دفع الصحيفتين الى التمسك بموقفهما ، وتنظيم مظاهرات مضادة لزعماء الوفد ، و « الأهالى » و « المنبر » . ووسع سعد زغلول دائرة حملته ، لتصل الى الرأى العام فى بريطانيا ، بكافـة الوسائل ، ومنهـا دعوة بعض النواب البريطانيين لمعرفة الوضـع فى مصر . ولمـا زارت « بعثة سوان » مصر فى سبتمبر ١٩٢١ ، وقام سعد بجولة فى الصعيد فى أكتوبر ، عضدتهما « وادى النيل » ، « المحروسة » ، « المنبر » ، « البصـير » و « الأهـالى » . وعارضتهما صحف

الوزارة « الوطن » ، « الكشكول المصور » و « الاستقلال » .
وحاولت « الأهرام » و « المقطم » الظهور بمظهر الحياد .

ولما تألف الحزب الاشتراكى المصرى ، فى أغسطس ١٩٢١، فتحت « الأهرام » صفحاتها للآراء المؤيدة له والمعارضة أيضا . وهاجمته « اللواء المصرى » .

وانتهت مفاوضات عدلى ــ كيرزون ، يوم ١٩ نوفمبر ١٩٢١، بالاخفاق ، بعد أن أصرت الحكومة البريطانية على بقاء الاحتلال العسكرى بمصر ، وضمنت مشروعها شروطا تهدم الاستقلال . فرفض عدلى بنود المشروع فيما عدا بقاء قوة عسكرية بريطانية فى منطقة قناة السويس . وأيدت « الوطن » ، « الكشكول المصور »، « الأهرام » و « الاستقلال » ، موقف عدلى يكن ، وحملت أكثرها الوفد مسئولية فشل المفاوضات . أما الصحف المعارضة للوزارة ومنها « المنبر » و « الأخبار » ، فقد رحبت بقطع المفاوضات ، وأرجعت الفضل فيه الى الوفد ، واستمرت فى معاداتها للوزارة. ولما أبلغ المندوب السامى السلطان بالسياسة البريطانية ، يوم ٣ ديسمبر ١٩٢١ ، وأذاع وثائق المفاوضات فى اليوم التالى ، تسابقت الصحف على نشرها ، وأعلنت أكثر الصحف المصرية والبريطانية معارضتها لأسس السياسة البريطانية .

وعاد عدلى الى مصر ، وقدم يوم ٨ ديسمبر ١٩٢١ استقالة وزارته ، لفشلها فى تحقيق برنامجها فى المفاوضات . وعضدت عدلى يكن فى استقالته أكثر الصحف ، لكن الأسباب كانت متباينة .

٨ ــ اعلان استقلال مصر :

اتجهت الحكومة البريطانية الى استرضاء « المعتدلين » ، لتأليف وزارة جديدة تساير سياستها ، وعرضت رئاستها على

عبد الخالق ثروت . فعارضت أكثر الصحف تتقدمها « المنبر » السعدية و « الاستقلال » العدلية تأليف الوزارة ، واستحسنته « الوطن » ، « الأهرام » و « المقطم » .

ولاسكات المعارضة التى قادها الوفد وصحفه ، حرمت السلطة البريطانية على القادة الوطنيين ممارسة العمل السياسي. واعتقلت يوم ٢٣ ديسمبر ١٩٢١ ، سعد زغلول وبعض قادة الوفد ، ونفتهم الى عدن . فاحتجت كافة الهيئات واندلعت المظاهرات . واتخذت أكثر الصحف موقف التأييد الصريح للقادة. وكان فى مقدمتها صحيفتا الوفد : « النظام » و « وادى النيل » . وصحيفة الحزب الوطنى : « الأفكار » . والصحيفتان المعتدلتان : « المحروسة » و « اللطائف المصورة » . وأيدت سعد زغلول بعد أن كانت تعارضه : « الأخبار » ، « الأهرام » ، و « الكشكول المصور » . أما الصحيفتان المحبذتان للسياسة البريطانية : « الوطن » و « المقطم » ، فدعتا الى الهدوء والتعقل ، لتتحاشيا اتخاذ المواقف الصريحة . وعدل أمين الرافعى أسلوب مواجهته الاجراءات البريطانية ، فاتجه الى المواجهة الايجابية ، بالاستمرار فى معارضة الاحتلال ، بدلا من ترك ساحة المعركة . ففى ٢٨ نوفمبر ١٩١٤ ، أوقف أمين الرافعى صحيفة « الشعب » تبرما من شدة الرقابة واحتجاجا على الاتجاه الى اعلان الحماية . وعند نفى القادة للمرة الثانية ، رفض اقتراحا باحتجاب « الأخبار » وكافة الصحف ولو يوما واحدا ، احتجاجا على اضطهاد رموز الحركة الوطنية .

وأخذت كافة الصحف تدعو الى الاتحاد وتأليف « المؤتمر الوطنى » . ولما اشتدت بعض الصحف فى فضح دولة الاحتلال والمتعاونين معها ، واجهتها السلطات البريطانية بالعنف . وعطلت

« الاستقلال » يومى ٢٨ و ٢٩ ديسمبر ١٩٢١ . فباعهـا محمود عزمى الى جبرائيل تقلا ، الذى أصـدرها فى ١٨ فبراير ١٩٢٢ . واوقفت « المنبر » فى يوم ٣ يناير ١٩٢٢ ، لأجل غير مسمى . وكان تعطيل « المنبر » خسارة فادحة للوفد ، لم يخفف منهـا الا عودة « النظـام » للصـدور فى ٦ يناير ١٩٢٢ ، بعد انتهـاء تعطيلها لمدة ٦ شهور . وتحول « المحروسة » الى تأييد الوفد ، من ١٤ يناير ، بعد أن استأجرهـا عبد القـادر حمزة صـاحب « الأهالى » المعضد للوفد . ولكن السلطة عاقبت « المحروسة » بتعطيلها فى ١٩ فبراير الى أجل غير محدود .

ولمـا قدم عبد الخالق ثروت الى المندوب السامى ، شروطه لتأليف الوزارة ، بصفة سرية ، تمكنت « المقطم » من معرفتها ، ونشرتهـا يوم ١٧ ينـاير ١٩٢٢ ، مما أتاح الفرصـة للصحف المصريـة لمناقشتها ، قبل نشرهـا رسـميا ، ومعها التحفظـات البريطانية يوم ٣٠ يناير . وحبذت شروط ثروت « الوطن » ، « الأهرام » و « اللطائف المصـورة » . وعارضتها « الأخبـار » و « النظام » و « المحروسة » المؤيدة للوفد منذ ١٤ يناير ١٩٢٢ . اما « المقطم » فنشرت الآراء الموافقة والمعارضـة معا ، تحاشـيا لغضب الجماهير المعارضة لثروت . وتابعت الصحف المصريـة خاصة « المقطم » و « الأهـرام » ، أقوال الصحف البريطانيـة بالشرح والتفسير ، بالمعارضة أو التأييد .

وبالنظر الى شروط ثروت ، ومراعاة المصالح البريطانيـة ، اصدرت الحكومة البريطانية تصريح ٢٨ فبراير ١٩٢٢ . فأسرعت أكثر الصحف المصرية بنشر التصريح فى ملاحق لها يوم أول مارس، واعادت نشره تحت عناوين كبيرة على صفحاتهـا الأولى فى اليوم التالى . وتباينت مواقف الصحف منه . فتشككت فيه وفندت

بنوده الصحف الوفدية : « النظام » ، « وادى النيل » و « مصر » .
والصحيفتان القائمتان على مبادىء الحزب الوطنى والمؤيدتان
للوفد : « الأخبار » و « الأمة » . ونظرت اليه فى شبه حياد :
« الأهرام » وشقيقتها « الاستقلال » المعتدلتان ، و « المقطم »
المساندة للاحتلال . وحبذته « الوطن » الاحتلالية ، والصحف
المعتدلة : « الكشكول المصور » ، « اللطائف المصورة »
و « البصير » .

وشكل عبد الخالق ثروت الوزارة فى أول مارس ١٩٢٢ ،
واعدا بالدستور والانتخابات والمفاوضات ، وبالغاء الأحكام
العرفية . ولكن الرأى العام قابل الوزارة بعدم الارتياح ، وتعددت
حوادث الاغتيال السياسى للبريطانيين ، التى تابعتها الصحف
بحرص شديد ، خشية الرقابة وعقوباتها القاسية . وعضدت
« الأهرام » و « البصير » وزارة ثروت ، وعارضتها « الأخبار » ،
« الأفكار » و « اللطائف المصورة » . ووقفت « المقطم » على
الحياد . ودعت الصحف كلها الوزارة ، الى السعى لاطلاق سراح
المعتقلين خاصة سعد زغلول وزملاءه . وطلبت نقابة الصحافة
المصرية من رئيس الوزراء الغاء القيود الصحفية ، والسماح
للصحف المعطلة بالصدور ، ولكنه لم يسمح بذلك الا للصحف
التى تتم فترة تعطيلها المحكوم عليها بها ، « كاللواء المصرى »
التى عادت للصدور فى ٢٣ مارس ١٩٢٢ .

واعلن « السلطان » فؤاد استقلال مصر ، يوم ١٥ مارس ،
متخذا لنفسه لقب « ملك مصر » . فأصدرت الصحف
أعدادا خاصة ، نشرت بها أنباء ووثائق الاستقلال
باستخدام العناوين والصور والزخارف . وأفادت « الاستقلال »
من الأذن اليمنى لرأسها ، لنشر بعض عناوينها . ورأت صحف

الوفد والحزب الوطنى : « مصر » ، « النظام » ، « الأخبار » و « الأمة » ، ان هذا الاستقلال لفظى فحسب ، ولا ينطبق على واقع الاحتلال . أما الصحف المعتدلة : « الأهرام » ، « الاستقلال » و « اللطائف المصورة » ، فاعتبرته خطوة للأمام . بينما أشادت به صحيفتا الاحتلال « الوطن » و « المقطم » ، واعتبرته أمرا واقعا .

٩ ـ الوحدة الوطنية :

وقد كانت الوحدة الوطنية بين المسلمين والأقباط فى ثورة ١٩١٩ ، صفة مميزة للثورة ومن أبرز انجازاتها . وكان تيار الثورة ، القائم على الوطنية دون الدين ، شديدا الى درجة مكنته من ازالة الخلافات والشكوك ، وارجاع الخارجين عن الجامعة الوطنية الى حظيرتها ، ومنهم صحيفة « مصر » وصاحبها تادرس شنودة ، بجانب قرياقص ميخائيل ، وعبد العزيز جاويش . حتى « الوطن » و « المقطم » ، عمدتا الى الظهور بمظهر الدعوة الى الوحدة الوطنية وتأييدها .

وكان دور الصحافة المصرية فى أثناء الثورة ، من أهم العوامل والمؤثرات التى أدت الى بروز ظاهرة عمق وقوة الوحدة بين أبناء الوطن الواحد مختلفى الديانات . فقد نشرت الصحف المصرية بالتحبيذ والتأييد مظاهر ومشاعر ومواقف الوحدة السياسية بين كافة المصريين تجاه الاحتلال البريطانى . ووصفت بعناية مظاهر الاندماج الاجتماعى بين سائر أبناء الوطن . وفى نفس الوقت وقفت الصحافة الوطنية بقوة لافساد كافة محاولات رجال الاحتلال لضرب الوحدة الوطنية المصرية وتفتيتها ، سواء باصدار القرارات المهددة لهذه الوحدة كتعيين يوسف وهبه رئيسا للوزراء، أو باعلان السياسات واصدار التصريحات ، التى تبث الفرقة

والانقسام بين أبناء الوطن الواحد ، كالنص فى تصريح ٢٨ فبراير سنة ١٩٢٢ ، على حماية الأقليات . ونجحت الصحافة الوطنية فى الرد على افتراءات رجال الاحتلال البريطانى وصحفه والاتهامات التى وجهوها للشعب الثائر ، لاثارة الشكوك والخلافات بين افراده اتباع الديانات المختلفة ، وضرب وحدتهم . وكان فى مقدمتها صبغ الثورة بالصبغة الدينية العامة ، واتهامها بالتعصب الدينى الاسلامى ، واتهام الأقباط بالانضمام لها خوفا من المسلمين ، واثارة الصراع على الوظائف العامة بين المسلمين والأقباط ، لنشر مشاعر الغيرة والحقد بينهم .

١٠ ـ تأثير الصحافة المصرية فى الثورة ، وتأثرها بها :

وهكذا كانت العلاقة بين الصحافة المصرية وثورة الشعب المصرى فى سنة ١٩١٩ ، علاقة عضوية قائمة على التأثير والتأثر. فقد أثرت الصحافة فى الثورة ، كما تأثرت بها .

اولا ـ تأثير الصحافة فى الثورة :

مهدت الصحافة الوطنية للثورة بتنوير الأذهان ، ومساندة القادة الوطنيين ، ونشر افكارهم فى الوطنية والحرية والشورى والاستقلال ، من ناحية ، وفضح ومحاربة الاحتلال والاستبداد ، من ناحية ثانية .

ثم شاركت الصحافة الوطنية الثوار حركتهم فى جميع مراحلها ، منذ ابلاغ القادة الوطنيين ممثل دولة الاحتلال بمطالب الشعب المصرى ، فى مقابلة ١٣ نوفمبر ١٩١٨ ، حتى صدور تصريح ٢٨ فبراير ١٩٢٢ ، واعلان استقلال مصر فى ١٥ مارس ١٩٢٢ .

ورغم قيود الأحكام العرفية ، والرقابة الصحفية السابقة للنشر أو اللاحقة به ، وبطش السلطات البريطانية والمصرية بالصحف والصحفيين الوطنيين ، بالحذف والانذار والتعطيل والالغاء والاعتقال ، فقد أدت الصحافة الوطنية دورا ايجابيا واضحا فى الاعلام والتوجيه ، بنشر أخبار الثورة ومطالبها ، وتوسيع نطاقها وتوعية رجالها . وتمكنت من الوصل بين قادة الثورة داخل البلاد وخارجها وبين جماهيرها وجنودها . وقادت الصحافة الوطنية عملية تأليف الرأى العام وتوجيهه ، وحمايته من تأثير صحف ورجال الاحتلال ، بتفنيد أقوالهم وافساد خططهم ، حتى بلغ الرأى العام المصرى من القوة ما جعل مخططى السياسة البريطانية ورجال الحكم المصريين ، ينظرون اليه باهتمام ويقدرون تأثيره بحذر ، عند وضع خططهم واصدار قراراتهم . ورغم تباين مواقف الصحف المصرية تجاه المفاوضات المصرية البريطانية ، تبعا لاختلاف انتماءاتها وعلاقاتها بالمفاوضين ، فقد أدت فى النهاية الى تقوية عزيمة المفاوض المصرى وتمسكه بالمطالب الوطنية .

ثانيا ـ تأثر الصحافة بالثورة :

١ ـ الاتجاه السياسى للصحف :

كان تأثير الثورة على اتجاهات الصحف المصرية تأثيرا ايجابيا فى مصلحة الاتجاه الوطنى . فقد كسبت الثورة بعض الصحف التى كانت تساند السلطات الحاكمة البريطانية والمصرية ، أو تنظر الى الحركة الوطنية ومطالبها بفتور وحذر ، بينما لم تنجح سلطات الاحتلال فى استمالة أية صحيفة وطنية الى صفها .

وجاء اضطهاد السلطات البريطانية والمصرية ، لقادة الثورة والصحف الوطنية المتحمسة ، بنتيجة عكسية فى أكثر الأحيان .

فكانت الصحف تنسى خلافاتها وتتضامن فيما بينها ، تأييدا للقادة المضطهدين ، كما حدث عندما أعتقل سـعد زغلول وزملاؤه للمرة الثانية . وكانت الصحف المضطهدة ومنها : (النظام ، الأمـة ، الأفكار) تعود للصدور بعد تعطيلها والاضرار بالعاملين بها ، أكثر اصرارا على اعلاء المطالب الوطنية ، ومقاومة الاحتلال .

وقوت روح الثورة الرغبة فى الجهاد ضد الاحتلال ، لدى أكثر الصحفيين والكتـاب ، فتحملوا كافـة المشاق والاضرار ، دون أن يتخلوا عن مبادئهم أو تضعف عزائمهم . بل انهم أستمدوا من دروس الثورة النضج الفكرى والحنكة السياسية . مثال على ذلك أمين الرافعى ، الذى أوقف نهائيا صـدور صحيفة « الشـعب » يوم ٢٨ نوفمبر ١٩١٤ ، تبرما من شـدة الرقـابة ، واحتجاجا سلبيا على اعتزام بريطانيا اعلان حمايتها على مصر . ولكنه بعد ان تشبع بروح الثورة واستوعب دروس نضالها ، أعلن رفضـه تعطيل « الأخبار » وغيرهـا من الصحف ، ولو يوما واحـدا فى يناير ١٩٢٢ ، للاحتجاج على اعتقال ونفى سعد زغلول وزملائه للمرة الثانيـة فى ديسمبر ١٩٢١ ، مفضلا الاستمرار فى اصـدار الصحف ، والاحتجاج الايجابى على السياسة البريطانيـة ، دون حرمان الحركة الوطنية أحد السنتها .

وجرف تيار الثورة الوطنية العلمانية أمامه ، أكثر مظـاهر الانتماء الدينى والطائفى . فعاد الى داخل الاطار الوطنى الجامع لكل العناصر المصرية ، الكتاب والصحف الذين خرجوا عنه ، وانزلقوا قبل الحرب العالمية الأولى الى هاوية الفتنة الطائفية . ثم تحولوا مع اندلاع الثورة الي دعـاة للوحدة الوطنية .

٢ ـ امتلاك واصدار الصحف :

تعددت انواع ملكية الصحف الأهلية . فقد امتلك الأفراد اكثرها . وامتلكت الشركات بعضها (كالأخبار ، الأهـالى ، وادى النيل) . ولم تمتلك الأحزاب غير صحيفـة واحـدة هى « اللواء المصرى » ، التى أصدرها الحزب الوطنى صحيفة رسمية له . ولم يرتبط نوع ملكية الصحيفة بسياستها ومواقفها تجاه الاحتلال او الوفد أو الثورة .

وكذلك لم يرتبط انتمـاء أصحـاب الصحف المصرية لأوطانهم الأصلية ، بمواقف صحفهم من الثورة . فقد امتلك المصريون ورأسوا نحو نصف الصحف المصرية فى أثناء الثورة . بينما امتلك الشاميون ورأســوا نحو النصف الآخر . وتنوعت الانتماءات السياســية لكافة الصحف واختلفت مواقفها ، دون وجود ارتباط بين الانتماء الوطنى والاتجـاه السياسى . فمن صحف المصريين مثلا ، ايدت « مصر » و « النظام » الثورة وعارضتها « الوطن » . ومن صحف الشاميين مثلا ، ايدت « الأهـرام » و « الأخبـار » الثورة ، وعارضتها « المقطم » .

ولم يرتبط الانتماء الدينى بالاتجـاه السياسى . فاختلفت المواقف السياسيـة لصـحف ينتمى أصحابهـا الى دين واحـد (كصحيفتى مصر والوطن) . بينما اتفقت صحف أخرى فى المواقف والآراء السياسية ، مع اختلاف اديان أصحابها والمسئولين عن تحريرها (كالأهرام والاستقلال) .

وحرصت كل قوة سياســية على أن توفر لنفسها الصحف التى تعبر عن آرائها ومواقفها ، وتنشر مبادئها وافكارها . وذلك اما باصـدار الصحف الجديدة ، او استئجـار بعض الصحف

القائمة فى مقابل دعمها ماديا وصحفيا . ومن هنا انبثقت ظاهرة تقلب كثير من الصحف ومنها : (المنبر والمحروسة) بين الاتجاهات المختلفة .

وكانت الصحف التى سيطرت عليها بشتى الوسائل ، القوتان السياسيتان الوطنيتان الكبيرتان : الوفد والحزب الوطنى (كالنظام ، مصر ، الأمة والأفكار) ، هى أكثر الصحف شدة فى معارضة الاحتلال ومعاونيه من المصريين . وكانت هى بالتالى أكثر الصحف تعرضا للحذف والمصادرة والاغلاق . أما الصحف المؤيدة للسياسة البريطانية (كالوطن والمقطم) ، فكانت فى مأمن من بطش السلطات البريطانية والسلطات المصرية المؤتمرة بأمرها .

وتأثرت دائرة انتشار كل صحيفة ومكانتها الأدبية ، بموقفها من الثورة والوفد والاحتلال ، فازداد توزيع الصحف المؤيدة للثورة والوفد (كالأهرام) وهتف الثوار بحياتها . بينما هبط توزيع الصحف المؤيدة للاحتلال (كالمقطم) وهاجمها الثوار . وكان توزيع « الأخبار » يرتفع اذا أيدت سعد زغلول ، وينخفض عندما تعارضه .

وحرصت أكثر الصحف على اصدار الملاحق والتبكير فى الظهور ، رغبة فى تغطية الأحداث المتلاحقة وتحقيق السبق الصحفى وسعة الانتشار ، حتى وصل الحال ببعض الصحف الصباحية الى الظهور ظهر اليوم السابق ليوم صدورها .

وتعددت قرارات تعطيل الصحف المؤيدة للثورة ، لآجال محددة أو ليست مسماة . وسبب هذا التعطيل ضررا بالغا لأصحاب الصحف ومحرريها وعمالها . وحرم الثورة من جهودها . فعمل بعض الثوار على الاستعاضة عن الصحف المراقبة أو المعطلة ، باصدار النشرات السرية . ولكن هذه الوسيلة لم تستطع الصمود

امام بطش سلطات الرقابة والأمن ، التى طاردتهـا بمصـادرتها واعتقال وسجن معديها وطابعيها وموزعيها .

٣ ـ اخـراج الصـحف :

وحتى تستطيع الصحف تأدية مهمتها ، فقد جاهـدت لتتخطى الصعوبات السياسية والاقتصـادية والفنية . وأفادت من فنون تحرير المقال والخبر والحديث والتقرير . واستخدمت أسـاليب وعناصر الاخراج : الصـورة ، الرسـم ، العنوان ، الاطـار ، وتوزيع المواد على الصفحات والأعمدة .

فتقـدمت اخبـار الثورة لتشـغل الصفحـات الأولى من الصحف ، وتحل محل الأخبـار الخارجيـة التى تراجعت الى الصفحات الداخليـة . واستخدمت أكثر الصحف العناوين ذات الحروف الكبـيرة ، التى تمتد بعرض الصفحة كلهـا ، وكذلك الصور والرسـوم والاطـارات ، لابراز أخبـار الثورة الهامة . واستخدمت احداها (وهى الاستقلال) أذن الرأس ، لتنبه القارىء الى المواد الهامة على صفحاتها . وفى ظل الرقابة التحفظية ، كثرت المساحات البيضـاء الناتجة عن حذف بعض المواد فى الكثير من الصحف المتحمسة للثورة ،حتى صارت سمة من سمات اخراجها، وخاصة فى أوقات اشتداد وازدياد حوادث الثورة (*) .

(★) لاعداد القسم المختص بثورة ١٩١٩ من هـذا الكتاب ، اعتمدت ـ بصفة اساسيـة ـ على الصحف المعاصرة للثورة ، وهى : الاخبار ، الاستقلال ، الافكار ، الأمة ، الأهـالى ، الأهرام ، البصير ، الجريدة ، السـفور ، الكشكول ، الكشكول المصور ، اللطائف المصورة ، اللواء المصرى ، المحروسة ، مصر ، المقطم ، المنبر ، النظام ، وادى النيل ، الوطن . وأفدت كثيرا من كافة الوثائق والدراسـات المصرية والبريطانية ، ومنها رسالتى للدكتوراه بكليـة الاعلام بجامعة القاهرة ، عن : « الصحافة المصرية وثورة ١٩١٩ » .

وهكذا كانت الخطوط الأساسية لرحلة حياة الصحافة ، الصادرة بمختلف اللغات فى مصر ، منذ نشأتها فى سنة ١٨٢٨ حتى اعلان استقلال البلاد سنة ١٩٢٢ ، تعبر عن الأوضاع الحاكمة فى السياسة والاقتصاد والمجتمع ، وتتفاعل مع القوى السياسية المتنوعة ، سواء المتمسكة بحقوق الوطن او المعتدية عليها .

أما الصحافة الوطنية ، فقد تبلور دورها منذ وقوع الاحتلال سنة ١٨٨٢ ، حتى تحقيق الاستقلال سنة ١٩٢٢ ، فى التأثير فى الأحداث والتأثر بها ، وفى مواجهة قوى الاحتلال والقهر والكبت والاستغلال ، بتنوير الأذهان ودعم مبادىء وأسس الوطنية ، ونشر أفكار الحرية والحق والواجب والشورى والتضامن .

وعلى طريق تأدية دورها ، تعرضت الصحافة الوطنية لكافة أصناف الظلم والاضطهاد ، ولكنها لم تتخل أبدا عن رسالتها ، بل أقامت من الصعوبات سلما ترتقى عليه ، لتساهم فى تحقيق الحرية والاستقلال .

المصادر والمراجع

أولا ـ العربية

١ ـ الصحف :

١ ـ الأخبار ١٩١٨ ـ ١٩٢٢ .

٢ ـ الاستقلال ١٩٢١ ـ ١٩٢٢ .

٣ ـ الأفكار ١٩١٨ ـ ١٩٢٢ .

٤ ـ الأمة ١٩١٨ ـ ١٩٢٢ .

٥ ـ الأهالى ١٩١٠ ، ١٩١٨ ـ ١٩٢٢ .

٦ ـ الأهرام ١٨٨٤ ، ١٩١٨ ـ ١٩٢٢ .

٧ ـ البصير ١٩١٨ ـ ١٩٢٢ .

٨ ـ التجارة ١٨٧٩ .

٩ ــ الجريــــدة ١٩٠٧ ، ١٩٠٩ ، ١٩١٠ ، ١٩١٤ .

١٠ ــ الســـفور ١٩١٨ ــ ١٩٢١ .

١١ ــ الشــعب ١٩١٢ ، ١٩١٤ .

١٢ ــ صدى الأهرام ١٨٧٩ .

١٣ ــ العصر الجديد ١٨٨٠ .

١٤ ــ العــلم ١٩١١ .

١٥ ــ القطر المصرى ١٩٠٨ ، ١٩٠٩ .

١٦ ــ الكشــكول ١٩١٨ ــ ١٩٢١

١٧ ــ الكشكول المصور ١٩٢١ ــ ١٩٢٢ .

١٨ ــ اللطائف المصورة ١٩١٨ ــ ١٩٢٢ .

١٩ ــ اللواء المصرى ١٩٢١ ــ ١٩٢٢ .

٢٠ ــ المحروســة ١٩١٨ ــ ١٩٢٢ .

٢١ ــ المســتقبل ١٩١٤ .

٢٢ ــ مصــــر ١٨٧٩ ، ١٩٠٦ ، ١٩١٠ .

٢٣ ــ المقطــم ١٩١٨ ــ ١٩٢٢ .

٢٤ ــ المنبــر ١٩١٨ ــ ١٩٢٢ .

٢٥ ــ المؤيــد ١٩٠٦ .

٢٦ ــ النظــام ١٩١٨ ــ ١٩٢٢ .

٢٧ ــ الهــلال ١٩١٠ .

٢٨ ــ الوطــن ١٨٧٩ ، ١٨٨٠ ، ١٨٨١ ، ١٩٠٦ .

٢٩ ــ الوقائع المصرية ١٨٧٩ ، ١٨٨١ ، ١٨٨٤ ، ١٩١١ ، ١٩١٢ .

٢ ـ الدراسات والمذكرات والتقارير :

٣٠ ـ ابراهيم عبده ، تطور الصحافة المصرية واثرها فى النهضتين الفكرية والاجتماعية ، الطبعة الثانية (القاهرة : مكتبة الآداب ، ١٩٤٥) .

٣١ ـ ابراهيم عبده ، الصحفى الثائر ، كتاب روزاليوسف، العدد السابع (القاهرة:دار روزاليوسف ، ١٩٥٥).

٣٢ ـ ابراهيم عبده ، جريدة الأهرام : تاريخ وفن ١٨٧٥ ـ ١٩٦٤ (القاهرة : مؤسسة سجل العرب ، ١٩٦٤) .

٣٣ ـ احمد احمد بدوى ، مع الصحفى المكافح أحمد حلمى (القاهرة : مكتبة نهضة مصر ، ١٩٥٧) .

٣٤ ـ احمد لطفى السيد ، قصة حياتى ، تقديم : طاهر الطناحى ، كتاب الهلال ، العدد ٣٧٧ (القاهرة : دار الهلال ، ١٩٨٢) .

٣٥ ـ احمس فيليب عبد الملك ، الصحافة الانجليزية فى مصر : تطورها وموقفها من الحوادث المصرية الهامة ١٨٨٢ ـ ١٩٢٢ ، رسالة دكتوراه غير منشورة (الجيزة : جامعة القاهرة : كلية الآداب ، ١٩٦٢).

٣٦ ـ السيد حسين جلال ، مؤامرة مد امتياز شركة قناة السويس ١٩٠٨ ـ ١٩١٠ (القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩٠) .

٣٧ ـ الياس زخورة ، مرآة العصر فى تاريخ ورسوم أكابر الرجال بمصر ، الجزء الثالث (القاهرة : المطبعة العمومية ، ١٨٩٧) .

٣٨ ـ تيسير أحمد محمد أبو عرجة ، جريدة المقطم ودورها في الدعاية للاحتلال الانجليزى ١٨٨٩ ـ ١٩١٩ ، رسالة ماجستير غير منشورة (الجيزة : جامعة القاهرة ، كلية الاعلام ، ١٩٧٨) .

٣٩ ـ جاك تاجر ، اقباط ومسلمون منذ الفتح العربى الى عام ١٩٢٢ م ، كراسات التاريخ المصرى (القاهرة : بدون اسم ناشر ، ١٩٥١) .

٤٠ ـ جيهان أحمد على رشتى ، تطور الصحافة المسائية في مصر في الفترة ما بين الحربين العالميتين ، رسالة ماجستير غير منشورة (الجيزة : جامعة القاهرة ، كلية الآداب ، ١٩٦٣) .

٤١ ـ حسين فوزى النجار ، أحمد لطفى السيد : أستاذ الجيل ، أعلام العرب ، العدد ٣٩ (القاهرة : الدار المصرية للتأليف والترجمة ، ١٩٦٥) .

٤٢ ـ خليل صابات ، الصحافة المصرية في ثورة ١٩١٩ (القاهرة : مطبعة التقدم ، ١٩٦٩)

٤٣ ـ خليل صابات ، سامى عزيز ، يونان لبيب ، حرية الصحافة في مصر ١٧٩٨ ـ ١٩٢٤ (القاهرة : مكتبة الوعى العربى ، ١٩٧٢) .

٤٤ ـ خليل مطران (محرر) ، بشارة تقلا باشا ١٨٥٣ ـ ١٩٠١ (القاهرة:مطبعة الأهرام ، ١٩٠٢).

٤٥ ـ راسم محمد الجمال ، عباس العقاد في تاريخ الصحافة المصرية ، رسالة ماجستير غير منشورة (الجيزة : جامعة القاهرة ، كلية الآداب ، ١٩٧٤).

٤٦ ــ راسم محمد الجمال ، عباس العقاد : رجل الصحافة ، رجل السياسة ، اقرأ ، العدد ٤٤٤ (القاهرة : دار المعارف ، ١٩٧٩) .

٤٧ ــ رمزى ميخائيل جيد ، تطور الخبر فى الصحافة المصرية (القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٨٥) .

٤٨ ــ رمزى ميخائيل جيد ، الصحافة المصرية وثورة ١٩١٩ (القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩٣) .

٤٩ ــ رؤوف عباس حامد ، الحركة العمالية فى مصر ١٨٩٩ ــ ١٩٥٢ (القاهرة : دار الكاتب العربى للطباعة والنشر ، ١٩٦٧) .

٥٠ ــ سامى عزيز ، الصحافة المصريةوموقفها من الاحتلال الانجليزى ، المكتبة العربية ، العدد ٨٢ (القاهرة : دار الكاتب العربى للطباعة والنشر ، ١٩٦٨) .

٥١ ــ سعد زغلول ، المذكرات (القاهرة : دار الوثائق القومية) .

٥٢ ــ سلامة موسى ، تربية سلامة موسى (القاهرة : سلامةموسى للنشر والتوزيع ، بدون تاريخ) .

٥٣ ــ سميرة بحر ، الأقباط فى الحياة السياسية المصرية (القاهرة : مكتبة الأنجلو المصرية ، ١٩٧٩) .

٥٤ ــ صبرى أبو المجد ، أمين الرافعى شهيد الوطنية المصرية ، كتاب الهلال ، العدد ٣٦٦ (القاهرة : دار الهلال ، ١٩٨١) .

٥٥ ــ صلاح قبضايا ، الصحف اليومية المصرية فى القرن التاسع عشر (القاهرة : الهيئــة المصريــة العامــة للكتاب ، ١٩٨٢) .

٥٦ ــ طارق البشرى ، المسلمون والأقباط فى اطار الجماعة الوطنيـــة (القــاهرة : الهيئــة المصريــة العامــة للكتاب ، ١٩٨٠) .

٥٧ ــ عباس محمود العقاد ، سعد زغلول : سيرة وتحيــة (القاهرة : مطبعة حجازى ، ١٩٣٦) .

٥٨ ــ عباس محمود العقاد ، حيــاة قــلم (القــاهرة : مكتبة غريب ، بدون تاريخ) .

٥٩ ــ عبد الخالق لاشين ، سعد زغلول ودوره فى السياسة المصرية ١٩١٤ ــ ١٩٢٧ ، الطبعة الأولى (بيروت : دار العودة ، القاهرة : مكتبة مدبولى ، ١٩٧٥) .

٦٠ ــ عبد الرحمن الرافعى ، مصطفى كامل : باعث الحركة الوطنيــة ، الطبعــة الأولى (القــاهرة : مطبعــة الشرق ، ١٩٣٩) .

٦١ ــ عبد الرحمن الرافعى ، محمد فريد رمز الاخلاص والتضحية ، الطبعــة الأولى (القــاهرة : مكتبــة ومطبعة مصطفى البابى الحلبى ، ١٩٤١) .

٦٢ ــ عبد الرحمن الرافعى ، عصر اســماعيل ، الطبعــة الثانية ، الجزء الأول (القاهرة : مكتبة النهضــة المصرية ، ١٩٤٨) .

٦٣ ــ عبد الرحمن الرافعى ، ثورة سنة ١٩١٩ : تاريخ مصر القومى من ســنة ١٩١٤ الى ســنة ١٩٢١ ،

الطبعة الثانية (القاهرة : مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٥٥) .

٦٤ ـ عبد الرحمن الرافعى ، الثورة العرابية والاحتلال الانجليزى ، الطبعة الثالثة (القاهرة : الدار القومية للطباعة والنشر ، ١٩٦٦) .

٦٥ ـ عبد العزيز محمد الشناوى ، حادث جريدة البوسفور اجيبسيان : أزمة سياسية بين مصر وفرنسا فى أوائل عهد الاحتلال البريطانى ، المجلة التاريخية المصرية ، المجلدان التاسع والعاشر ١٩٦٠ ـ ١٩٦٢ (القاهرة : الجمعية المصرية للدراسات التاريخية ، ١٩٦٣) .

٦٦ ـ عبد العظيم محمد ابراهيم رمضان ، تطور الحركة الوطنية فى مصر : من سنة ١٩١٨ الى سنة ١٩٣٦ ، دراسات فى القومية العربية (القاهرة : دار الكاتب العربى ، ١٩٦٨) .

٦٧ ـ عبد اللطيف حمزة ، أدب المقالة الصحفية فى مصر : أحمد لطفى السيد فى الجريدة ، الطبعة الثانية ، الجزء السادس (القاهرة : دار الفكر العربى ، ١٩٦١) .

٦٨ ـ عبد اللطيف حمزة ، أدب المقالة الصحفية فى مصر : على يوسف ، الطبعة الثالثة ، الجزء الرابع (القاهرة : دار الفكر العربى ، ١٩٦٦) .

٦٩ ـ عزت قرنى ، العدالة والحرية فى فجر النهضة العربية الحديثة ، عالم المعرفة ، العدد ٣٠ (الكويت : المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب ، ١٩٨٠) .

٧٠ ــ على الحديدى ، عبد الله النديم خطيب الوطنية ، أعلام العرب ، العدد ٩ (القاهرة : المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر ، ١٩٦٢) .

٧١ ــ على الدين هلال ، التجديد فى الفكر السياسى المصرى الحديث : أصول الفكرة الاشتراكية ١٨٨٢ ــ ١٩٢٢ (القاهرة : جامعة الدول العربية ، معهد البحوث والدراسات العربية ، ١٩٧٥) .

٧٢ ــ على الدين هلال ، السياسة والحكم فى مصر : العهد البرلمانى ١٩٢٣ ــ ١٩٥٢ (القاهرة : مكتبة نهضة الشرق ، ١٩٧٧) .

٧٣ ــ فاروق أبو زيد ، الصحافة وقضايا الفكر الحر فى مصر ، كتاب الاذاعة والتليفزيون ، العدد ٢٩ (القاهرة : مجلة الاذاعة والتليفزيون ، ١٩٧٤) .

٧٤ ــ لطيفة محمد سالم ، مصر فى الحرب العالمية الأولى ١٩١٤ ــ ١٩١٨ (القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٨٤) .

٧٥ ــ محمد جمال الدين على المسدى ، دنشواى ، مطبوعات مركز وثائق وتاريخ مصر المعاصر (القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٤).

٧٦ ــ محمد حسين هيكل ، مذكرات فى السياسة المصرية ، الجزء الأول ١٩١٢ــ ١٩٣٧ (القاهرة : مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٥١) .

٧٧ ــ محمد سيد كيلانى ، الأدب القبطى قديما وحديثا ، الطبعة الأولى (القاهرة : مكتبة الهلال ، ١٩٦٢) .

٧٨ ــ محمد فريد ، مذكراتى بعد الهجرة ١٩٠٤ ــ ١٩١٩ ، تحقيق : مركز وثائق وتاريخ مصر المعاصر (القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٨) .

٧٩ ــ محمد محمد حسين ، الاتجاهات الوطنية فى الأدب المعاصر : من الثورة العرابية الى قيام الحرب العالمية الأولى ، الطبعة الثالثة ، الجزء الأول (القاهرة : مكتبة الآداب ، ١٩٨٠) .

٨٠ ــ محمود أبو الفتح ، مع الوفد المصرى (القاهرة : بدون اسم ناشر ، ١٩٢٠) .

٨١ ــ محمود نجيب أبو الليل ، الأمانى الوطنية والمشكلات المصرية فى الصحف الفرنسية : منذ عقد الاتفاق الودى حتى اعلان الحرب العالمية الأولى ، الطبعة الأولى (القاهرة : مطبعة التحرير ، ١٩٥٣) .

٨٢ ــ مصطفى النحاس جبر يوسف ، سياسة الاحتلال تجاه الحركة الوطنية ١٩٠٦ ــ ١٩١٤ (القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٥) .

٨٣ ــ يواقيم رزق مرقص ، قضية كتاب وطنيتى للشيخ على الغاياتى ، مستخرج من المجلة التاريخية المصرية (القاهرة : الجمعية المصرية للدراسات التاريخية ، ١٩٨٤) .

٨٤ ـ يونان لبيب رزق ، « أزمة العقبة المعروفة بحادثة طابة ١٩٠٦ » ، المجلة التاريخية المصرية ، المجلد الثالث عشر (القاهرة : الجمعية المصرية للدراسات التاريخية ، ١٩٦٧) .

٨٥ ـ يونان لبيب رزق « أثر قانون المطبوعات فى الحركة الوطنية المصرية ، قبيل الحرب العالمية الأولى » ، المجلة التاريخية المصرية ، المجلد الرابع عشر (القاهرة : الجمعية المصرية للدراسات التاريخية ، ١٩٦٨) .

٨٦ ـ يونان لبيب رزق ، الحياة الحزبية فى مصر فى عهد الاحتلال البريطانى ١٨٨٢ ـ ١٩١٤ (القاهرة : مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٧٠) .

٨٧ ـ يونان لبيب رزق ، الأحزاب المصرية قبل ثورة ١٩٥٢ (القاهرة : مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالأهرام ، ١٩٧٧) .

ثانيا ـ المعربة

٨٨ ـ آدمس ، تشارلس ، الاسلام والتجديد فى مصر ، ترجمة :عباس محمود ، تقديم : مصطفى عبد الرازق (القاهرة : لجنة ترجمة دائرة المعارف الاسلامية ، ١٩٣٥) .

٩٨ ـ بيرنز ، الينور ، الاستعمار البريطانى فى مصر ، ترجمة : أحمد رشدى صالح ، الطبعة الثانية (القاهرة : بدون اسم ناشر ، ١٩٥١) .

٩٠ ـ جولد شميت (الابن) ، آرثر ادوارد ، الحزب الوطنى المصرى : مصطفى كامل ، محمد فريد ، ترجمة : فؤاد دوارة ، تقديم وتعليق : فتحى رضوان (القاهر : الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٨٣) .

٩١ ـ جوليت آدم ، انجلترا فى مصر ، تعريب : على فهمى كامل ، الطبعة الأولى (القاهرة : مطبعة شركة العلم والدفاع الوطنى ، بدون تاريخ) .

٩٢ ـ غورست ، الدن ، تقرير عن المالية والادارة والحالة العمومية فى مصر والسودان سنة ١٩٠٨ ، ترجمة : المقطم (القاهرة : المقطم ، ١٩٠٩) .

٩٣ ـ غورست ، الدن ، تقرير عن المالية والادارة والحالة العمومية فى مصر والسودان سنة ١٩٠٩ ، ترجمة : المقطم (القاهرة : المقطم ، ١٩١٠) .

٩٤ ـ كرومر ، تقرير عن المالية والادارة والحالة العمومية فى مصر وفى السودان سنة ١٩٠٣ ، ترجمة: المقطم (القاهرة : المقطم ، ١٩٠٤) .

٩٥ ـ كرومر ، تقرير عن المالية والادارة والحالة العمومية فى مصر وفى السودان سنة ١٩٠٦ ، ترجمة : المقطم (القاهرة : المقطم ، ١٩٠٧) .

٩٦ ـ لاندو ، جاكوب ، الحياة النيابية والأحزاب فى مصر ، من ١٨٦٦ الى ١٩٥٢ ، ترجمة وتعليق : سامى الليثى (القاهرة : مكتبة مدبولى ، بدون تاريخ) .

ثالثـا ـ الانجليزيـة

١ ـ الصـحف :

٩٧ ـ The Egyptian Gazette, Cairo, 1919 — 1922.

٩٨ ـ The Egyptian Mail, Cairo, 1919.

٢ ـ الدراسات والتقارير :

٩٩ ـ Lacouture, Jean and Simonne, Egypt In Transition. Translated By Francis Scarfe (London : Methuen & Co. LTD, 1985).

١٠٠ ـ The Parliamentary Debates, Official Report House of Commons, Vol. 172. April, 1907. Vol. 80. March, 1916. (London, His Majesty's Stationary Office).

١٠١ ـ Zayid, Mahmoud, The Origins of The Liberal Constitutionalist Party in Egypt, in «Political and Social Change in Modern Egypt», Edited by P.M. Holt (London : Oxford University Press, 1968).

الفهـــرس

الصفحة

الصفحة

القسم الثانى

من اندلاع ثورة سنة ١٩١٩

الى اعلان الاستقلال سنة ١٩٢٢

صدر فى هـذه السلسلة

١ ـ الأصول التاريخية لمسألة طابا ـ دراسة وثائقية .
د. يونان لبيب رزق .

٢ ـ مجمع اللغة العربية ـ دراسة تاريخية .
د. عبد المنعم الدسوقى الجميعى .

٣ ـ التيارات السياسية والاجتماعية بين المجددين والمحافظين ـ دراسة فى فكر الشيخ محمد عبده .
د. زكريا سليمان بيومى .

٤ ـ الجذور التاريخية لتحرير المرأة المصرية فى العصر الحديث .
د. محمد كمال يحيى .

٥ ـ رؤية فى تحديث الفكر المصرى ـ « الشيخ حسن المرصفى وكتابه رسالة الكلم الثمان مع النص الكامل للكتاب » .
د. أحمد زكريا الشلق .

٦ ـ صياغة التعليم المصرى الحديث ـ دور القوى السياسية والاجتماعية والفكرية ١٩٢٣ ـ ١٩٥٢ .
د. سليمان نسيم .

٧ ـ دور مصر فى أفريقيا فى العصر الحديث .
د. شوقى عطا الله الجمل .

٨ ـ التطورات الاجتماعية فى الريف المصرى قبل ثورة ١٩١٩ .
د. فاطمة علم الدين عبد الواحد .

٩ ـ المرأة المصرية والتغيرات الاجتماعية ١٩١٩ ـ ١٩٤٥ .
د. لطيفة محمد سالم .

١٠ ــ الأسس التاريخيــة للتـكامل الاقتصـــادى بين مصر والسودان ــ دراسة فى العــلاقات الاقتصادية الســودانية ١٨٢١ ــ ١٨٤٨ ٠
د٠ نســيم مقــار ٠

١١ ــ حول الفكرة العربية فى مصر ــ « دراسة فى تاريخ الفكر السياسى المصرى المعاصر » ٠
د٠ فؤاد المرسى خــاطر ٠

١٢ ــ صحافــة الحــزب الوطنى ١٩٠٧ ــ ١٩١٢ « دراســة تاريخيــة » ٠
د٠ يواقيم رزق مرقص ٠

١٣ ــ الجامعة الأهليــة بين النشأة والتطور ٠
د٠ سامية حسن ابراهيم ٠

١٤ ــ العلاقات المصرية السودانية ١٩١٠ ــ ١٩٢٤ ٠
د٠ أحمــد ديــاب ٠

١٥ ــ حركة الترجمة فى مصر فى القرن العشرين ٠
د٠ أحمد عصــام الدين ٠

١٦ ــ مصر وحركات التحرر الوطنى فى شمال افريقيا ٠
د٠ عبد الله عبد الرازق ابراهيم ٠

١٧ ــ رؤية فى تحديث الفكر المصرى « دراســة فى فكر أحمد فتحى زغلول » ٠
د٠ أحمد زكريا الشلق ٠

١٨ ــ صناعة تاريخ مصر الحديث ــ « دراسة فى فكر عبد الرحمن الرافعى » ٠
د٠ حمادة محمود اسماعيل

١٩ ــ الصحافة والحركة الوطنية المصرية ١٩٤٥ ــ ١٩٥٢ ــ من ملفات الخارجية البريطانية ٠
د٠ لطيفة محمد ســالم ٠

٢٠ ـ الدبلوماسية المصرية وقضية فلسطين ١٩٤٧ ، ١٩٤٨
د٠ عادل حسين غنيم ٠
٢١ ـ الجمعية الوطنية المصرية سنة ١٨٨٣ ـ « جمعية الانتقام » ٠
د٠ زين العابدين شمس الدين نجم ٠
٢٢ ـ قضية الفلاح في البرلمان المصرى ١٩٢٤ ـ ١٩٣٦
د٠ زكريا سليمان بيومى ٠
٢٣ ـ فصول فى تاريخ تحديث المدن فى مصر ١٨٢٠ ـ ١٩١٤ ٠
د٠ حلمى أحمد شلبى ٠
٢٤ ـ الأزهر ودوره السياسى والحضارى فى افريقيا ٠
د٠ شوقى الجمل ٠
٢٥ ـ تطور النقل والمواصلات الداخلية فى مصر فى عهد الاحتلال البريطانى ١٨٨٢ ـ ١٩١٤ ٠
د٠ فاطمة علم الدين ٠
٢٦ ـ جمعية مصر الفتاة ١٨٧٩ ـ دراسة وثيقية ٠
د٠ على شلش ٠
٢٧ ـ السودان فى البرلمان المصرى ، ١٩٢٤ ـ ١٩٢٦ ٠
د٠ يواقيم رزق مرقص ٠
٢٨ ـ عصر حككيان
أ٠د٠ أحمد عبد الرحيم مصطفى ٠
٢٩ ـ صغار ملاك الأراضى الزراعية فى مديرية المنوفية ٠ ١٨٩١ ـ ١٩١٣ ٠
د٠ حلمى أحمد شلبى ٠
٣٠ ـ المجالس النيابية فى مصر فى عهد الاحتلال البريطانى ٠
د٠ سعيدة محمد حسنى ٠
٣١ ـ دور الطلبة فى ثورة ١٩١٩ ، ١٩١٩ ـ ١٩٢٢ ٠
د٠ عاصم محروس عبد المطلب ٠

٤٣ ـ المفكرون والسياسة فى مصر المعاصرة .
د. محمد صابر عرب .

٤٤ ـ السودان فى البرلمان المصرى .
د. يواقيم رزق مرقص .

٤٥ ـ طوائف الحرف فى مصر ١٨٠٥ ـ ١٩١٤ .
د. عبد السلام عبد الحليم عامر .

٤٦ ـ مصر ومنظمة المؤتمر الاسلامى ١٩٧٩ ـ ١٩٨٧ .
د. عبد الله الأشعل .

٤٧ ـ السياحة فى مصر خلال القرن التاسع عشر ١٧٩٨ ـ ١٨٨٢
دراسة فى تاريخ مصر الاقتصادى والاجتماعى .
د. السيد سيد أحمد توفيق دياب .

٤٨ ـ حوادث مايو ١٩٢١ صفحة مجهولة من ثورة ١٩١٩
د. حمادة محمود أحمد اسماعيل

٤٩ ـ حدود مصر الغربية (دراسة وثائقية) .
د. فاطمة علم الدين عبد الواحد .

٥٠ ـ الدور الأفريقى لثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ .
د. شوقى الجمل .

٥١ ـ مصر فى كتابات الرحالة الفرنسيين فى القرن التاسع عشر
١٨٠٥ ـ ١٨٧٩ .
د. الهام محمد على ذهنى .

بين يديك :

الصحافة المصرية والحركة الوطنية من الاحتلال الى الاستقلال ١٨٨٢ ـ ١٩٢٢ .
د. رمزى ميخائيل .

رقم الايداع ١٠٧٩٦/١٩٩٥

الترقيم الدولى I.S.B.N. 977 — 01 — 4632 — 3

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب